كتاب الهلال

د. محمود سليمان

التحرك فوق رقعة شطرنج

كتاب الهلال

سلسلة شهرية تصدر عن مؤسسة دار الهلال

الإدارة

القاهرة - ١٦ شارع محمد عز العرب بك (المبتديان سابقا) ت: ٢٣٦٢٥٤٥٠ (٧ خطوط). المكاتبات: ص. ب: ٦١ العتبة - القاهرة - الرقم البريدي ١١٥١١ - تلغرافيا: المصور - القاهرة ج. م. ع

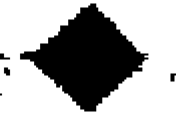
تلكس:

Telek: 92703 hilal u n

فاكس:

FAX : 3625469

الاصدار الأول / يونيو ١٩٥١



الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي ٧٢ جم داخل جمهورية مصر العربية تسدد مقدما نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية - البلاد العربية ٣٥ دولارا - أوروبا وآسيا وأفريقيا ٤٠ دولارا - أمريكا وكندا والهند ٤٥ دولارا - باقي دول العالم ٧٥ دولارا.

القيمة تسدد مقدما بشيك مصرفي لأمر مؤسسة دار الهلال ويرسل لادارة الاشتراكات بخطاب مسجل كما يرجى عدم ارسال عملات نقدية بالبريد.

ثمن النسخة: سوريا ١٢٥ ليرة - لبنان ٥٠٠٠ ليرة - الأردن ٢٢٥٠ فلس - الكويت ١,٢٥٠ فلسا - السعودية ١٢ ريالا - البحرين ١,٢ دينار - قطر ١٢ ريالا - الإمارات ١٢ درهما - سلطنة عمان ١,٢ ريال - اليمن ٤٠٠ ريال - المغرب ٤٠ درهما - فلسطين ٢ دولار - سويسرا ٤ فرنكات - السودان ٣,٥ جنية

البريد الالكتروني darhilal @ idsc. gov. eg

التحرك فوق رقعة شطرنج

دكتور
محمود سليمان

دار الهلال

الغلاف للفنان : محمد أبو طالب
مستشار التحرير : محمد رضوان

تقديم

تبدأ الجمعية العامة للأمم المتحدة دورتها السنوية الثلاثاء قبل الأخير من شهر سبتمبر من كل عام ، للنظر فى أجندة أو جدول أعمال يتضخم عاما بعد عام بسبب عدم البت فى معظم المسائل، وكان وزير خارجية سابق لـ «نيكاراجوا» متر قد انتخب رئيسا لدورة سابقة واقترح فى خطاب الافتتاح أن يكون لقرارات الجمعية العامة صفة الإلزام بدلا من أن تكون مجرد توصيات .

وقد ووجه برد أمريكى حاسم يدعوه للالتزام بمهمته فى تقريب وجهات النظر فيما يجرى من مداولات.

وفى خطاب افتتاح الدورة سعى الرئيس الأمريكى فى خطابه أمام المنظمة الدولية ، لاسترضائها والإقرار بأهمية دورها إلا أنه فى نفس الوقت حاول فرض أجندته على مستقبلها بدعوتها للعمل على مواجهة الإرهاب وأيضاً السعى لوقف البرنامج النووى الإيرانى واستنفار المجتمع الدولى للعمل على حرمانها من امتلاك سلاح نووى .

وكان الرئيس الإيرانى ثانى المتحدثين وقد اتهم الولايات المتحدة بتطويق إيران عسكريا مرددا نبوءته «أن الامبراطورية الأمريكية فى طريقها إلى الانهيار شأنها شأن الكيان

الصهيونى» .

ولم يكن غريبا أن يستغل فرصة وقوفه فوق المنبر العالمى ليطلق نيرانه أو كلماته:

– إن الارهاب ينتشر سريعا فى أفغانستان بينما يواصل المحتلون انتشارهم فى العراق بعد سبع سنوات من إسقاط نظام صدام حسين . وأن شن الحرب عليهما كان استرضاء وكسبا لأصوات الناخبين !

– إن الحكومة الأمريكية إرتكبت فى العقود الماضية أخطاء أثقلت اقتصادها كما أثقلت دول العالم . وكانت ضمن أسباب الأزمة المالية .

– وفى فلسطين تواصل القوى الصهيونية الإجرامية المحتلة عمليات الاجتياح والمذابح منذ ستين عاما . وإن الصهاينة أسسوا كيانهم على «الكذب والخديعة والإجرام» وهو كيان يمضى نحو نهاية لا مفر منها ولا يمكن إيقافها»!

وربما كانت كلمة الرئيس الإيرانى أمام الجمعية العامة . ردا على الحملة التى شنها المسئولون الإسرائيليون لاستعداء العالم ضد إيران.

– زعيم الليكود (نتنياهو أمام المؤتمر الدولى الثامن لمكافحة الإرهاب (فى هرتزليا) اعتبر امتلاك إيران لسلاح نووى تهديدا للأنظمة العربية المجاورة وليس لإسرائيل فقط،

وأن صنع إيران لأقمار صناعية وتطوير صواريخ بالستية عابرة للقارات سوف يمكنها من بلوغ الشواطئ الامريكية الشرقية خلال ١٢ عاما !

– رئيس الموساد السابق (راقى إيتان) صرح لصحيفة ألمانية (دير شبيجل) أنه رغم أن زمن ملاحقة اسرائيل للمسئولين النازى فى الخارج قد انتهى ، إلا أن هذا لا يعنى أن مثل تلك العمليات أصبحت فى طيات الماضى، وإنه من الممكن جداً أن يجد الرئيس الايرانى نفسه فجأة أمام المحكمة الجنائية الدولية فى لاهاى!

– وزير الدفاع الإسرائيلى (باراك) فى تصريحات لقناة (الجزيرة) أكد على جدية بلاده بشأن استخدام كل الخيارات لإيقاف مشروع إيران النووى حال فشل المساعى الدبلوماسية.

وكان مندوب إيران الدائم لدى الأمم المتحدة ، ردا على تلك التصريحات وغيرها ، قد سلم رسالة لأمين عام الأمم المتحدة أدان فيها ما اعتبره تهديدات خطيرة لبلاده باللجوء لأعمال إجرامية ضدها تظهر الطبيعة العدوانية والإرهابية للكيان الإسرائيلى وتستدعى ردا حازما وواضحا من الأمم المتحدة ومجلس الأمن على تهديدات (الكيان الصهيونى) التى تنتهك المبادئ والقوانين الدولية وقيم العالم المتحضر.

ومؤكدا على حق بلاده الأصيل فى التحرك دفاعا عن النفس وفقا للمادة ٥١ من الميثاق للرد على أى هجوم واتخاذ الإجراءات الدفاعية المناسبة لحماية شعبها ومسئوليها.

وكان تقريرا للوكالة الدولية للطاقة الذرية قد نسب إلى إيران عرقلة تحقيقاتها بشأن برنامجها النووى بالتزامن مع تهديدات من قبل واشنطن ولندن بدفعة رابعة من العقوبات..

بينما دعا وزير خارجية ألمانيا (شتانيماير) إيران، فى اعقاب لقائه مع وزير خارجيتها للعمل على استعادة ثقة المجتمع الدولى والتجاوب مع العرض المقدم من الدول الخمس الكبرى محذرا من المراهنة على عامل الوقت.

وقد وجه خمس وزراء خارجية سابقين دعوة إلى الإدارة الأمريكية لإجراء حوار مع إيران، وقد ذهبوا جميعا إلى أن الخيارات العسكرية المتاحة لواشنطن فى مواجهة إيران لا تبعث على الارتياح من ثم يحبذون الحوار فى إطار استراتيجية تستهدف الحيلولة دون إيران والوصول للسلاح النووى.:

وارن كريستوفر (٩٣ - ١٩٩٧ مع الرئيس كلينتون) :

إن الخيارات العسكرية سيئة جداً ينبغى ألا نسلك هذا الطريق»

كولن باول (٢٠٠١ - ٢٠٠٥ مع بوش).

أشار إلى المباحثات التى جرت على مستوى محدود مع إيران ثم توقفت عام ٢٠٠٢ وطالب بالنظر فى أسلوب لاستعادتها .

(جيمس بيكر – مع بوش الأب).

إنه من خلال الحوار مع إيران يمكن إعلانها أن الولايات المتحدة تستطيع دائما أن توجه ترسانتها النووية الاستراتيجية إلى إيران إذا طورت اسلحة نووية وجهتها لواشنطن أو إسرائيل.

* وقد ذهب إلى نفس المعنى كل من مادلين أولبرايت وهنرى كيسنجر.

وقد أكد متحدث باسم الخارجية الإيرانية استمرار المباحثات الايجابية مع مجموعة الخمسة + واحد وعلى إمكانية تلاقى وجهات نظر الجانبين إذا تحولت التوجهات السياسية إلى توجهات فنية وقانونية فى إطار القوانين الدولية المعترف بها.

وقد دعا نائب الرئيس (جوزيف بايدن) رئيس لجنة العلاقات الخارجية السابق بمجلس الشيوخ الأمريكى ، والمعروف بأنه من أبرز مؤيدى اسرائيل ، (وكان اختياره لهذا السبب من أجل تعزيز جبهة الديمقراطيين بأصوات الناخبين اليهود والذين يحظون بقدرة تصويتية عالية) دعى أصدقاءه

من كبار المسئولين الإسرائيلين لأن يتعايشوا مع قدرات إيران النووية وأن تروض نفسها على القبول بها ، رغم تشكيكه فى فاعلية العقوبات الاقتصادية ضد إيران إلا أنه لا يؤيد فتح جبهة عسكرية إضافية .

بينما كان موقف غريمته السابقة (الجمهورية) سارة بيلين.. فى الاتجاه المعاكس حيث اعتبرت أن امتلاك إيران لسلاح نووى هو تهديد لجميع سكان الكوكب وليس الأمن الامريكى وحده وأنتهت إلى تأييد مهاجمة إسرائيل لإيران ، وفى نفس الوقت تأييد ضرب باكستان لوقف الإسلاميين المتطرفين!

ثم لم تستبعد احتمال نشوب حرب فى حالة الاعتداء على دولة عضو فى الناتو .. فى سياق دعوتها لضم جورجيا وأوكرانيا لحلف الأطلنطى حتى لو كان الثمن احتمال الدفاع عنهما بصفة شريك في التحالف فى حالة تجدد الاجتياح الروسى.

ثم كشفت عن أنها أرسلت ابنها إلى العراق ليقاتل من أجل قضية عادلة!

وقد تردد أن الرئيس الأمريكي رفض توجها إسرائيلياً لضرب مواقع إيران النووية معبراً عن مخاوفه من رد انتقامى يستهدف مواقع امريكية فى العراق وأفغانستان وإعاقة

الملاحة فى الخليج فضلا عن الشك فى فاعلية الضربة فى إلحاق أضرار جسيمة ، فكانت موافقته على تزويد اسرائيل بأحدث نظام رادار يرصد الصواريخ فور انطلاقها على مدى ألفى ميل ، مع فريق من العسكريين الأمريكيين عددهم مائة وخمسون يقيمون بصفة دائمة لتشغيله بحيث يعتبر الاعتداء الموجه إلى القاعدة الجوية التى أقيم عليها فى النقب اعتداء على الولايات المتحدة الامريكية يبرر إعلانها الحرب!

من هنا كانت صفقة أحدث طائرة مقاتلة F.35

تم تسليم خمس وعشرين منها ، على أن تسلم خمسون أخرى خلال الأعوام المقبلة ، وتبلغ قيمتها ١٥.٢ مليار دولار اعتبرتها وكالة التعاون الأمنى بالبنتاجون الأمريكى ضرورية لتعزيز قدرات إسرائيل الدفاعية لصالح الأمن القومى الأمريكى ، باعتبارها أول صفقه لدولة خارج حلف شمال الاطلنطى مع تعزيز قدرات دول الخليج الدفاعية من خلال صفقات سلاح شملت:

* الامارات : خمس صفقات بنحو ٩ مليارات معظمها تزويدها بنظام Thud المطور للدفاع الجوى بنحو ٦.٩٥ مليار دولار) مروحيات Black Hawk ومعدات مصاحبة (٧٧٤ مليون دولار) صواريخ Mrmi (٤٤٥ مليون دولار).

قذائف ومعدات إطلاق نيران ٧٣٧ مليون، تكنولوجيا نظام

باتريوت المضاد للصواريخ ١٢١ مليون

* الكويت صواريخ جو جو متوسطة المدى ومعدات أخرى ١٧٨ مليون .

* الأردن : معدات لحماية الحدود ٣٩٠ مليون .

* السعودية : صفقة بحوالى ٦٠٠ مليون .

١٢ مروحية أباتشى 64D

أنظمة جوية ملاحية متطورة وأجهزة أستشعار ليلى ومنصات صواريخ ، وقد بررتها وكالة التعاون الأمنى بالبنتاجون ، بتعزيز قدراتها العسكرية خاصة فيما يتعلق بحماية الحدود والبترول .

* أما مصر فإن الصفقات الثلاث المبرمة معها بنحو ٥٤٤ مليون دولار فتشمل مروحيات بلاك هوك وأجهزة رصد ونظم توجيه بأشعة تحت الحمراء ٦٩٠٠ صاروخ موجه ضد الدروع و ٢٨ صاروخا آخر ومعدات تدريب وقطع غيار وقد كان لموقف الولايات المتحدة من ضم جورجيا لأوستيتيا الجنوبية وأبخازيا ، تداعياته على سياسات روسيا الخارجية والتى عبرت عنها فى خطاب رئيسها أمام الجمعية العامة.. وفى تصريحاته أعلن الرفض الصريح لأى حل عسكرى للبرنامج النووى لإيران مع انسحاب الوفد الروسى من اجتماع على هامش جلسات الجمعية العامة للامم المتحدة لبحث فرض

عقوبات جديدة على إيران.

كذلك أسفرت زيارة الرئيس السورى لموسكو عن دفعة قوية للعلاقات بينهما فكانت صفقة الأسلحة المتطورة ، وكان تعزيز التعاون بينهما على كل الاصعدة بما فى ذلك إعداد ميناء طرسوس السورى – بدعم روسى – لاستقبال الأسطول الروسى.

وفى النصف الآخر من الكرة الأرضية ، تصاعد التوتر الأمريكى – اللاتينى بمناسبة طرد بوليفيا للسفير الأمريكى وتضامن بعض دول الجوار معها.

مع وصول سفن حربية روسية لمناورات مع فنزويلا فى الكاريبى ، قد يعيد إلى الاذهان ازمة وصول الصواريخ السوفيتية إلى كوبا عام ١٩٦٣.

وبعد .. فربما كان الحظ حليفا للنظام الايرانى فى مواجهة للتحالف الامريكى الاسرائيلى ... بعد أن أثقل الاقتصاد الامريكى بعبء سبعمائة مليار دولار لانقاذ الاقتصاد من الانهيار تكلفة غزو العراق وقد يعجزه عن مواجهة نفقات عمليات عسكرية جديدة رغم إلحاح إسرائيل..

مثلما كان الحظ حليفه فى خسارة المرشح الجمهورى (جون ماكين) بحكم خلافته العسكرية والتى كانت كفيلة

بتجاوبه وربما حماسه لتحقيق حلمها فى إعاقة نمو إيران ومشروعها النووى .

وطالما ردد شعاره : «جيش قوى فى عالم خطر ، وحاجة الأمن الوطني الأمريكى لجيش أكبر عددا وقدرة على حماية المصالح الأمريكية الحيوية» مع اتهامه إيران بدعم الشيعة العراقية بالسلاح.

وعلى النقيض ، كان موقف أوباما الذى سبق وأن صوت ضد الحرب على العراق مؤكدا أن هذا موقفه تجاه إيران ، وأن على بلاده استنفاد جميع السبل الدبلوماسية ، مع الاستبعاد التام لفكرة العمل العسكرى ، والعمل على منح إيران حوافز سياسية واقتصادية تكفل تجاوبها مع المجتمع الدولى.

بينما أشارت الصحيفة إلى المباحثات الجارية منذ فترة بين الخارجية الإسرائيلية ولجنة الطاقة الذرية ومجلس الأمن القومى ووزارة الدفاع والموساد والخبراء الاكاديميين ، لتدارس الاحتمالات المستقبلية بين إيران والغرب.

وكانت إسرائيل قد رفضت مشروع القرار المقدم من الدول العربية بشأن إخضاع منشآتها النووية للرقابة الدولية بحجة أن بند القدرات النووية الاسرائيلية قد سبق حذفه من جدول أعمال الوكالة منذ نحو عشرين عاما!

وأن الوقت مازال مبكرا لإقامة منطقة خالية من السلاح النووى فى المنطقة.

كما شهدت الجمعية العامة للأمم المتحدة ، فى جلستها التى خصصت لتدارس القضية النووية الدولية ، توجيه مدير عام الوكالة الاتهام إلى إيران بإعاقة محاولات كشف طبيعة برنامجها النووى ، وأن وكالته لم تنجح فى تحقيق أى تقدم ملموس نافيا أى غرض لمفتش الوكالة فى الاطلاع على أية أسرار لأنشطة إيران العسكرية التقليدية ، أو أية تفاصيل تتعلق ببرنامجها الصاروخى ، مطالبا إيران بالسعى لكسب ثقة المجتمع الدولى فى سلمية مساعيها النووية والالتزام بمبدأ الشفافية.

وقد انتقد ممثل إيران الدائم لدى الأمم المتحدة ، عدم رد الدول الغربية على مقترحات بلاده بإجراء مفاوضات غير مشروطة بشأن الملف النووى ، معتبراً أن مطالبة بلاده بوقف تخصيب اليورانيوم غير قانونية ، بينما تكافأ دولا ترفض الانضمام لمعاهدة حظر الانتشار النووى (إسرائيل).

وكان موقف مصر فى الاجتماع التأكيد على التزامها بدعم الوكالة الدولية والتعاون الوثيق معها وعلى سعيها لوضع الطاقة النووية فى خدمة التنمية ، وعلى ضرورة انضمام إسرائيل لنظام الوكالة الخاصة بالتحقق من الأنشطة

النووية ، المعروف بنظام الضمانات الشاملة ، محذرا من وجود منشآت نووية لا تخضع للرقابة الدولية مهددة بذلك أمن واستقرار منطقة الشرق الأوسط .

وكان طبيعيا بعد ذلك أن ترحب اسرائيل بفشل إيران فى الحصول على مقعد غير دائم فى مجلس الامن فى انتخابات سابقة أسفرت عن فوز : اليابان وتركيا والنمسا والمكسيك وأوغندا ، لتحل محل اندونيسيا وبلجيكا وايطاليا وبنما وجنوب افريقيا .

وقد نقل عن رئيس الجمعية العامة (ديسكوتو بروكمان) تعليقا فى ذلك الوقت قال فيه :

«يوجد الآن فى مجلس الأمن أعضاء فعلوا أشياء أسوأ بكثير جداً مما فعلته إيران فى أى وقت مضى».

«إن الكلمات لا تدمر العالم (يقصد كلمات الرئيس الإيرانى) بل الذى يدمره هو الأفعال ، فلا يوجد أحد يمكن أن يموت بسبب الكلمات ، لكن بسبب ارتكاب جرائم ضد حقوق واستقلال دولة أخرى ذات سيادة »

وفى النهاية ، فإن رهان إيران على عامل الوقت يبدو قد أتى ثماره رغم أنها - أو أية دولة أخرى - لم يكن فى حسبانها أو مخيلتها وقوع الانهيار المالى العالمى ، الذى تطلب أمداً غير قليل للتعامل معه وتدارك عواقبه والذى فرض

مناخا دوليا قاتما ، لم يسمح بحال للدولة العبرية للإقدام على كارثة عسكرية جديدة لا تتحمل عواقبها الاقتصادية الأوضاع الدولية والإقليمية فى الوقت الذى سعت فيه العواصم الغربية لإقناع دول الخليج بالاسهام فى إنقاذ الاقتصاد العالمى.

وربما تعود الدولة العبرية لقراءة نصيحة نائب الرئيس الأمريكى (جوزيف بايدن) التى سبق أن أزجاها لها :

أن عليها أن تتعايش مع قدرات إيران النووية وأن تروض نفسها على القبول بها مع تأييد توجه الرئيس «أوباما» بعدم فتح جبهة عسكرية إضافية.

وقد سبق لرئيس وزراء اسرائيل أن أقر بفضل الرئيس الأمريكى السابق (بوش) وأعرب عن امتنان وعرفان الشعب الإسرائيلى إزاء الدور الذى لعبه الرئيس الأمريكى فى «انقاذه» من التهديد الاستراتيجى الذى كان العراق يشكله مؤكدا أن «تدمير العراق كان أحد أهم إنجازات فترة حكمه والتى جعلت الحياة أفضل لإسرائيل» كما كشف حصوله على تعهد بوضع مجمل التفاهمات والاتفاقات السابقة بين البلدين بين يدى خلفه والتأكيد على التزامه بكل بنودها.

- ١ -

كشفت وثيقة رسمية لجهاز أمنى إسرائيلى عن دعوة للاستعداد لشن هجوم على إيران للحيلولة دونها وحيازة السلاح النووى ، محذرة من أن أى تفاهم محتمل بين الإدارة الامريكية الجديدة من ناحية وطهران والعالم العربى من ناحية أخرى قد يكون من شأنها الإخلال بتفوق إسرائيل العسكرى ، مع توصية بعمل مكثف للحيلولة دون ذلك.

كما دعا رئيس الأركان الإسرائيلى السابق (موشيه يعالون) بلاده للإطاحة بالرئيس الإيرانى ونظامه .

دون استبعاد فكرة اغتيال ! باعتبار أن هزيمة النظام الإيرانى ، فى رأيه ، ضرورة لاستقرار الشرق الأوسط !!

(وليس العمل على وضع المبادرة العربية لتحقيق السلام موضع التنفيذ)؟

وكان تقرير للوكالة الدولية للطاقة الذرية قد عزز الموقف الإسرائيلى المتربص حين ذكر أن إيران تعمل بجد لمضاعفة عدد أجهزة الطرد المركزى بتركيب ثلاثة آلاف جهاز لتخصيب اليورانيوم بينما هى تمتلك نحو ستة آلاف .

كما أشار التقرير إلى احتمال حصولها على الكمية اللازمة من اليورانيوم المخصب لصنع قنبلة ذرية واحدة ، مع اعتقاد الوكالة أنها حجبت ٦٣٠ كيلو جرام من اليورانيوم

منخفض التخصيب مقابل ٤٨٠ ك . ج وهى كمية يعتبرها الخبراء كافية لانتاج قنبلة نووية مماثلة لتلك التى القيت على نجازاكى نهاية الحرب العالمية الثانية . ثم كان اتهام المندوب الأمريكي لدى وكالة الطاقة النووية (جريجورى شولتى) ايران بإخفاء نظام سرى مخصص لانتاج الاسلحة النووية والقيام بأنشطة نووية محظورة خرقا لنظام الضمانات وتجاهلا لقرارات مجلس الأمن ، نافياً امتلاك إيران أية محطات نووية لإنتاج الطاقة الكهربائية التى تزعم أن تخصيب اليورانيوم يتم من أجل تشغيلها باعتبار أن المفاعل الوحيد (بوشهر) مازال تحت الإنشاء.

وكلها مؤشرات تستثمرها الدولة العبرية أو تستغلها لتسويق مخططها لتوجيه ضربة عسكرية وقائية ضد مشروع إيران النووى.

وهو توجه يلقى معارضة المجتمع الدولى ، إدراكا لأبعاده الكارثية ، خاصة مع العجز المالى المتنامى ومطالبة المؤسسات المالية الأمريكية بدعم إضافي يقدر بأربعمائة مليار دولار جرى سداده من أرصدة دولة خليجية فى البنوك الأمريكية.

إضافة إلى السبعمائة مليار السابق توفيرها والذى يؤكد على صعوبة تحمل الاقتصاد العالمى بتداعيات سلبية جديدة

يفرضها بالضرورة إشعال حريق جديد فى منطقة بالغة الحساسية.

ناهيك عن مخاوف واشنطن من رد انتقامي يوجه إلى القوات الأمريكية وقواعدها فى العراق وهى تحت مرمى النيران الإيرانية مع قوتها المتعاظمة بعد نجاح اختبار صواريخها الجديدة بعيدة المدى وأخرها (السجيل) ومداه ألفا كيلو متر ،إضافة لما هو معروف من تحصين مفاعل «ناتانز» بنحو ٢٤ بطارية صواريخ قوية ، يلزم لتدميرها استخدام أسلحة نووية (تكتيكية) يمكنها الوصول لعمق سبعين قدم تحت الأرض .

وفى واشنطن ، نشطت القوى المؤازرة للدولة العبرية لملاحقة ما ظهر من توجهات الرئيس الأمريكى بدءا باجتماع عقده عشرون من قيادات اليمين المحافظ ، بينما يتواصل قادة إسرائيل مع الاصدقاء وعلى رأسهم نائب الرئيس (جوزيف بايدن) ،الذى أجرى اتصالات هاتفية مع وزير الخارجية ووزير الدفاع وزعيم الليكود الداعين لبلورة موقف صارم من مشروع إيران النووى ، بعد أن بادروا إلى التحذير من أن إعلان الرئيس عن استعداده للحوار مع إيران قد يفسر باعتباره مؤشر ضعف .. وفى نفس الوقت أعربوا عن اطمئنانهم إلى أن سياسة الرئيس الأمريكى إزاء (النزاع

الفلسطينى - الاسرائيلى) لن تختلف عن سلفه وعن الخطوط الرئيسية لتوجهه فى الشأن الإيرانى وملخصها أن الوقت مازال مبكرا لاعتبار المشروع النووى خطرا ماثلا أو محدقا يسوغ التدخل العسكرى ، وأن الفرصة مازالت قائمة للتفاوض ولممارسة الضغوط اللازمة.

ورغم ما علقته الحكومة الإسرائيلية على الأسابيع الأخيرة من حكم الرئيس السابق باعتبارها فرصة مثلى لتوجيه ضربتها لإيران . قبل تسلم الرئيس الجديد باعتباره أقل انسياقا لضغوط اليمين المتطرف وأكثر توازنا إلا أن الأزمة المالية العالمية الطاحنة وتداعياتها الاقتصادية فرضت الإرجاء،لإعطاء الرئيس فرصة للتحقق بنفسه من عدم جدوى المفاوضات ، طالما أن إيران لم تقترب من حيازة القنبلة النووية.

وقد تصور البعض أن الإدارة الأمريكية ربما فكرت فى «مقايضة» المسألة الإيرانية (المشروع النووى) والتصدى له ، مقابل قبول اسرائيل بتحريك عملية السلام مع الفلسطينيين بعد وقف الاستيطان ، وكانت المفاجأة أن الإدارة الأمريكية بدت منساقة تماما وراء اليمين الاسرائيلى المتطرف على الصعيدين فبعد أن مرر رئيس وزراء إسرائيل مغالطة جديدة وهى أن وقف الاستيطان لم يكن يوما شرطا لمفاوضات

السلام ،تبنته وزيرة الخارجية الامريكية إذ بها تساير السياسة الإسرائيلية تجاه إيران وتردد شعاراتها . «إن العالم لن ينتظر إلى الأبد وإن الوقت قد حان لكى تتحمل طهران مسئوليتها أمام المجتمع الدولى».

ثم أكدت أن بلادها وروسيا ترى الحاجة لبحث مزيد من الإجراءات ضد إيران إذا عجزنا عن التوصل لحل دبلوماسى لمشكلتها النووية.

كما عبرت عن رضائها عن تراجع موسكو عن تسليم انظمة الدفاع الجوى المطورة s300 باعتبارها مؤشرا ايجابياً.

هذا فى الوقت الذى سعت فيه إسرائيل لإبرام أكبر صفقة سلاح فى تاريخها تضم أحدث طائرة شبح فى العالم (F.35) بحيث تمتلك سربا كاملا منها (٢٥ طائرة).

كما نفذت إسرائيل أكبر مناورة جوية بمشاركة ألف جندى أمريكى ومثلهم من إسرائيل باسم (Junior Gobra) امتدت أسبوعين بزعم الاستعداد لمواجهة هجمة صاروخية إيرانية ، جرت خلالها تجربة بطاريات الصواريخ المضادة (أرو) وأنظمة الدفاع الأمريكية المضادة للصواريخ البالستية Thud و Lgis وأيضا للطائرات «باتريوت ، وحول» ، وفى المناورة المشتركة الخامسة فى السنوات الأخيرة، ومع ذلك

فإن اسرائيل سارعت باستغلال واقعة اعتراضها السفينة القبرصية «فرانكوب» على مسافة مائة ميل عن شواطئها ومصادرة شحنتها من السلاح ، ذكرت مصادرها العسكرية أنها مكونة من أربعين حاوية تحمل آلافاً من القذائف الصاروخية وقنابل متنوعة العيار منها قذائف المدفعية الخارقة للدروع عيار ١٠٦ مم وقنابل يدوية ورشاشات سريعة الطلقات (كلاشينكوف) وطلقات عيار ٧,٦٢ مم لتتعالى بعد ذلك صيحات قادة إسرائيل أن الأسلحة الإيرانية المصادرة كانت موجهة للمنظمات الإرهابية (المقاومة) فى سوريا ولبنان، ثم كان توجيه الخارجية الإسرائيلية لبعثاتها فى الخارج لاستغلال الواقعة باعتبارها انتهاكا لقرار مجلس الأمن ١٧٤٧ الذى يحظر على إيران تصدير أسلحة للخارج.

مع توجيه رسالة للأمين عام الأمم المتحدة باعتبار الواقعة انتهاكاً خطيراً تمثل خطرا على السلام والأمن ومخالفة للالتزامات القانونية الدولية (التى تحرص عليها اسرائيل بطبيعة الحال) كما بعثت برسالة مماثلة لرئيس مجلس الأمن، مع إقرار المسئولين العسكريين أن القوات الإسرائيلية لا تتورع عن اعتراض السفن التى يشتبه نقلها أسلحة بالمياه الدولية بصفة دائمة .

وكان رئيس الأركان الأمريكى (مايكل مولين) قد اعتبر أن

حيازة إيران لسلاح نووى يشكل خطراً على وجود اسرائيل وتهديدا لها مرددا رأيه بتفضيل بلاده للعمل الدبلوماسى لمعالجة الأزمة وإن ألمح إلى إمكانية اللجوء للقوة الجوية والبحرية حال فشلها.

وهو ما دعا الرئيس الايرانى نجاد لمطالبة واشنطن بالتخفيف من دعمها المطلق لإسرائيل ، لقيام علاقات صداقة مع بلاده :

«لا يمكن لأوباما الجمع بين دعم النظام الصهيونى القاتل وغير الشرعى فى اسرائيل وصداقة باقى دول المنطقة».

وقد أقر رئيس مجلس الشورى الإيرانى (لاريجانى) بأن بلاده تطور الصواريخ كقوة ردع فى مواجهة التهديدات الإسرائيلية ، ولم يخف امتلاك بلاده للخبرة النووية وفى تصريح لمدير وكالة الطاقة مؤخرا أعرب عن ترجيحه بأن هدف إيران من مشروعها النووى أن تفرض نفسها كقوة إقليمية تمتلك المعرفة النووية.

مكررا تحذيره لإسرائيل من توجيه ضربة عسكرية لمنشآت إيران النووية حتى لا تتحول المنطقة إلى كرة من اللهب.

كما ذكر أن المفتشين الدوليين الذين قاموا بزيارة لثلاثة أيام للموقع النووى الجديد (قرب جبل قم جنوب طهران) لم يجدوا شيئاً مثيرا للقلق ، وفى نفس الوقت ، تلقت إيران طلباً

من الوكالة بتفسير قيام أدلة جديدة على اختبار علمائها تصميمات لرؤوس نووية متطورة يسهل وضعها على صاروخ خاصة وأن تكنولوجيا «التفجير النووى للداخل» مازالت سرية فى كل من واشنطن ولندن على المستوى الرسمي وكان رئيس وزراء تركيا أردوغان بمناسبة زيارته لايران قد وجه نقدا حادا للدول المعارضة لامتلاك إيران سلاحا نوويا بينما هى حريصة على امتلاكه ، وطالبها بالتخلص من سلاحها النووى أولاً ثم وصف العقوبات التى تكرر فرضها على إيران «بالعجرفة» معربا عن أمله فى إخلاء المنطقة كلها من السلاح النووى نهائيا.

هذا فى الوقت الذى واصلت فيه قوى الضغط اليهودى فى الكونجرس مسعاها من أجل فرض عقوبات على بعض الشركات الأوروبية والهندية التى تورد (البنزين) لإيران، تضييقا للخناق الاقتصادى ، كما تلاحق الحكومة الإسرائيلية قادة الاتحاد الأوروبى لاتخاذ موقف متشدد يعبر عن «القلق البالغ» من مشروع ايران النووى بينما استحث خبراء دوليون إيران على الاستجابة للاقتراح الاخير بمشاركة إيران فى سلسلة من الخطوات الرامية لبناء الثقة مع الولايات المتحدة وروسيا وفرنسا بدءاً بعرض بإرسالها كمية من اليورانيوم منخفض التخصيب إلى الخارج (روسيا مثلا) لتحويله إلى

وقود نووى عالى التخصيب وإعادته إلى طهران.

ثم توالت مطالبات وزراء خارجية كل من فرنسا وبريطانيا وألمانيا لإيران بسرعة الرد ، ورغم التزام الرئيس الأمريكى بسياسة الحوار المعلنة فإن ايران تبدو أقرب لانتهاج سياسة المحاورة ، حين تعلق دراستها لاقتراح (شراء) الوقود من المنتج تحت إشراف الوكالة (مع التذكرة بسبق شرائه من الأرجنتين قبل عشرين عاما) ورغبتها في مناقشة الضمانات تبديدا لمخاوفها فى هذا الشأن.

ثم لم تلبث أن أعلنت على لسان رئيس لجنة السياسة الخارجية والأمن القومي في مجلس الشورى الإيرانى رفض شحن اليورانيوم منخفض التخصيب لمعالجته فى الخارج.

بينما وعدت بدراسة تخزين اليورانيوم الإيرانى المخصب لدى تركيا تحت إشراف الوكالة الدولية على أن تقوم روسيا بتسليمها الوقود النووى.

وكان المفاوض الفرنسي (جاك أودبير) قد أصدر بيانا يطالب فيه إيران بتحديد جدول زمنى بتسليم ٧٥٪ من مخزونها (بين ١٢٠٠ و ١٥٠٠ ك . ج) والذى ينتجه مفاعل ناتانز .

وردت طهران باقتراح بديل بتسليم يورانيوم مخصب بنسبة ٣,٥٪ لتحصل عل وقود مخصب بنسبة ٢٠٪ وهى

المطلوبة لمفاعل أبحاث طهران الطبية الذى يحتاج ٣٠ك.ج من الوقود لتشغيله خلال السنوات المقبلة وبحيث يخدم فقط إعداد النظائر الطبية المشعة للأغراض الطبية .

وفي تقريره إلى مجلس محافظى الوكالة الدولية للطاقة الذرية (٣٥ عضوا) أعرب مديرها عن قلق الوكالة من قدرات إيران على إنتاج سلاح نووى وأنها لا تتعاون مع الوكالة بشكل كامل . وبالتالى يصعب تحديد موقفها ، ومدى سلمية مشروعها النووى ، خاصة بعد أن أعادت مخزونها من اليورانيوم المخصب لموقع تحت الأرض .

وكان مندوب إيران لدى الوكالة قد أعلن أن التخصيب بنسبة ٢٠٪ يقتصر على كمية محدودة لازمة للشئون الطبية ، باعتباره حق لإيران سلمت به الإدارة الأمريكية ، مطالبا المجتمع الدولى بالتعايش مع توجه إيران لتخصيب اليورانيوم والتعامل معها من هذا المنطلق ، «باعتبارها دولة صاحبة حضارة تمتد آلاف السنين» مضيفا : إن التهديد بعمل عسكرى لن يوقفها بينما ندد وزير الخارجية (متقى) بمسئولية السياسات الأمريكية عن مشاكل العالم : الأزمة الاقتصادية ، وانعدام الأمن «بإثارة التطرف والارهاب» .

وفى زيارته المفاجئة لموسكو واجتماعه بالرئيس ميدفيديف، شدد رئيس وزراء اسرائيل (نتنياهو) على ضرورة فرض

عقوبات جديدة (ذات أنياب) ! على إيران بوقف استيراد البترول منها ، مع وقف تصدير مشتقاته وخاصة (البنزين) إليها ، بهدف إضعاف قطاع الطاقة في إيران.

كما طالب بوقف صفقة الصواريخ 5300 لإيران التى تسهم فى حماية المنشآت النووية ، وقد تجاوبت موسكو مع هذا المطلب ، بإرجاء تنفيذه والاكتفاء بتسليم أسلحة دفاعية ، بحجة معالجة بعض العيوب الفنية بالصواريخ!

بينما بدت صعوبة الاستجابة للمطلب الأول فى ضوء العلاقات الاقتصادية الروسية الإيرانية الوثيقة .

ويصر رئيس وزراء إسرائيل على أن سياسة إيران ومشروعها النووى يهدد استقرار المنطقة، فى نفس الوقت الذى كانت فيه قواته تمارس مهامها اليومية في اجتياح الأراضى الفلسطينية لاغتيال أو اعتقال شبابها .

وقد ثبت تورطه هو وجهاز مخابراته (الموساد) فى التخطيط لاغتيال أحد رجال المقاومة الفلسطينية فى مقر إقامته فى «دبى» !

ومن أسف أن وزراء خارجية دول الاتحاد الأوروبى فى اجتماعهم لبحث الجريمة، انصب اهتمامهم على استخدام جوازات سفر بلادهم ، دون أية إدانة أو إشارة لمرتكبها «إسرائيل» .

وفى آخر زيارة لوزير الدفاع الإسرائيلى لواشنطن «الرابعة خلال عام» جدد نظيره الأمريكى «روبرت جيتس» تأكيده على التزام بلاده الراسخ بأمن إسرائيل، وتناولت المباحثات مهمة الجنرال «كيث دايتون» المشرف على تدريب قوات أمن السلطة الفلسطينية على حفظ الأمن داخل المناطق الخاضعة لها ومنع شن هجمات من الضفة أو غزة على إسرائيل، مع طمأنتها على مشاركة واشنطن قلقها من برنامج إيران النووى والاتجاه لفرض عقوبات مشددة من مجلس الأمن.

وانضم إلى وزير الدفاع الأمريكى، قائد القيادة المركزية الأمريكية فى الشرق الأوسط «بتريوس» ليطمئنه أن بلاده تنظر فى ممارسة الضغط على إيران، بعد تسليم الرئيس أوباما بعدم تجاوبها مع دعوته للحوار مع إبقاء الباب مفتوحا أمام خطط بديلة، اتصالا بما أعلنه متحدث البيت الأبيض عن عدم احترام إيران لتعهداتها الدولية بشأن برنامجها النووى مما سيحملها بالعواقب بينما أعلن نائب الرئيس الأمريكى «بايدن» أن بلاده لن تنتظر وقوع عمل ارهابى حتى تقوم بتفعيل التعاون الدولى فى الوقت الذى أقر فيه بمضاعفة ميزانية المختبرات النووية من ٦٢٤ مليون دولار إلى سبعة مليارات !

وتعلل المملكة المتحدة تأييدها فرض عقوبات جديدة على إيران بحجة أنها ستمنع دولا من القيام بعمل عسكرى ضد منشآتها النووية (في إشارة واضحة لإسرائيل) كما أعلن متحدث باسم مستشارة ألمانيا (ميركل) أن تقرير الوكالة أكد جدية المخاوف من البرنامج وأن عدم مراعاة إيران التجاوب مع المطالب الدولية يدفع المجتمع الدولى لفرض عقوبات جديدة.

وكان متحدث عن الإليزيه «الفرنسى» أكثر حماسا فى دعوته إلى «تحرك حازم وعاجل فى ضوء تقرير الوكالة».

وقد أسهم موقف واشنطن من تزويد «تايوان» بشحنة أسلحة، واستقبال الرئيس الأمريكى «الدالاى لاما» زعيم التبت، التى تعتبرها الصين ضمن ولايتها، أسهم في تأكيد موقفها الرافض لفرض عقوبات على إيران ، إضافة إلى علاقاتها الاقتصادية القوية معها «تستورد خمسين مليون برميل سنويا».

وفى أمريكا اللاتينية تعارض أكبر دولها (البرازيل) فرض عقوبات جديدة، وتتمسك بالحوار وهو ما أكده رئيسها «داسيلفا» لوزيرة الخارجية «كلينتون» خلال جولتها فى بعض دول أمريكا اللاتينية ،لحشد الأصوات اللازمة لتمرير قرار العقوبات فى مجلس الأمن هذا بينما تحتفظ تركيا بدورها

النشيط فى المنطقة :

* تحذير رئيس الوزراء «أردوغان» من أن شن إسرائيل ما تسميه بهجوم وقائى على منشآت إيران النووية يشكل كارثة على المنطقة سوف يسفر عن عواقب لايمكن تصورها .

وهو ما أكده لوزيرة الخارجية الأمريكية فى مباحثات معها امتدت ساعة ونصف الساعة، توجه بعدها إلى طهران لنقل نتائجها.

* تأكيد وزير الخارجية (أوغلو) على وجود قاعدة دبلوماسية صلبة بين إيران والغرب، مع إمكانية قيام بلاده بدور وساطة .

ورغم أن إسرائيل هى الوحيدة فى المنطقة، التى تمتلك ترسانة أسلحة نووية، لايغمض لها جفن، إذا تنامت قوة عسكرية فى الجوار، خاصة إذا اتجهت لحيازة تقنيات نووية. من هنا تتسارع خطى واشنطن لطمأنتها بمسعى فرض عقوبات جديدة تستهدف بنوك إيران فى الخارج خاصة مع تشغيل مفاعل بوشهر.

على أن لوزير خارجية إسرائيل (الكاريزمى) رأى آخر فى حالة عجز مجلس الأمن عن فرض عقوبات جديدة، بسبب عدم تجاوب كل من روسيا والصين : أن تتبنى واشنطن النموذج «الكوبى» بفرض حصار من جانبها على إيران ! دون أى ذكر

أو إشارة إلى المنشأة النووية «الثانية» التى تقوم إسرائيل بتشييدها فى صحراء النقب !

وكان وزير خارجية إسرائيل قد وجه تحذيرا للرئيس السورى «أنه لن يخسر الحرب فقط إذا هاجم إسرائيل، ولكنه سيخسر السلطة أيضا هو وعائلته» وذلك ردا على ما اعتبره تهديدا مباشرا باتهام بلاده بأنها تدفع المنطقة للحرب إذا هاجمت حزب الله، وإشارته إلى أن سوريا لن تبقى مكتوفة اليدين» .

ثم حذر قائد إسرائيلى «أن صواريخ سوريا قد تستطيع الوصول إلى مدننا ولكننا نستطيع دخول عاصمتها دمشق دون أن يتمكنوا من ردنا حيث يعلمون جيدا قدرات الجيش الإسرائيلى الذى يتقدم درجات على الجيش السورى من كل النواحى«بدليل التزامهم الهدوء»!

وكان وزير خارجية سوريا «المعلم» قد صرح بأنه فى حالة نشوب حرب جديدة مع إسرائيل فإن سوريا قادرة على الوصول إلى مدن فى إسرائيل.

بينما كان رئيس إسرائيل (بيريز) يتهم النظام الإيرانى بالدعوة علنا لدمار إسرائيل .

كما دعا نائب رئيس الوزراء (سيلفان شالوم) لفرض عقوبات دولية على الحرس الثورى الإيرانى وإدراجه ضمن

قائمة المنظمات الإرهابية، داعيا الرئيس الأمريكى للتخلى عن سياسة الجزرة مع إيران بعد عام من تجربتها، واستبدالها بالعصا !

وفى خطابه عن حالة الاتحاد وجه (أوباما) تحذيرا مشددا إلى إيران بأنها سوف تواجه عواقب وخيمة إذا واصلت مشروعها النووى كما دعا وزير دفاعه (جيتس) الحلفاء الأوروبيين للتوحد ضد النظام الإيرانى .

ثم كان نكوص طهران عن عرضها تخصيب اليورانيوم فى الخارج، وإعلان رئيسها نجاد، بمناسبة العيد الحادى والثلاثين للثورة قراره بدء عمليات تخصيب اليورانيوم بنسبة ٢٠٪ بما يعنى المضى قدما فى المشروع النووى، فى الوقت الذى كان وزير الدفاع الأمريكى ينتظر الموافقة على اقتراح بلاده والمجموعة الأوروبية (٥ +١) تسليم إيران ١٢٠٠ ك . ح يورانيوم منخفض التخصيب دفعة واحدة .

وهو التوجه الذى زكاه مدير عام وكالة الطاقة فى دعوته لدفع الحوار مع إيران واستعداد الوكالة للقيام بدورها بحكم حيادها، ولم يبتعد الموقف الروسى كثيرا، حيث دعا نائب رئيس الوزراء الروسى سيرجى إيفانوف فى مؤتمر ميونيخ للسياسات الأمنية، لتوقيع دول الشرق الأوسط لاتفاقية الحظر الشامل للتجارب النووية إضافة إلى التخلى طوعا عن تصنيع جميع حلقات الدورة النووية.

وكان طبيعيا بعد ذلك أن ينبرى قادة الغرب دفاعا عن أمن إسرائيل : مستشارة ألمانيا (ميركل) أكدت أن بلادها تتطلع بجدية لحماية أمن إسرائيل ،بالنظر إلى عدم شفافية برنامج إيران النووى ورفضها للعروض الدولية المطروحة لحل الأزمة بما يبرر تشديد العقوبات المفروضة عليها من مجلس الأمن، الذى ترأسه فرنسا حاليا، وهو توجه تؤيده واشنطن حيث أعلن زعيم الأغلبية الديمقراطية فى مجلس الشيوخ الأمريكى (هارى ريد) أن المجلس قد يصوت لفرض عقوبات جديدة ، كما أكد مشاركة نظيره الجمهورى (ميتش ماكونيل) .

وقد واكب بحث تلك العقوبات (التى تستهدف النخبة الحاكمة فى إيران) مزاعم بالكشف عن ثرواتهم خارج البلاد يبلغ حجمها ١٦ مليار دولار من بينهم : مهدى نجل الرئيس نجاد ١٨٠ مليون يورو فى بلجيكا و ٤٥ مليونا فى سويسرا !

على أن هذا التوجه وجد معارضة من بعض جماعات رجال الأعمال وغرفة التجارة الأمريكية الذين حذروا من أثرها على المصالح الاقتصادية والأمنية الأمريكية وهو ما تضمنته رسالة إلى البيت الأبيض فحواها أن العقوبات المقترحة قد تثير منازعات اقتصادية وقانونية ودبلوماسية مع حلفاء الولايات المتحدة وقد تنعكس سلبا على العمل المشترك ضد إيران .

وتواصلا مع توجه ألمانيا لحماية أمن إسرائيل أعلن رئيس وزراء فرنسا «فيون» أمام المئات من أعضاء المجلس التمثيلى للمؤسسات اليهودية فى بلاده : «أن أمن إسرائيل يمثل أولوية مطلقة لبلاده التى تشاطرها القلق من برنامج إيران النووى، وأن وقت التحرك قد حان وعلى الاتحاد الأوروبى تحمل مسئولياته» .

وقد بدا غريبا أن واشنطن وهى تسعى لاشتراك الصين فى فرض عقوبات على إيران، قامت فى نفس الوقت بإبرام صفقة سلاح مع غريمتها تايوان .

وقد أعلن وزير خارجية الصين تأكيد وجهة نظر بلاده على أن فرض عقوبات محتملة على إيران سيعقد الموقف، ويزيد من صعوبة الحل الدبلوماسى.

ثم أن الأزمة أخذت منحنى آخر حين قررت واشنطن نشر صواريخ دفاعية، ليس فقط فى بولندا ورومانيا، وإنما أيضا فى أربع دول خليجية : قطر، البحرين ، الامارات ، الكويت ،مع بحث تزويدها بأسلحة متطورة، بما يستتبعه ذلك من تواجد قوات أمريكية للتدريب عليها وهى خطوة اعتبرها البعض تمهيدية لبدء العد التنازلى لتوجيه ضربة عسكرية لمنشآت إيران النووية، لم تتوقف إسرائيل عن دفع واشنطن وحلفائها «ألمانيا - ايطاليا - بريطانيا - وفرنسا) والإلحاح

عليها ومنذ الانتهاء من دمار العراق.

وفى شهادته أمام لجنة التحقيق فى غزو العراق أعلن رئيس وزراء بريطانيا السابق (بلير) أن إيران كانت الأجدر أو الأولى!!

بينما ذهب مستشار الأمن القومى الأمريكى (جيمس جونز) مذهبا مغايرا فى كلمته أمام مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية فى واشنطن حين ذكر أن التاريخ يثبت أن الحكومات حين تلاحقها الضغوط قد تقدم على مسلك غير متوقع، كأن تدفع إيران أنصارها : حزب الله فى لبنان وحماس فى فلسطين، لمهاجمة إسرائيل !

وفى مؤتمر القضايا الأمنية فى هرزيليا، هدد وزير الشئون الاستراتيجية الإسرائيلى (موسى يعالون) باللجوء للقوة لتغيير النظام فى إيران وحرمانها من إمكانية إنتاج سلاح نووى، مع توعدها «بدموع مرة» !

-٢-

ومــازالت الكلمـة التى ألقـاها الرئيس الأمـريكى السـابق (بوش الصغير) فى افتتاح منتدى دافوس العالمى فى شرم الشيخ، يتردد صداها .

لقـد مـضى الرجل يلقـى دروسـه ومـواعظه فى الإصـلاح والديمقراطية فى العالم العربى، بعد ساعات من افراطه فى (تمجيد) ديمقراطيـة إسـرائيل وبطولة شـعبـها (فى البطش باصحاب الأرض الأصليين بعد اغتصابها)، وأغلب الظن أن عمليات الإبادة التى قام بها أسلافه ضد الهنود الحمر كانت ماثلة : ملهمة .. وموحية.

الرجل تفـوق على نفـســه من قـبل حين منح «وصـيـتـه» لشارون (٢٠٠٤) التى أقر فيها بسيادة إسرائيل على القدس الشرقية وحقها فى الاحتفاظ بالمستعمرات الكبرى والتجمعات الاستـيطانية فى الضـفـة، ومن يومـهـا وهـى تعمل بكل الهـمة والنشـاط على توسـيع المسـتـوطنات بما يـسمح لهـا بتنفـيذ وصيته والاحتفاظ بها !

ثم بدا غريبا - للحضور - أن الرجل الذى تمارس قواته فى العـراق وجـوانتنامـو أبشـع ألوان التـعـذيب والقـمـع ، واتته «الشجاعة» للحديث عن قمع المعارضة فى الدول العربيـة، وقد أدان الاتحاد الأمريكى للحريات المدنية وشبكة العدالة الدولية

مؤخرا وقائع اعتقال قوات الاحتلال الأمريكى لألفين وخمسمائة قاصر فى العراق وأفغانستان خلال السنوات الأخيرة ووصفته بأنه مثير للاشمئزاز .

ثم بدا غريبا أن المبشر بالديمقراطية، يحرض تحريضا صريحا على إسقاط حكومات شرعية حين ذكر فى خطابه أن إيران وسوريا تستحقان قيادة أفضل .

والأغرب أن هذه المقولة تصدق فى شأنه وقد ساق بلاده إلى مغامرات عسكرية خلفت الدمار والخراب فى العراق وقتلت من أهله مليونا وأعاقت مليونين بإصابات أو عاهات وشردت خمسة ملايين وعادت بالبلاد خمسة عقود للوراء والنتيجة أن بلاده فقدت ما عرفت به فى الماضى من مبادئ الديمقراطية والعدالة، مثلما فقدت الآلاف من القتلى وعشرات الألوف من الجرحى، وعجزا ماليا تجاوز تريليونى دولار. بينما تسلم الحكم ولديه فائض تريليون.

وقد اعتمد ٦ مليارات دولار لعلاج ثلاثمائة جندى أمريكى من «الاحباط» والإرهاق العصبى، ومثلهم مصابون يقدر لعلاجهم مليار آخر !

بينما لم نسمع أو نقرأ شيئا عن علاج ملايين العراقيين المصابين فى الغزوة البربرية وتداعياتها أو تعويض ملايين المشردين الذين فقدوا الأهل والوطن والديار .

وناهيك عن عملية إعادة إعمار العراق ..

وهو لم يكتف بالتحريض على إسقاط النظام الإيرانى بل ذهب فى مسعى استنفار أو استعداء المجتمع الدولى ضده إلى حد تشبيه التفاوض مع الرئيس الايرانى بمساعى المهادنة مع «هتلر» قبيل الحرب العالمية الثانية !

(كان ممثل ليبيا فى مجلس الأمن قد وصف مجازر إسرائيل فى غزة بأنها أشبه بالممارسات النازية، فانسحب ممثلوالدول الغربية!).

على أية حال فقد كان للرئبس الديمقراطى الأسبق جيمى كارتر رأى آخر (فى منتدى عقد فى «ويلز») حيث دعا الرئيس بوش للتفاوض المباشر مع حكومة طهران بهدف إيضاح سلبيات برنامجها النووى والوقوف على ما قد يكون لديها من إيجابيات.

وعلى النقيض تماما مما جاء على لسان «بوش» فى الكنيست من اعتبار إقامة دولة إسرائيل تحقيقا للوعد الإلهى لشعب الله المختارالذى حارب بشراسة فى سبيل الكرامة الإنسانية والعدالة والحرية، بحيث أصبحت إسرائيل خلال ستة عقود «نورا للأمم» !

«وحين تحتفل بعد ستين عاما أخرى بالذكرى المائة والعشرين لتأسيسها ستكون واحدة من أعظم الديمقراطيات

كأرض آمنة ومزدهرة للشعب اليهودى».

على النقيض من تلك الكلمة «اللاهوتية» كانت محاضرة الرئيس كارتر والتى ذكر فيها ·

«إن الحصار الذى تفرضه إسرائيل على قطاع غزة يعد أبشع جريمة انتهاك لحقوق الإنسان على الأرض حاليا وإن أيا من سكان غزة لم يقترف ما يبرر ما يتعرض له حاليا منذ انفراد حركة حماس بالسيطرة عليه، مؤكدا أنها فازت عن جدارة واستحقاق بالانتخابات الفلسطينية بينما رفضت إسرائيل عرضا من الحركة بالمهادنة».

ولم يكتف بذلك بل أقدم على طرق مسألة قدرات إسرائيل النووية كأول مسئول أمريكى يعلن امتلاكها «مائة وخمسين» قنبلة نووية!

كما تطرق إلى فشل الاتحاد الأوروبى فى دعم القضية الفلسطينية : « وكان الأجدر أن يسعى لإقامة حكومة وحدة وطنية فلسطينية تضم حركتى فتح وحماس وأن يحتضن اتفاقا لتبادل المعتقلين بين إسرائيل وحركة حماس .

ثم يتوجه بالحديث إلى الرئيس الأمريكى «أوباما» مطالبا إياه «ببذل الجهود اللازمة والتحلى بالعزيمة لإحلال السلام فى الشرق الأوسط خلال المائة يوم الأولى من حكمه وليس المائة يوم الأخيرة»!

ويعود فيطالب الرئيس «بوش» بأن يعاهد العالم بعدم تورط مؤسسات بلاده مستقبلا فى تعذيب معتقلين «باعتبارها ماسة بالمبادئ الأساسية التى جعلت من الولايات المتحدة أمة عظيمة فى الماضى، مطالبا إياها بالالتزام بالقواعد الدولية التى ساهمت فى وضعها» .

ما سبق لم يكن غريبا صدوره عن الرجل الحائز على جائزة نوبل للسلام والأجدر بها، ولكن الغريب كان انخراط إسرائيليين (شهود من أهلها) فى مواجهة بلادهم بالحقائق .

إبراهام بورج رئيس الكنيست الإسرائيلى الأسبق، ذهب فى كتابه (التفوق على هتلر) إلى أن إسرائيل تسير على خطى هتلر، وينتظرها المصير ذاته طالما اعتمدت السيف والعنف فى إخضاع الفلسطينيين وسحقهم، ووصف إسرائيل بأنها دولة «فاشية» واستعمارية تقودها زمرة لا أخلاقية من الفاسدين الخارجين على القانون !

ثم ما كشفه أساتذة وعلماء إسرائيليون من جرائم الجماعات الصهيونية المسلحة لطرد الفلسطينيين والاستيلاء على أرضهم ومن مذابح التطهير العرقى، وكلها جاءت فى كتب مثل :

* كيف تم اختراع الشعب اليهودى، من التوراة إلى الصهيونية.

* كشف الغطاء عن التوراة .

* التطهير العرقى لفلسطين .

* الجدار الحديدى، إسرائيل والعالم العربى .

والأخير يفند أسطورة «الدولة اليهودية المسالمة فى قلب عالم عربى يريد القضاء عليها» .

ثم كان للوزير السابق «أمنون روبنشتاين» أستاذ القانون حوارا نشرته «هاآرتس» جاء فيه : إن إسرائيل يتهددها خطران :

داخلى : انتشار الفساد وتآكل منظومة (القيم) الصهيونية التى قامت عليها.

خارجى : رغم انتصار إسرائيل فى حروبها مع الدول العربية إلا أنها فشلت فى انتزاع الرغبة العربية فى محاربتها، إضافة لما استجد من أسلحة الصراع واكتسابه بعدا دينيا كما يزيد رقعة العداء الإسرائيلى ويجعله أكثر تصميما .

ثم يضيف : «إن إسرائيل قد تستيقظ يوما لتجد نفسها محاطة بأنظمة حكم ذات توجه إسلامى، ليس فقط رافضة وجود إسرائيل، بل تحتشد لمواجهتها» .

وعلى أثر ما رواه الصحفى السويدى «بوستردم» فى كتاب تناقلته الصحف السويدية من شهادات لفلسطينيين

وممثلين للأمم المتحدة، ومطالبة الحكومة الإسرائيلية بالتحقيق فيما جاء بها من وقائع القتل العمد من قبل قواتها، لفلسطينيين ، وسرقة أعضائهم، وفقا لشهادات عشرين أسرة باختفاء أعضاء من جثث أبنائها بعد استشهادهم واختفاء جثثهم بضعة أيام، بينما أكدت خمس وستون أسرة أخرى تشريح جثث شهدائها بعد قتلهم بمعرفة قوات الاحتلال .

وكان لتجاهل الحكومة السويدية طلب إسرائيل بإدانة رسمية للتقرير وصاحبه، ورفض وزير خارجية السويد (كارل بيلت) رد فعل عنيف لدى الخارجية الإسرائيلية ولدى وزيرها (الشخصية الكاريزمية) الذى هدد السويد وتوعدها بالحرمان من أى دور فى الشرق الأوسط أو المشاركة فى أى جهود دبلوماسية تتصل بعملية السلام، رغم رئاستها للاتحاد الأوروبى خلال تلك الفترة (وكأن هناك دورا لأية دولة أخرى، أو وجودا لعملية سلام أصلا) .

وقد تلقت الجارة الاسكندنافية (النرويج) تهديدا مماثلا من ذات الشخصية «الكاريزمية» ، بسبب احتفالها بذكرى كاتبها «كنوت هانسو» وما ينسب إليه من تعاطف مع النازية وتبرعه لها بقيمة جائزة حصل عليها، وسبق رثاؤه لزعيمها «هتلر» حين زعم أنه حارب من أجل الإنسانية! ثم إن وزير الخارجية «الكاريزمى» مازال يذكر للنرويج واقعة عدم

انسـحـاب وفـدها من مـؤتمر ديربن ٢ أثناء كلمـة الرئيس الإيراني« نجاد» خلافا لغالبية الدول الغربيـة، معتبرا ذلك مؤشرا على موقف النرويج وسياستها .

ومن ناحيـة أخـرى، فـإن الرجل ، وقـد وجـد أكـبـر أبواب إفـريقـيـا مـوصـدة في وجـهـه لسـبق تطاوله، فـقـد عـمـد إلى الالتـفـاف حوله بزيارة عدد من الدول الافـريقية .. أثيـوبيـا .. كينيـا .. أوغندا (من دول حوض النيل) وفـي الغرب نيـجـيـريا وغـانـا، على رأس وفـد من كـبـار المسـئـولين فـي الشـئـون الاقتصادية والمالية والعسكرية ورجال الأعمال ، وقد تكشفت نتائجها لاحقا في اجتماعات دول حوض النيل.

ولما كان نهج دولة الاحتلال ودأبها أن تأخذ دون أن تعطى شيئا فإن ردها على مبادرة الرئيس الأمريكي أوباماً بإقامة دولة فلسطينيـة إلى جانب إسـرائيل. كـان الرفض، بل وإعلان مواصلة الاستيطان، وحين تراجع الطلب الأمريكي، وتواضـع إلى مـجـرد تجـمـيد الاسـتيطان بضـعـة أشـهـر كـان المقـابل المطلوب : إعـادة فـتح المكاتب التـجـارية مع عـدد من الدول العـربيـة ضمن خطوات أخرى للتطبيـع مثل عبور الطائرات الإسرائيلية للاجواء العربية ..

هذا في الوقت الذي كـانت تتلقـى فيـه دعـمـا عسكريا من واشنطن لمواجـهة إيران ومشروعه النووي، قيل في تبريره إنه

لكبح جماحها عن ضرب إيران :

* مائة طائرة مقاتلة من أحدث طراز، لم يحصل عليها بعد أعضاء حلف الأطلنطى .

* أحدث نظام دفاع صاروخى متطور .

ثم كانت جولة رئيس وزراء إسرائيل لأقرب حلفائه الأوروبيين فى لندن وبرلين وما ذكره من أن القضية الأولى التى جرى بحثها هى إيران وتطويرها للسلاح النووى الذى يهدد إسرائيل والمنطقة والسلام العالمى، داعيا القوى العالمية الكبرى لفرض عقوبات اقتصادية « حقيقية» .

ثم كان اختفاء رئيس وزراء إسرائيل من «شاشة بلاده» لمدة عشر ساعات . تبين بعدها أنه كان فى زيارة سريعة لموسكو لطلب وقف شحنات صواريخ دفاعية متطورة لايران، ويذكر هنا ما تكشف عن قيام عملاء للموساد بخطف سفينة شحن روسية (اركتيك سى) عليها ١٥ بحارا روسيا للحيلولة دون وصول شحنتها من السلاح (صواريخ كروز X55) لمن وصفته «بالعدو الإقليمى لإسرائيل»ثم جرى تحريرها بعد ثلاثة أسابيع من قبل قوة بحرية روسية قرب جزيرة الرأس الأخضر «الساحل الغربى الإفريقى».

ولم تسلم وكالة الطاقة الذرية ومديرها من سهام تل أبيب الطائشة، فقد وجهت إليه الاتهام بإخفاء معلومات مهمة بشأن

تطور البرنامج النووى الإيراني :

* فى إشارة إلى قيام إيران بإجراء أبحاث وتجارب ذات طبيعة عسكرية .

* واستعانتها بخبراء لتطوير أنشطة تمهيدية لانتاج سلاح نووى وإجراء تجارب على سلسلة مفاعلات فى سياق أبحاث التفجيرات النووية .

* تعاون مراكز أبحاث عسكرية وأطراف أجنبية مثل معاهد ومراكز أبحاث نووية عسكرية روسية .

* اعتراف إيران بوجود رسوم الكترونية على حاسباتها الآلية لصنع صواريخ يمكن استخدامها فى صنع سلاح نووى .

هذا رغم أن تقرير مدير الوكالة الذى بحثه مجلس محافظيها والذى تلقى مجلس الأمن نسخة منه، قد سجل على إيران ما يلى:

رفض التعاون مع الوكالة في تسوية المسائل العالقة وتوضيح ما تردد عن «دراسات وأبحاث عسكرية مزعومة» بما يكفل إزالة الشكوك حول طبيعة البرنامج النووى : مع اعرابه عن الأسف لما اعتبره انتهاكا لقرارات مجلس الأمن وعدم امتثالها لطلبه تجميد أنشطة تخصيب اليورانيوم، وعدم تصديقها علي البروتوكول الإضافى لاتفاقية حظر الانتشار

النووى.

مع إشارة التقرير إلى تعاون إيران مع الوكالة من حيث سماحها لمفتشيها بزيارة مفاعل آراك الذى يعمل بالماء الثقيل (بعد رفضها ذلك لأكثر من عام) وتحسين معايير الضمانات بمفاعل ناتنز وتحديث نظام المراقبة كطلب الوكالة .

وقد وصف المتحدث باسم الخارجية الإسرائيلية (يوسى ليفى) مقترحات إيران الجديدة التى قدمتها إلى الدول الخمس دائمة العضوية فى مجلس الأمن + ألمانيا بأنها محاولة لكسب الوقت لمواصلة برنامجها النووى .

بينما تواصل إسرائيل حملة استنفار الغرب ضد إيران، فيذهب (عوزى روبين) رئيس برنامج الدفاع الصاروخى الإسرائيلى السابق إلى تأكيد قدرة إيران على مهاجمة معظم دول أوروبا بصاروخ ذاتى الدفع خلال أربعة أعوام إذا بذلت جهدها للوصول بمداه إلى ٣٩٠٠ ك . م .

هذا فى الوقت الذى رجح فيه دبلوماسيون غربيون توقف إنتاج اليورانيوم المخصب بعض الوقت مرجحين نقص المادة الخام خاصة أوكسيد اليورانيوم المستخدم فى إنتاج الوقود النووى واعتبروا ذلك ثمرة للعقوبات الدولية، وقد صرحت مندوبة الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة إثر اجتماع لمجلس الأمن خلال الدورة إن جميع أعضائه أبدوا دعمهم القوى

لتنفيذ العقوبات على إيران بموجب القرارات الصادرة وخاصة أرقام ١٧٣٧ و ١٧٤٧ و ١٨٠٣.

بينما أكد وزير الدفاع الأمريكي «جيتس» استعداد بلاده لاعتراف بحق إيران في تطوير برنامج نووي سلمي «بهدف إنتاج الطاقة الكهربائية مثلا» بعد التحقق من عدم تطويرها سلاحا نوويا ودعاها للسماح للمفتيشين الدوليين بدخول منشآتها تأكيدا على سلامة برنامجها النووي واحتراما لقرارات مجلس الأمن في هذا الشأن.

وفي هذا السياق أعرب عن عدم اقتناعه بما يتردد حول تزايد النفوذ الايراني في العراق وفي المنطقة نتيجة الغزو الأمريكي للعراق وسيطرة الأغلبية الشيعية، داعيا الدول العربية لتعزيز قدراتها العسكرية وتعزيز التعاون بينها ومع واشنطن بما يوجه رسالة لإيران أن الطريق الذي تسير فيه لن يعزز أمنها، مؤكدا أن واشنطن مازالت تؤيد السبل الدبلوماسية والاقتصادية في مواجهة برنامج إيران النووي.

وجاء المؤتمر السنوي لسفراء فرنسا في الخارج بمثابة المنصة التي أطلق منها الرئيس الفرنسي رؤيته أو تصوره لمواجهة أزمات العالم:

العراق:

● حل سياسي يشمل تهميش الجماعات المتطرفة،

وتحقيق مصالحة وطنية صادقة تعطى كل الأطراف فى العراق حقوقا متساوية فى موارد البلاد ومؤسساتها.

● اتخاذ قرار بانسحاب القوات الأجنبية بما يحقق نقل المسئولية إلى أطرافها الحقيقيين.

فلسطين:

● رفض فرنسا سيطرة حماس على غزة، باعتباره مقدمة لسيطرة «الأصوليين» على كل فلسطين.

● العمل على إعادة بناء السلطة الفلسطينية بمساعدة «الرباعية» والدول المعتدلة، وبلاده.

إيران:

● اتجاه جهود فرنسا لإقناع طهران بأن مصلحتها الحقيقية فى التراجع عن مشروعها النووى، المرفوض تماما من فرنسا، وبأنها ستكسب كثيراً من مفاوضات جدية مع الأوروبيين والأمريكيين وروسيا والصين.

روسيا:

● لأول مرة يخطو خطوة بعيداً عن حليف سابق، وعن توجهات سلفه تجاه الاتحاد الروسى حين يصف مسعاه للعودة للساحة الدولية «بالوحشى». ثم يحاول أن يبدو مستقلاً فى مسألة العراق، وهو ما عبر عنه وزير خارجيته «كوشينر» خلال زيارة أخيرة لبغداد: «إن الأمريكيين بمفردهم

لايستطيعون حل مشكلات العراق» مضيفا: «نحن لم نؤيد الغزو الأمريكى منذ البداية، وأعتقد أننا كنا على حق».

غير أنه اندفع بعد ذلك إلى نقد حكومة العراق داعيا لإسقاطها، ليس دعما للموقف الأمريكى بقدر مايفتح الباب أمام دور فرنسي.. وهو ما استنفر رئيس وزراء العراق للرد عليه باعتباره «لايمكن أن يصنف بأى موقع من مواقع اللياقة الدبلوماسية حين يدعو لإسقاط الحكومة واستبدالها بحكومة أخرى. داعيا الحكومة الفرنسية لاحترام العلاقات واحترام نتيجة الانتخابات ومطالباً إياها باعتذار رسمي .. وقد كان..

بينما كابرت الإدارة الأمريكية رافضة الانسحاب من العراق بذرائع ودعاوى أهمها الخشية من تفشى الفوضى والصدام الطائفى! بل إن الديمقراطيين الذين اكتسحوا انتخابات الكونجرس. لدعوتهم للانسحاب من العراق، بدءوا يتراجعون متعللين بصعوبات أمنية ولوجستية: بدءا بضخامة العتاد الحربى: حوالى ٢٠ ألف قطعة عربات عسكرية وقطع سلاح ضخمة ومائتى ألف طن معدات معمرة وانتهاء بنحو مائة ألف من العمال المدنيين ومائة وستين ألف جندى أمريكى، موزعين على أكثر من مائة قاعدة وعلى مختلف المدن ناهيك عن أكبر سفارة أمريكية فى العالم.

وبات البعض «جمهوريين وديمقراطيين» يتبارون فى تقديم الذرائع للبقاء أطول مدة ممكنة تحت شعار: «الصبر

الاستراتيجي في العراق»، وإنكاء المخاوف من تزايد نشاط تنظيم «القاعدة» ومن مشايعيهم من السنة رغم الزج بعشرين ألف منهم في السجون.

ولم يكتف رئيس وزراء العراق برفض تصريحات «كوشنير»، بل وجه النقد لمسئولين في الكونجرس الأمريكي بقوله: إنهم يتحدثون عن العراق وكأنه ضيعة من ضياعهم».

ويبدو أنه ارتكب غلطة عمره بزيارة كل من طهران ودمشق وإن أوصت به لجنة «بيكر - هاملتون».

وكان ما طالعناه من اتجاهات تنحيته، رغم أنه غير مسئول عن ضياع المليارات من الدولارات فيما تكشف من فضائح فساد أخيرا:

- ٢٢ مليار دولار من عائدات صادرات النفط على امتداد أعوام الاحتلال الأربعة.
- ٨ مليارات دولار ضاعت من الأموال العامة خلال العام الماضي وحده.
- ١٢ مليار جرى إهدارها بأساليب فاسدة أيضاً خلال العام الماضي.

ثم تحدثت واشنطن عن التزام جهاز جديد لمواجهة الفساد حول العالم رصدت لتمويله ١٥ مليون دولار!

كل ذلك تزامن مع اعتراف لأحد محرضي غزو العراق «تشيني»، أعيد نشره أخيراً ضمن حديث له عام ١٩٩٤ يوم

كان وزيرا الدفاع: بأن «غزو العراق بعد إخراج جيشه من الكويت عام ٩١ كان صحيحا لأنه يؤدى لاحتلال أمريكى للعراق فى وقت رفضت فيه القوات العربية التى شاركت فى تحرير الكويت «غزو العراق»، ثم أضاف «عندما ندخل العراق ونطيح بحكومة صدام حسين ما الذى سنضعه مكانها؟ إنه مكان خطير من العالم»..

ومع ذلك.. ها هو اليوم يدعم وبقوة الضغوط الإسرائيلية الحثيثة لضرب إيران وإجهاض حلمها النووى وتعقيم قدراتها على مساندة قوى المقاومة فى المنطقة، خاصة بعد أن مهدت لها بادراج الحرس الثورى الإيرانى على قائمة المنظمات الإرهابية، ضمن حملة تعقيم قدرات إيران العسكرية والاقتصادية بالتالى، ليست إيران فقط المتهمة بدعم المقاومة فى العراق وإنما سوريا أيضاً، رغم تصريحات لرئيس وزراء إسرائيل نفى فيها احتمال شن عدوان عليها، وربما كانت تلك التهديدات وراء توقيع سوريا مذكرة تفاهم مع الاتحاد الروسى بما يسمح لأسطوله باستخدام قاعدة قديمة فى ميناء «طرطوس» مع التزام سوريا بتقديم الخدمات الأرضية وهو ما رحب به الاتحاد الروسى على لسان قائد الأسطول «مازورين» واستعادة «وجود دائم» فى البحر المتوسط باعتباره ساحة مهمة لعمليات أسطول البحر الأسود ومنطقة سيطرة تمتد إلى البحر المتوسط وحتى التقائه بالأطلنطى، ثم

هو لم يكتف بذلك، بل تجاسر على كسر الحصار المفروض على «حماس» بمعونات إنسانية، ٢ طن أدوية و٢٦ طن مواد غذائية وكان طبيعياً بعد ذلك أن تعبر حكومة الاحتلال عن انزعاجها، على الأقل من وجود «مرصد» لتحركاتها واتصالاتها وهو أمر لم تألفه أو تقبله.

ثم إن حكومة الاحتلال منزعجة لسبب آخر، وهو حصول سوإريا على صفقة أسلحة روسية متطورة من طائرات الميج ٢٩ وربما E ٣١ ومنظومة دفاع صاروخي أرض جو حديثة.

ومع ذلك فهي تستنكر حصول دولة محتلة منذ أربعين عاماً على سلاح تدافع به عن نفسها في مواجهة أسلحة وعتاد سوف يتدفق على دولة الاحتلال بما قيمته ثلاثون مليار دولار، قال رئيس وزرائها إنها من أجل ضمان تفوق بلاده على كل دول المنطقة، وربما، وهو الأهم، على مارد الخليج الصاعد.

ووفقا للاتفاق سوف توجه ثلاثة أرباع المساعدة عائدة للولايات المتحدة مقابل شراء أسلحة أمريكية مثل طائرات النقل طراز هيركيوليز و٥٠ مقاتلة من طراز F ٣٥ القادرة على تفادى أجهزة الرادار إضافة إلى كمية كبيرة من القنابل الذكية، وزورقين قاذفي الصواريخ، وغواصتين «دولفين» وصواريخ جوية وبحرية، أما الربع الباقي فيوجه لشراء سلاح من إسرائيل ذاتها.

وكان رئيس الأركان الإسرائيلي قد عقد ورشة عمل لوضع خطة مشتروات السنوات المقبلة، في الوقت الذى كان رئيس وزراء إسرائيل يزور كبرى العواصم الأوروبية: موسكو .. باريس .. ولندن، ليس إعداداً أو استعداداً لمؤتمر أو اجتماع أو لقاء خريف القضية الفلسطينية، وإنما لحشد القوى المؤثرة وراء المخطط الإسرائيلي المتربص بإيران، ابتداء باستصدار قرار جديد من مجلس الأمن يلحق المشروع الإيراني بتشديد العقوبات وصولا إلى السماح باستخدام القوة ضدها.

دون أى التفات أو مبالاة بالأصوات العاقلة المحذرة .. والرافضة، وفي مقدمتها المسئول الرسمي عن ملف إيران النووى: مدير عام وكالة الطاقة الذرية وتأكيداته على أن إيران يلزمها أعوام لصنع سلاح نووى.

ومطالبته باستنفاد الحلول السلمية والدبلوماسية قبل اللجوء لاستخدام القوة.

وهو في ذلك يعيد للأذهان سابقة العراق، وما جرى من تجاهل تحذيراته بشأنها، ثم ماكان من غلبة أمراء الحرب الذين تعلوا أصواتهم اليوم مرددة ذات الأقوال والعبارات .. ربما حرفيا: وزيرة الخارجية الأمريكية أكدت أخيراً أن البرنامج النووى الإيرانى ودعمها للإرهاب فى الشرق الأوسط يمثلان أكبر تحد للمصالح الأمريكية فى المنطقة.

-٣-

فى كلمته أمام معهد واشنطن لسياسات الشرق الأوسط، اتهم «تشينى» إيران بانتهاج أسلوب الخداع والتضليل فى شأن برنامجها النووى ومحذراً من سوء العاقبة إزاء عدم استجابة إيران لطلب الغرب «إسرائيل» وقف الأنشطة النووية الحساسة وبأنها لن تسمح لدولة راعية للإرهاب «المقاومة» بامتلاك «سلاح» نووى محذرا بأن الولايات المتحدة ودولاً أخرى .. بسبيلها للتحرك ضد النظام الإيرانى، باعتباره عقبة متنامية فى طريق السلام «يقصد الاستسلام».

وهو فى ذلك محق حين يدعم النظام الإيرانى مقاومة المشروع الصهيونى فى المنطقة: فى فلسطين ولبنان وسوريا من هنا فإن ضرب إيران لايعنى فقط إجهاض مشروعها النووى، وإنما أيضاً قطع كل أذرعها فى دعم المقاومة فى المنطقة.

ولايبقى بعد ذلك لاستقرار المشروع الصهيونى، سوى تنفيذ المخطط الذى أشار إليه «ولسلى كلارك» فى مذكراته، التى نشرها فى أمريكا - وتضمنت إنذاره بمهاجمة دول عربية أخرى بعد العراق تقاوم التطبيع مع «الاحتلال».

ويتصل بحديث «تشينى» ماجاء على لسان المندوب الأمريكى السابق لدى الأمم المتحدة «جون بولتون» فى كلمته

فى مجلس العموم البريطانى أن الولايات المتحدة «ستضطر» للقيام بعمل عسكرى لإسقاط النظام الإيرانى لإصرار رئيسه «نجاد» على مواصلة برنامجه النووى، بما يمثله من تحد للغرب، وعدم الاكتفاء بتدمير المفاعلات النووية بضربات محددة ومركزة ، وضرورة أن تقترن بالإطاحة بالنظام الإيرانى وبرئيسه «نجاد» الذى وصفه بأنه «رأس الأفعى»!

وتتمثل نذر «التحرك» الذى أشار إليه نائب الرئيس فيما أورده تقرير لصحيفة «صنداى تايمز» البريطانية، والذى تضمن مايلى:

● قيام سلاح الجو الأمريكى بتشكيل «فريق سرى» مكلف بوضع اللمسات الأخيرة على خطة باسم «الحرب القادمة».

● تخطيط القيادة المركزية الأمريكية «سينكوم» منذ عامين لضرب إيران.

● فريق سرى باسم Check mate (كش ملك) مشكل من بين ٢٠ إلى ٣٠ من كبار ضباط سلاح الطيران وخبراء الحرب الإليكترونية، بقيادة كل من الجنرال «لورانس شتوتز ريم» والضابط الإسرائيلى السابق «لاڤى كاس» وهو على اتصال مباشر بكل من البيت الأبيض ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية وأجهزة مخابراتية أخرى، وترفع تقاريره

إلى قائد السلاح الجوى الأمريكي مباشرة «مايكل موسلى» هو تجديد للفريق الذى سبق وأعد خطة الهجوم الجوى على العراق على عام ١٩٩١ (حرب الخليج الثانية).

ثم تواترت أنباء الاستعدادات فى المنطقة فأضافت إلى أنباء سابقة، قيام القيادة الجوية الأمريكية بإنشاء مركز للحرب الجوية فى دولة الإمارات لتدريب طيارين حربيين فى دول الخليج أشبه بمركز «نيفادا» لسلاح الجو الأمريكى للحرب الجوية.

كما سبق لواشنطن عقد مؤتمر عسكرى حول الحرب الجوية للتنسيق وتبادل المعلومات المخابراتية مع دول الخليج لتسهيل العمليات المشتركة بين الطرفين، مع الإشارة إلى مشاركة الأردن والإمارات في تدريبات مشتركة.

ومع ذلك تبقى بدائل أخرى ويترأسها مجلس الأمن القومى الأمريكى لضربات تكتيكية توجه لقواعد الحرس الثورى يقوم بها السلاح الجوى الأمريكي.

وهو ما ذهب إليه الكاتب الأمريكى «سيمون هيرش» فى مقال نشرته الـ «نيويوركر» نقلا عن مسئولين سابقين «لم يكشف هويتهم» من أن الرئيس الأمريكى قد يستهدف مواقع الحرس الثورى الإيرانى متذرعاً بمشاركته فى دعم مقاومة القوات الأمريكية فى العراق بتوجيه صواريخ من البحر

لتدمير معسكرات تدريب الحرس الثورى ومستودعات المؤن ومنشآت القيادة والمراقبة، مع الإستعانة بكاسحات الألغام البريطانية فى الخليج لتطهيره من أى ألغام قد تزرعها إيران لايقاف مرور البترول، وهنا ينقل عن مسئولين كبار فى البنتاجون الأمريكى استعداد رئيس وزراء بريطانيا المشاركة فى عمل عسكرى ضد إيران بشرط إثبات تورطها فى هجمات ضد القوات البريطانية والأمريكية فى العراق، أو تكرارها لعملية الاحتجاز التى قامت بها مع البحارة االبريطانيين (مارس ٢٠٠٧).

ثم يشير الخبراء إلى الدور المنتظر لممر «هرمز» فى أى مواجهة قادمة:

وهذا الممر الذى يحده من الشمال الساحل الإيرانى (بندر عباس» وسواحل سلطنة عمان جنوباً بعرض نحو ٣٥ ك.م.

ويفصل مياه الخليج العربى من جهة وخليج مكران وبحر العرب والمحيط الهندى من جهة أخرى.

ويقع ممر السفن ضمن المياه الإقليمية لعمان، من هنا تخوف الخبراء من أن يصبح «مياهاً خطرة»، تبث فيه مئات الألغام بما يؤدى إلى إغلاق المضيق وتدمير حاملات الطائرات وإيقاف تدفق نحو ١٨ مليون برميل نفط يومياً إلى الدول الصناعية بما يرشح أسعار البترول لتخطى حاجز المائة دولار

للبرميل على أن يبقى «الإغلاق» سلاحاً ذا حدين: تقويض سوق البترول العالمية، والإضرار بمصالح دول تعتمد على بترول المنطقة مثل «اليابان حيث تمر ٧٠٪ من احتياجها من النفط من المضيق:

النفط الخام من أبوظبى، والغاز المسال من قطر.

ثم ما يعنيه الإغلاق من توقف صادرات النفط الإيرانية «٢ مليون برميل يوميا» من أضرار مادية بالغة، ويجرى حاليا تدارس أبعادها الاقتصادية من الجانب الإيرانى الذى أعلن بالمناسبة قدرته على إطلاق أحد عشر ألف صاروخ على أهداف معادية، فى الدقيقة الأولى للعدوان.

ثم جاء تقرير مدير عام وكالة الطاقة الذرية معلناً أن إيران حققت تقدماً جوهرياً بكشفها طبيعة برنامجها النووى المثير للجدل وأنها خطت خطوات مهمة نحو الشفافية بشأن أنشطتها النووية، وإن ذكر بعد ذلك أنها لم تحسم بعد مسائل رئيسية معلقة وانها وسعت عمليات تخصيب اليورانيوم رغم مطالبة الأمم المتحدة لها بوقفها وزادت عدد أجهزة الطرد المركزى إلى ثلاثة آلاف جهاز، باعتباره عددا يكفى لبدء إنتاج الوقود النووى على المستوى الصناعى وتخصيب كمية من اليورانيوم كافية لصنع قنبلة ذرية خلال عام!

وجاء التقرير مواكباً لحديث مدير الوكالة لقناة CNN

حيث ذكر:

● أنه سيكون سعيداً لو أمدته واشنطن بما لديها من معلومات لا تملكها الوكالة عن البرنامج النووى الإيرانى.

● المجتمع الدولى ينبغى أن يتجنب الحديث عن الحرب قبل استنفاد الطرق الدبلوماسية على نحو ماتم مع كوريا الشمالية وأثمر نتائج طيبة بشأن برنامجها النووى.

● أن التهديد الأمريكى بشن الحرب من قبيل صب الزيت على النار، محذراً من أن استخدام القوة العسكرية ضد إيران سوف يشعل حريقاً عالمياً.

وكانت الأنباء قد تواترت عن إقامة قاعدة عسكرية دائمة فى الخليج قرب أرصفة ضخ البترول العراقى فى «خور العمية» باسم «مركز العمليات التكتيكية»، كمحطة إنذار مبكر بزعم حماية الثروة الاستراتيجية البترولية حيث يقدر إنتاج (خور العمية) والبصرة بنسبة ١٠٪ من بترول العالم على أن تنتهى العمليات الإنشائية قبل نهاية العام!

وهو مايكشف معدل السرعة فى استعدادات الحرب، بالتوازى مع تشكيل لجان عمل استراتيجى أمريكية - إسرائيلية بشأن ملف إيران النووى.

وكان الملف محور لقاءات القمة الأخيرة للرئيس الأمريكى مع قادة فرنسا وألمانيا وبريطانيا.

وفى الوقت الذى استعاد فيه رئيس وزراء بريطانيا بعض التوازن مع الحليف الأمريكى، كان الرئيس الفرنسى يعلن خلال زيارته الأخيرة تجديد التحالف والصداقة الفرنسية الأمريكية، موكداً أن فرنسا والولايات المتحدة أصدقاء حلفاء منذ الأزل وأنه جاء واشنطن حاملاً رسالة بسيطة مباشرة، إنه «يتمنى لو أعاد غزو قلب أمريكا إلى الأبد»، وإن البلدين يواجهان تحديا مشتركاً هو الانتشار النووى والإرهاب والتطرف الدينى، ثم يؤكد على أهمية وقف برنامج إيران النووى.

والذين يذكرون سياسة الرئيس الفرنسى الراحل شارل ديجول ومدى اعتزازه وحرصه على استقلال سياسة فرنسا الخارجية ومقاومتها لنفوذ القوة العظمى الطامح لفرض هيمنته على أوروبا انطلاقا من «مشروع مارشال» وإسهامه فى إعادة بنائها بعد الحرب العالمية الثانية، الذين يذكرون تلك السياسة التى حرص عليها كل خلفائه، يمكنهم إدراك أبعاد التحول عنها أخيراً.

ورغم تأكيد ألمانيا - على لسان وزير خارجيتها - أن هناك اتفاقا دوليا على ضرورة الحيلولة دون انتشار الأسلحة النووية فى منطقة الشرق الأوسط إلا أنه انتقد التهديد بضرب إيران وبإشعال حرب عالمية ثالثة محذرا من محاولة حل

الأزمة بمغامرة عسكرية.

كما عبرت إيطاليا - على لسان رئيس وزرائها - عن معارضة أى حل عسكرى لما يسمى بأزمة إيران النووية مع إقرار حقها فى استخدام الطاقة النووية لأغراض مدنية.

وفى واشنطن، تصاعدت فى الكونجرس الأمريكى أصوات نواب الحزب الديقراطى محذرة من دق طبول الحرب ضد إيران ومتعهدة باستخدام جميع الوسائل لمنع الولايات المتحدة من الدخول فى نزاع جديد.

وكان الاتهام الصريح من النائب الديمقراطى (ديڤازيو) بدق طبول الحرب باعتبارها كارثة على الولايات المتحدة وكارثة على المنطقة وكارثة على القوات الأمريكية فى العراق وفى الخليج.

بينما أكد نائب ديمقراطى آخر (ماكديرموت) على أن المادة الأولى من الدستور الأمريكى تنص على أن الكونجرس وحده هو صاحب الحق فى إعلان الحرب وإرسال القوات للقتال وليس الرئيس.

على أن كل تلك الأصوات العاقلة والمحذرة قد ضاعت صخب وسط الحملة الجائرة التى طالت مدير عام وكالة الطاقة الذرية المصرى مطالبة بتنحيته بزعم أنه عائق أمام تشديد العقوبات على إيران وأنه ليس من أنصار إسرائيل!

وقد تزعم الحملة أقطاب الحكومة الإسرائيلية: نائب رئيس الوزراء «موفاز» ووزير الخارجية (الكاريزمى) ليبرمان الذى زعم أن موقف مدير الوكالة يفسح مهلة لإيران ويساندها فى تكتم برنامجها النووى، ولم يكتف بذلك بل وصف إعلان مصر والسعودية بدء العمل على استخدام الطاقة النووية لتوليد الطاقة أنه «سيناريو كارثى» وهو مدرك أن مصر لاتفكر فى أى استخدام غير سلمى، وإنما المشكلة لديه أن دخول مصر عصر الطاقة النووية يعنى نقلة علمية نوعية لها مردودها على كل مناحى الحياة.

على أن ما يلفت النظر فى التطاول على مدير عام الوكالة أنه جاء ممثل الدولة التى وقف أمامها عاجزاً إزاء امتلاكها (الفعلى) للسلاح النووى، وإزاء خروجها على الإجماع الدولى برفض توقيع معاهدة منع الانتشار النووى ورفضها إخضاع أنشطتها النووية للمراقبة والتفتيش .

ثم يخرج المتحدث باسم الخارجية الإسرائيلية ليقول: «هناك مسئولون أجانب يخدمون مصلحة إيران من خلال إسهامهم فى الاستراتيجية الإيرانية المتمثلة فى المماطلة!».

بينما هو يعلم تماما من هى الدولة التى تمارس سياسة المماطلة: فى الكشف عن قدراتها النووية وفى الاعتراف بالحق الفلسطينى ورد ما اغتصبته من أراض عربية بقوة

السلاح، وآخر حلقات المماطلة أنها بدلاً من التجاوب مع مبادرة السلام العربية التى تقدم لها علاقات طبيعية كاملة مقابل التخلى عن ما اغتصبته، إذا بها تجهض آخر المحاولات الأمريكية (مؤتمر الخريف) لتحيله إلى مجرد إعلان مبادئ يلحق بإعلان أوسلو ١٩٩٣ الذى لم ينفذ حتى الآن! ليلحق به بعدها إعلان أنابوليس (٢٠٠٨).

وأيا كانت النتائج الهزيلة التى خرج بها الإعلان، فقد جرى إهدارها باستخفاف بالغ.

– أولا: بسحب الولايات المتحدة مشروع قرار كانت قد تقدمت به إلى مجلس الأمن غداة اللقاء، بعد تحفظ إسرائيل عليه بزعم (تدويل القضية)، اتساقا مع موقفها الرافض لأى تدخل للمنظمة الدولية مهما كان شكليا أو عديم التأثير، حيث لم تتجاوز بنودالقرار:

– دعوة جميع الدول لتقديم دعمها الدبلوماسى والسياسى للجهود الفلسطينية والإسرائيلية لتطبيق برنامج العمل المتفق عليه فى «أنابوليس» بما فى ذلك تشجيع التقدم والاعتراف به ومنع أى دعم لأعمال العنف أو الإرهاب.

– دعوة كل الدول والمنظمات الدولية القادرة للمساعدة فى تنمية الاقتصاد الفلسطينى بما فى ذلك مؤتمر باريس للدول المانحة.

– ثانيا : بإعلان رئيس وزراء إسرائيل للآته الثلاثة:
– لا للحرم القدسى.
– لا التزام بموعد نهائى للتفاوض.
– لا اتفاق قبل تفكيك أو تصفية الإرهاب (المقاومة).
(رغم أن قوات الاحتلال تقوم بهذه المهمة على مدار الساعة).
– ثالثا : دعوة أو بدعة الدولة اليهودية التى أطلقتها فى «أنابوليس» للالتفاف حول قرار الأمم المتحدة رقم ١٩٤ / ٤٩ الذى يقضى بحق اللاجئين فى العودة والتعويض.
إلى جانب سائر قرارات الأمم المتحدة الداعمة لمبدأ الانسحاب والرافضة لمبدأ اكتساب الأراضى بالغزو وفى مقدمتها القرارات ٢٤٢ و٣٣٨ و١٣٩٧ و١٥١٥ وفتوى محكمة العدل الدولية (الجهاز القضائى للأمم المتحدة) التى تقضى بإزالة الجدار العازل الذى يغتصب مزيدا من الأراضى الفلسطينية ويقسم قراها ويضاعف من معاناة سكانها.
رابعا: تصريح وزيرة الخارجية الأمريكية المواكب للمؤتمر برفضها فرض أى حل على إسرائيل باعتبار ذلك خطا أحمر!
ثم نفيها إدراج مرتفعات الجولات المحتلة على جدول الأعمال بعد أن أعلنت سوريا مشاركتها على هذا الأساس.
وقد صادرت بذلك على محصلة جهودها واتصالاتها لعام

كامل وجولاتها الثمان فى المنطقة.

خامسا: تصريح وزير الدفاع الأمريكى (جيتس) دفاعا عن تهديد أسلحة إسرائيل النووية لأمن المنطقة وزعمه أنها لا تهدد جيرانها ولا تحاول زعزعة استقرار حكوماتها ولا تدرب إرهابيين! ومطالبته دول المنطقة بالتعاون لمواجهة تهديدات إيران! فى الوقت الذى تبحث فيه إسرائيل توجيه ضربة منفردة لها. حال تراجع الحليف الأمريكى عن القيام بها.

وقد كان أمام حكومة إسرائيل عقب المؤتمر ملاحقة نتائجه وتداعياته الداعمة لتوجهات المقاومة (حماس) اليائسة من استعداد إسرائيل للتخلى عن ما اغتصبته من أراض، فكان ما شهدناه من حصار وتجويع غزة وخفض إمدادها بالطاقة كعقاب جماعى ثم تكثيف الغارات والقصف الجوى والاغتيالات والاعتقالات للاجهاز على المقاومة الفلسطينية وتصفيتها، لتفرغ بعد ذلك لهدفها الحقيقى وهو تجفيف منابع دعم المقاومة سواء فى فلسطين (حماس) أو لبنان (حزب الله) وفى نفس الوقت إجهاض طموحات إيران كقوة إقليمية فى المنطقة.

فكان أن هبت حكومة إسرائيل غداة «أنابوليس» لملاحقة تداعيات تقرير الاستخبارات الأمريكية (فى ١٥٠٠ صفحة شاركت فى إعداده ١٦ وكالة أمريكية) أكدت فيه تخلى إيران

عن برنامجها النووى منذ عام ٢٠٠٣ (غزو العراق!):

– انبرى محامى (الدولة اليهودية) الأشهر (كيسنجر) فاعتبر التقرير مشوبا بثغرات كثيرة حيث ركز على جانب واحد من البرنامج النووى (تصنيع الرؤوس النووية) وأغفل أنشطة إنتاج المواد الانشطارية الذى تزايد منذ عام ٢٠٠٦ وبرنامج تطوير الصواريخ الأبعد مدى.

– ذكر رئيس وزرائها أن إيران ستخصب الكمية اللازمة من اليورانيوم لإنتاج سلاح نووى قبل ٢٠١٢ مع مواصلتها تطوير الصواريخ البالستية لحمله.

وأكد نائبه (حاييم رامون) أن إيران لا تزال دولة خطرة يجب منعها من الوصول للسلاح النووى!

– أما سفيرها لدى بريطانيا (رون بروزو) فقد ذكر أن وقوع مواجهة عسكرية مع إيران مسألة حتمية.

– وانضم إليه السفير الأمريكى السابق لدى الأمم المتحدة (جون بولتون) فاعتبر التقرير إنقلابا من جانب المخابرات على الرئيس الأمريكى كما وصفه بالتناقض وبافتقاد الأدلة الكافية، بل وزعم أن النظام الإيرانى وراء تسريب معلومات مغلوطة لخداع العالم!

– وبمناسبة زيارة قائد الأركان الأمريكية المشتركة لإسرائيل ذكر (مايكل مولن) أن إيران تشكل أكبر تهديد

للمنطقة رغم تقرير المخابرات الأمريكية وكان فى محاضرة سابقة قد أعرب عن تفهمه وبلاده لمخاوف إسرائيل تجاه إيران باعتبار أن رؤيتها للشأن العالمى أمر بالغ الأهمية لبلاده وله كقائد عسكرى أمريكي.

– وانضم إليه (جون كيرى) المتحدث الرسمى باسم هيئة الأركان الأمريكية المشتركة فذكر أن إيران حاولت فى الماضى تطوير قدرات نووية ويمكنها استئناف ذلك، مضيفا دورها فى دعم المنظمات الإرهابية (المقاومة)!

ولم يكن هناك مفر للمخابرات الأمريكية من الخروج عن الصمت التقليدى:

نائب المدير (رونالد كير) أكد ثقته فى صواب التحليلات التى انتهى إليها التقرير، باعتبارها مهمة أجهزة المخابرات القائمة على التوصل إلى تحليل موضوعى قائم على حقائق.

ويعيدنا تقرير المخابرات مع تقرير مدير وكالة الطاقة الذرية ورفض الإدارة الأمريكية لهما، بضع سنوات للوراء، وإلى تقارير مماثلة نفت حيازة العراق لأسلحة دمار شامل، جرى تجاهلها والمضى قدما فى الإعداد لضرب العراق استجابة لمطلب إسرائيلى ملح يرفض تنامى أى قوة إقليمية فى الجوار حتى لو كان العائد إشاعة الخراب والفوضى، تماما كما سيحدث استجابة للمطلب الإسرائيلى الجديد، ثم

تواتر نبأ عن إعادة تعيين بول ولفوتيس مهندس غزو العراق رئيسا لهيئة استشارية تابعة للخارجية الأمريكية، تقدم مشورة مستقلة في شئون الأمن الدولي ونزع السلاح واستخدامه!

هذا رغم أن التقرير الأمريكي يعزز توجهات المجتمع الدولي لمواصلة التفاوض مع إيران على نحو ما شهدنا من ترحيب الخارجية الألمانية وموسكو وبكين بل و«الديمقراطيين» في واشنطن، إلا أن الرئيس الأمريكي ونائبه ووزيرة خارجيته بادروا للتأكيد على أن إيران، كانت ومازالت وستظل خطرة!

ويذكر للسفير الأمريكي السابق في إسرائيل (دان كيرتزر) تلخيصه للمفهوم الأمريكي للوضع في المنطقة بأن حرب الرئيس الأمريكي على الإرهاب جعلته أكثر فهما وإحساسا باحتياج إسرائيل وأمنها!

بينما ذهب سفير أمريكي يهودي سابق في فرنسا: «جون جونتر» إلى أن استخدام الحق الديني التاريخي لليهود في أرض فلسطين كان قناعا يخفي نوايا استيطانية خالصة لها كل مقومات الاستعمار المعروف منذ القرن ١٩،مضيفا في حديثه لمجلة «جين افريك» أن أي تسوية تغفل حقوق أحد الأطراف تضع في نفس الوقت بذرة الحرب القادمة، وأن خمسة ملايين إسرائيلي لن يصمدوا تاريخيا أمام مليار مسلم

وأن السلاح النووى الإسرائيلى مجرد خدعة يطمئن بها الإسرائيليون أنفسهم، بينما يعرف العالم أنهم لن يستخدموه أبدا.

وأيا كان ما يقال عن ضعف حكومة إسرائيل وصدور التقرير النهائي بلجنة التحقيق في سوء إدارتها لحرب لبنان فقد واصلت تنفيذ مخطط توسيع المستوطنات وتهويد القدس العربية وبناء مستعمرة جبل أبو غنيم وتوسيع مستعمرة معالى أدونيم الملاصقة لاستكمال عزلها عن محيطها العربى ومواصلة بناء الجدار العازل.

واتساقا مع موقفها السائد لمطلب إسرائيل إبعاد الأمم المتحدة عن القضية الفلسطينية، اعترضت الولايات المتحدة (عشية اليوم المحدد لبدء المفاوضات الفلسطينية - الإسرائيلية) على خمس قرارات اعتمدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة بأغلبية ساحقة:

الأول: يحث الطرفين على تنفيذ خريطة الطريق وصولا لتسوية القضية مؤكدا ضرورة انسحاب إسرائيل من الأراضى الفلسطينية المحتلة منذ ٦٧.

الثانى: يدعو لبطلان أية إجراءات لفرض قوانين وولاية إسرائيل على القدس الشرقية باعتبارها غير قانونية وليس لها أية شرعية.

الثالث: مطالبة (إعلام الأمم المتحدة) بمواصلة برنامجه الخاص بالقضية الفلسطينية لتعزيز الحوار والتفاهم بين الطرفين وصولا للتسوية السلمية.

الرابع: تعبئة الدعم الدولي لمساعدة الشعب الفلسطيني.

الخامس: يطالب أمانة المنظمة تزويد شعبة حقوق الفلسطينيين بالموارد التي تكفل أداء مهمتها.

وعلى أية حال، فإن إسرائيل وحلفائها، لم تكد تنتهي من التعامل مع تقرير المخابرات المركزية، حتى نشطت لاحتواء تداعيات مشاركة الرئيس الإيراني في قمة مجلس التعاون الخليجي، والتي أتاحت له إغراء مضيفيه باثني عشر اقتراحا تتضمن فتح أبواب الاستثمار والسياحة، وإلغاء التأشيرات وتبادل الخبرات والتدريب وعروض بإمدادات للمياه والغاز وربط للسكك الحديدية مع إقامة مؤسستين للتعاون الاقتصادي والأمني وكلها اقتراحات رحبت بها القمة في بيان رئاسي، إضافة إلى دعوته لعقد القمة المقبلة في طهران.

وهي اقتراحات تكفي لتزيغ الأبصار كبديل لبقاء القواعد العسكرية الأمريكية في الخليج!

وقد تحسبت إسرائيل ورموزها في واشنطن لنتائج المشاورات الأمريكية الإيرانية بشأن تحقيق أمن واستقرار العراق، وما تعنيه من أهمية إيران ودورها لدى واشنطن،

مثلما تحسبت لنتائج زيارة الرئيس الإيرانى للسعودية لأداء فريضة الحج بدعوة من عاهلها! فكان اتهام وزير دفاع إسرائيل (باراك) للرئيس الأمريكى بأنه غير منطقى وبالفشل فى حشد المجتمع الدولى وراء الحملة ضد إيران.

كما رأينا، فإن اللقاءات الأمريكية الإسرائيلية، كل اللقاءات، سواء كان على مستوى الرؤساء أو الوزراء، تعطى الأولوية الأولى، للملف الإيرانى، والتخطيط لإيقاف نموها الإقليمى: العسكرى والاقتصادي والسياسى.

وهكذا احتل الملف الإيرانى مكان الصدارة فى لقاءات كبار المسئولين فى البلدين، وفى المرتبة الثانية جرى مراجعة «جرعات التخدير» المطلوب للفلسطينيين وللمنطقة من حولهم:

إطلاق سراح سجناء ضاقت بهم سجون إسرائيل - على اتساعها - لإفساح المكان لإضعاف عددهم.

أو الإفراج عن بعض من أرصدة حصيلة الضرائب المستحقة للفلسطينيين والتى تحتجزها جمارك إسرائيل.. إلخ.

أما وقف الاجتياح والاغتيال الهمجي والمنهجى :مائة وستون شهيدا خلال أيام وتجريف الأراضى ومواصلة إقامة المستعمرات فى الأراضى المغتصبة فلم تطرح للحساب أو للمراجعة.

وبينما كان تقرير المخابرات الأمريكية بشأن وقف إيران

لبرنامجها النووى منذ عام ٢٠٠٣ مهدئا ومطمئنا للمجتمع الدولى ولعواصمه: موسكو بكين برلين بل وللمعارضة الديمقراطية الأمريكية ذاتها فإن «الدولة اليهودية» أزاحته جانبا وواصلت اتصالاتها المحمومة لملاحقة إيران ابتداء بقرار جديد (ثالث) من مجلس الأمن لتشديد العقوبات ضدها من تجميد أرصدة فى البنوك وتقييد تحركات قادتها إلخ..

وقد أكد رئيس وزرائها فى أحد تصريحاته «إن الظرف الدولى مناسب جدا لإسرائيل حيث هيأت لها «العناية الإلهية» مساندة كل أقطاب العالم: باراك. ساركوزى.. ميركل.. براون.. وكلهم أصدقاء مخلصون لإسرائيل.. ثم تساءل:هل يمكن وجود تركيبة أكثر إيجابية من ذلك؟».

ولم يكن غريبا أن يكون الرئيس الأمريكى أول من يؤمن على ذلك حين أعلن فى حديث للتليفزيون الإسرائيلى عشية زيارته - دون مناسبة - إن أى هجوم إيرانى على إسرائيل سيكون معناه اندلاع حرب عالمية ثالثة!

فكان ما شهدناه من تضخيم إعلامى لحادث تحرك خمس قوارب إيرانية حول ثلاث سفن أمريكية حربية فى مضيق هرمز، واستثماره لاستعداء الحليف الأمريكى واستنفاره ضد إيران.

وقد سبق لها فى الماضى (مارس ٢٠٠٧) أن استنفرت

وسائل إعلامها لتضخيم حادث احتجاز البحارة البريطانيين (١٥) وضبط سفنهم داخل المياه الإقليمية الإيرانية.

وسمعنا تصريحا لوزيرة الخارجية الأمريكية يصور ما حدث في مضيق هرمز باعتباره تهديدا إيرانيا للدول العربية! وأن الولايات المتحدة لن تتردد في الدفاع عن أصدقائها العرب في مواجهة النفوذ الإيراني! وأن السعودية ستحظى بحماية أمريكية في مواجهة التهديد النووي الإيراني!

وكشفت الصحف الإسرائيلية (يديعوت أحرونوت) أن الملف النووي الإيراني كان محور لقاء القيادتين الأمريكية - الإسرائيلية:

- حيث جرى اطلاع الأول على حصيلة ما جمعته أجهزة مخابرات الثاني من وثائق وتحاليل وصور الأقمار الصناعية.

- مع الحرص على تهميش تقرير أجهزة المخابرات الأمريكية.

- التركيز مرحليا على استصدار قرار ثالث لمجلس الأمن تضييقا للخناق على إيران تهيئة للأجواء لعمل عسكري جرى بحث تفاصيله.

وتوالت تصريحات الرئيس الأمريكي في هذا الاتجاه:

- تأكيده أنه سيتدخل للدفاع عن تل أبيب في حال تعرضها لهجوم.

- إن بلاده لن تدع إسرائيل وحدها فى صراعها مع إيران وأنه لو كان من إسرائيل لأخذ أقوال الرئيس الإيرانى بجدية وهو ما يفعله.

- وفى إشارته إلى تقرير المخابرات الأمريكية حول برنامج إيران النووى ردد مقولته إن إيران مازالت تمثل تهديدا.

- مؤكدا أن الإيرانيين لن يهاجموا إسرائيل فى المستقبل القريب لإدراكهم أنهم سيواجهون ردا قاسيا.

وقد واكبتها تصريحات لوزير الأمن العام الإسرائيلى (آفى ريختر) عن تطوير إيران لصواريخ يزيد مداها على ألفى كليو متر يراها قادرة على أن تطول: مصر والسعودية وليبيا.. إضافة إلى شرق إفريقيا.. وجنوب اليونان!

محذرا من مسعى إيران لأن تصبح قوة إسلامية عظمى بفضل امتلاكها أسلحة متطورة!

وينتهى الملف الإسرائيلى بالتركيز على إقناع الرئيس الأمريكى بإمكان توجيه ضربة عسكرية إسرائيلية ضد منشآت تخصيب اليورانيوم، تحت مظلة أمريكية.

فإذا كان ضرب إيران مطلبا إسرائيليا فقد عززته باقناع حليفتها بأن خلق خطر جديد فى المنطقة ضرورة لاستبقاء القواعد والهيمنة الأمريكية عليها بعد أن استنفدت ورقة

العراق أغراضها.

ورغم القلادة الذهبية الثمينة التى تلقاها فى أبوظبى فإن الرئيس الأمريكي وهو يسوق لضرب إيران لدى دول الخليج أسقط أية إشارة إلى قضيتها الوحيدة مع إيران وهى احتلال الجزر الثلاث: طنب الصغرى والكبرى وأبو موسى، والتي كان من شأن ذكرها ربما إعطاء بعض المصداقية لدعواه لدى دول الخليج.

وكما نرى فإن حكومة إسرائيل لا تتورع عن فرض مصالحها على العالم ففى زيارته لألمانيا، سعى رئيس وزراء إسرائيل لحث الحكومة الألمانية على تحجيم علاقاتها الاقتصادية مع إيران حيث بلغت صادراتها نحو ٤ مليارات دولار، مع جس النبض فيما يتعلق بالخيار العسكرى، وهو ما لم يلق استجابة بل أعلنت المستشارة رفضه والاتجاه لتشديد العقوبات مع الاحتفاظ بسياسة التعاون تشجيعا لحكومة إيران لانتهاج الاعتدال.

ولم يكن غريبا أن تستبق حكومة إسرائيل تقرير مدير الوكالة الدولية للطاقة الذرية بتصريحات لمندوبها الدائم فى الأمم المتحدة (جيلرمان) زعم فيها أن مدير الوكالة برهن فى السنوات الأخيرة على تساهل مبالغ فيه وغير مفهوم حيال سباق التسلح الذى تمارسه إيران، ومحاولته تفهم الإيرانيين، وتقليل أهمية الأمور بشكل منهجي.

وهو تصريح يصدر عن مندوب دولة هى الأسبق فى التسلح وعلى مستوى العالم وهى الحائزة للترسانة النووية الوحيدة فى المنطقة ثم هى المتنكرة لكل المواثيق والاتفاقيات الدولية.

وقد كشفت الصحيفة البريطانية (الجارديان) مؤخرا أن

الوثيقة السرية بشأن أسلحة الدمار الشامل لدى العراق (وكان ذريعة لغزوه) تضمنت عشرة أنشطة نووية مهمة لإسرائيل وعشرين نشاطا أصغر خلال الأعوام الخمس السابقة على عام الغزو ٢٠٠٣ وذكرت أنها كلها أنشطة خارج قوانين الأمم المتحدة.

ورغم أن تقرير مدير الوكالة جاء مسجلا لزيادة تعاون إيران في تقديم تفاصيل برنامجها النووي، إلا أنه عبر عن شكوك (خطيرة) حول طبيعة البرنامج العسكرية مطالبا إيران بمجهود أكبر لإيضاح ما قدمته من وثائق ومؤكدا على أهمية ردها على وثائق غربية تناولت:

- قيامها بتصميم رؤوس حربية.
- إجراء تجارب على متفجرات.

وكان رد فعل واشنطن معربا عن خيبة الأمل إزاء التقرير ومؤكدا على ضرورة استصدار قرار جديد من مجلس الأمن إلى جانب ١٧٣٧ و١٧٤٧ بتشديد العقوبات وقد صدر برقم ١٨٠٢ متضمنا:

- تفتيش الشحنات الخاصة بشركتي الشحن الجوى والبحرى الإيرانيتين.
- تشديد العقوبات على بنكين إيرانيين.
- حظر سفر المسئولين عن البرنامج النووى!

بينما اعتبر رئيس الكنيست الإسرائيلى أن العد التنازلى لإنجاز برنامج إيران النووى قد بدأ، وأن الضغوط التى تمارس ضدها غير فعالة.

وبطبيعة الحال فإن الحكومة الإسرائيلية تتلقف ما يصدر عن طهران من تصريحات (نارية) لتغذى بها حملة استنفارها للمجتمع الدولى.

ومنها خطبة أخيرة لرئيسها فى جماهير مدينة بندر عباس:

«إن قوى العالم أنشأت جرثومة قذرة سوداء تدعى الكيان الصهيوني وأطلقته كحيوان مفترس على دول المنطقة وإن الدول العظمى قدمت له السلاح بمليارات الدولارات لتجعل منه (فزاعة) لتخويف دول المنطقة والهيمنة عليها».

ثم رسالة قائد الحرس الثورى الإيرانى إلى أمين حزب الله (نصر الله) بمناسبة اغتيال قائده العسكرى (مغنية):

«سنشهد فى وقت قريب دمار الجرثومة السرطانية الإسرائيلية بأيدى مقاتلى حزب الله الأشداء».

ولم يكن غريبا بعدها، أن نرى أقرب الأصدقاء ينأى بنفسه، فيوجه المندوب الروسى لدى الأمم المتحدة تحذيرا لطهران بوقف تخصيب اليورانيوم، وإلا فإن بلاده سوف تدعم إصدار قرار بعقوبات جديدة من مجلس الأمن.

ثم كان خبر إقامة قاعدة عسكرية فرنسية فى أبوظبى تطورا أو منعطفا حادا في المنطقة له دلالته من حيث:

- جدية فرنسا فى مواجهتها للنظام الإيرانى ومشروعه النووى.
- مدى التنسيق والتعاون بين باريس وواشنطن وتل أبيب.
- قبول واشنطن بتواجد منافس قوى في منطقة كانت حكرا على النفوذ الأنجلوأمريكى، بضغط من صاحب المصلحة الأولى بطبيعة الحال.

وكان الرئيس الفرنسي خلال زيارته لإسرائيل قد أشاد بها باعتبارها «معجزة القرن العشرين».

وكان قراره مؤخرا بتدريس تفاصيل وقائع «الهولوكوست» أو المحرقة اليهودية فى الفصول الثانوية بدعوى تبديد أية مشاعر ضد السامية لدى النشء، إضافة إلى قانون جيسيو الفرنسى الذى يجرم أى فكر معاد للسامية.

ومع ذلك فحين خرج الرئيس الفرنسى عن طريقه Out Of his Way فى كيل المديح والإشادة بإسرائيل وبطولتها، لم يكن لأحد إن يتوقع أن يخرج عن طريقه، مرة أخرى ، ولكن هذه المرة لمواجهتها بما يجب أن تواجه به ، ليس فى تصريحات عابرة، أو صحفية، ولكن فى خطاب تاريخى .. فى عقر دارها : فى «الكنيست» ..

«هناك واقع يقول أن هناك شعبا وأرضا وأملاكاً للشعب الفلسطينى ، وأن له روحا ورغبة فى الحياة» .

ثم اقترح على المجلس التشريعى الإسرائيلى «إقرار قانون بتعويض المستوطنين وتوفير مساكن جديدة لهم تشجيعا لمستوطنى الضفة على إخلائها» .

«إن موقف فرنسا ثابت بشأن الوضع النهائى لمدينة القدس والتى يجب أن أن تندرج ضمن المسائل التى يتم التفاوض بشأنها بين الأطراف، وفقا للقانون الدولى» .

ويمكن أن تصبح عاصمة للدولتين الفلسطينية والاسرائيلية .

- مطلوب تجميد كامل للاستيطان بما فى ذلك الأنشطة التى تنسب للنمو الطبيعى ، وهو ما يسرى فى شأن القدس الشرقية» .

وهو فى ذلك ينطلق من حس أو إدراك سياسى بأن مصلحة اسرائيل الحقيقية وتحقيق السلام الدائم يفترض علاجا جذريا لكل متطلبات السلام واقرارا بالحقوق الشرعية للطرف الآخر «الفلسطينيين» ، أخذا فى الاعتبار تماثل تعداد الطرفين (نحو ٥ ملايين) وان التعايش والانفتاح بين الطرفين يفرض عليها التخلى عن كل الأراضى التى احتلها عام ١٩٦٧ .

والرجل فى جرأته وشجاعته ، اقترب كثيرا من رجل الدولة (الأمريكى) كارتر الذى عودنا على قول الحق ، وإن لم يكن لكل ما قاله ، على قوته ووفرته ، أدني صدى لدى الطرف المعني (إسرائيل) شأنه فى ذلك شأن كلمة ساركوزى في الكنيست ..

على أية حال ، فإن مسألة السلام مع الفلسطينيين تبدو آخر ما يشغل بال اسرائيل فى الوقت الحاضر - أو فى أى وقت مضى أو قادم - الذى يشغلها هو الحرب ، أو العدوان على مشروع إيران النووى ومع تدميره ، إجهاض نهضتها العلمية والاقتصادية والعسكرية، واعادتها بضعة عقود إلى الوراء ، تماما كما فعلت مع جارة أقرب (العراق) خاصة وأن الوقت دهمها لتحقيق حلمها أو مخططها ، بعد ذهاب (بوش) الرئيس الأمريكي ، الذى قدم نفسه حليفا قل أن يجود بمثله الزمان انصياعا لاملاءاتها وانسياقا وراء نزواتها ومباركة لجرائمها التي بررها بحق الدفاع عن النفس.

ولم يكن غريبا بعد ذلك أن يردد رئيس وزراء اسرائيل ان بلاده لا تستطيع أن تتعايش مع ايران النووية، ومن الضرورى وقف أنشطتها النووية بكل الوسائل الممكنة.. وإن اسرائيل والولايات المتحدة مصممتان على العمل المشترك من أجل منعها من الحصول على القنبلة» .

(أما المائة وخمسون قنبلة نووية التى أكد الرئيس كارتر مؤخرا حيازة اسرائيل لها ، فإن على جيرانها التعايش معها) ..

على أية حال فقد تعالت دعوة الحرب .. وتعدد أمراؤها :

- نائب رئيس الوزراء (موفاز) : «إن اسرائيل جاهزة للقيام بعمل عسكرى منفرد ضد ايران إذا تقاعس المجتمع الدولى عن القيام بمسئولياته لمنع ايران من حيازة السلاح النووى .

(يبدو أنه لم يفطن بعد الى تقاعس المجتمع الدولى عن مطالبة بلاده بالتخلى عن قنابلها المائة وخمسين . أو عن محاسبتها على جرائم الحرب والإبادة الجماعية وحصار الجوع التى تقترفه يوميا فى حق الشعب الفلسطينى) .

- سفير اسرائيل فى واشنطن (سالدى ميريدور) الذى وصفها بأنها أكبر تهديد (للغرب) ! والاستقرار العالمى . وأن التصدى لطموحات إيران النووية بات ملزما للعالم وان السكوت عنها جريمة ! . ثم مقارنا (بالهولوكوست) باعتبار أن التهديد به جرى قبل وقوعه بسنوات !

وهى مغالطات تتجاهل سياسة بلاده الاستعمارية الغاصبة للحقوق الفلسطينية والممارسات الباطشة لقوات الاحتلال التى جعلت من الأراضى الفلسطينية سجنا كبيرا

يضيق بأهله ويحيل حياتهم جحيما مقيما .

بينما يطرح وزير الاسكان الاسرائيلى المناقصات لانشاء مئات الوحدات السكنية الجديدة فى أراضى الضفة بما فيها القدس الشرقية .

- مواصلة تهيئة المجتمع الدولى واستكمال الاستعدادات والترتيبات العسكرية والاقتصادية ، بما فى ذلك عمليات الخداع اللازم أو المطلوب على نحو ما نشرته الواشنطن بوست مؤخرا من دراسة فتح مكتب تمثيل لرعاية المصالح فى طهران بعد ثلاثين عاما من تجميد العلاقات الدبلوماسية معها .

وبفرض صحة هذا التوجه إن النية ليست إذابة الجليد فى العلاقات بين البلدين بقدر ماهى فتح قنوات التواصل المباشر مع المنشقين والطلبة واتاحة تأشيرات دخولهم للولايات المتحدة .

وهو ما أشارت إليه وزيرة الخارجية الأمريكية من رغبة بلادها فى زيارة مزيد من الايرانيين .. وإيفاد بعثة رياضة أمريكية لإيران .

هذا فى الوقت الذى كان الاتحاد الأوروبى يفرض فيه مزيدا من العقوبات الاقتصادية على ايران ، وينشر قائمة بأسماء ٣٥ مؤسسة ايرانية وأشخاص طبيعيين شملتهم

العقوبات الاقتصادية وفى مقدمتها اكبر بنوك ايران (بنك مللي) وله ٣١٠٠ فرع منها ١٦ فى الخارج أهمها فى لندن وباريس وهمبورج وذلك بحجة دعمه للشركات ذات الصلة بالمشروع النووى ، ولشركة صناعة الطيران الايرانية .

مع تجميد أرصدة من وردت أسماؤهم فى القائمة فى البنوك الأوروبية ومنعهم من دخول دول الاتحاد الأوروبى .

بينما قدمت الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن ألمانيا لإيران حزمة من الحوافز (٢٥ عرضا) منها مساعدات سياسية ومالية وتجارية وزراعية، ودعم لمشروعها النووى السلمي بمساعدتها لبناء مفاعل يعمل بالماء الخفيف مستفيدا من التكنولوجيا المتطورة مع ضمانات قانونية للالتزام بتقديم شحنات الوقود النووى، وتطبيع للعلاقات الاقتصادية والتجارية بين ايران والعالم بما فيها المنظمة العالمية للتجارة، وذلك مقابل تخلى ايران عن تخصيب اليورانيوم، وهو ما رفضته إيران باعتباره شروطا مسبقة.

ولم تضيع اسرائيل وقتا لاستثمار هذا الرفض، فخرج خبراؤها يعلنون أن إيران يمكنها الحصول على سلاح نووى خلال عام مع نشاط أجهزة الطرد المركزى التى تنتج كيلوجراما من اليورانيوم المخصب يوميا . ثم كانت مناورات سلاح الطيران الإسرائيلى بمشاركة مائة طائرة F15 ،

F16 فى إطار التدريب العملى على قصف جوى لمنشآت ايران النووية وصواريخها بعيدة المدى . وامتدت التدريبات التى جرت شرق البحر المتوسط الى اليونان وشملت تكتيكات جوية وتدريبات على التزود بالوقود فى الجو ، والطيران لمسافة تجاوزت ٩٠٠ ميل ، المسافة بين اسرائيل ومنشأة تخصيب اليورانيوم فى ناتانز ، بمشاركة مروحيات للتدريب على إنقاذ طيارين مفقودين!! إلى هذا الحد التحسب للتداعيات .

وجاءت تصريحات مدير عام وكالة الطاقة الذرية محذرة من استخدام القوة مؤكدا أن ذلك من شأنه أن يحيل المنطقة إلى كرة من اللهب . وستجعل ايران اكثر تصميماً وأكثر استعجالا لتحقيق مشروعها . وحشد كل الايرانيين حول حكومتهم وربما تلتهب حماستهم للانتقام، ثم أضاف أنه لا يرى فى البرنامج النووى خطرا بالغاً ، أو ملحاً ، كما سيحول استخدام القوة دون الوكالة الدولية ومفتشيها، ومواصلة عملهم، مطالبا فى النهاية باستئناف الحوار مع طهران ، وفى تصريحات سابقة كان قد حذر من أن استخدام القوة قد يقوض معاهدة حظر الانتشار النووى ! ومعها عدد من المواثيق الدولية .

وأنه برغم وجود شبهات حول الاستخدام المزدوج لبعض

مكونات البرنامج النووى الإيرانى إلا أنه لا ينهض دليلا على اعداد قنبلة نووية، وأن مهمته تقييم الواقع والحقائق القائمة وليس النوايا ، وأنه إذا كـــان الرئيس الإيرانى يدلى بتصريحات مستفزة فإن بعض المسئولين الاسرائيليين يدلون بتصريحات حادة واستفزازية .

وكان طبيعيا بعد ذلك عدم ترحيب اسرائيل وحلفائها وهى تضيق بكل نقد أو رأى مخالف لتبادر لفتح مدفعيتها الاعلامية منددة بما تعتبره انحيازا ضدها .

وبرغم ما ساقه كل العقلاء من تحذير من التداعيات الفادحة لعدوان على إيران والعواقب الوخيمة التى ستعم المنطقة وتزعزع استقرارها لأعوام قادمة . مع قطع إمدادات البترول وتجاوز سعر البرميل المائتى دولار .

ورغم أن دولة الاحتلال تحتفل بالنكبة على مدار الساعة فى عمليات الإبادة الجماعية للفلسطينيين ، إلا أنها اضطرت (مرغمة) لوقف المذابح (ولو لأربع وعشرين ساعة) لاحتفال عالمى بيوم «الاغتصاب» ، وبحضور الحليف الأكبر والقادة الذين قال عنهم رئيسها إن بلاده محظوظة أن يجتمع لها كل هؤلاء الأصدقاء .

جرى ذلك كله بعد أسابيع من احتفاء الأراضى المحتلة بزيارة أمريكى شجاع، بل كانت لديه الشجاعة لتحدى الإدارة

الأمريكية بكسر عزلة سوريا ولقاء رئيسها ، رغم إصرارها على اثنائه عنها ، ثم مقابلة رئيس المكتب السياسي لحماس (مشعل) .

ومن نكد الدهر أن يأتي يوم يكون رد الدولة اليهودية على التزام سوريا بالصبر والصمت على احتلال جولانها ، أن تهدد بشن الحرب عليها .

وقد ذكر الرجل ردا على سؤال حول صواب الاتصال بحماس باعتبارها (منظمة ارهابية) .

«إن صواريخ حماس التي سقطت فى اسرائيل خلال ٧ سنوات لم تقتل أكثر من ١٣ شخصاً في حين أن كل غارة اسرائيلية على غزة بطائرات F16 وبالصواريخ الحديثة تقتل مابين ٣٠ أو ٤٠ فلسطينياً!».

كما ذكر «كارتر» فى مناسبة أخرى خلال الزيارة :

«إن ثمة شعوراً عاماً وشبه اقتناع بعدم حدوث أى تقدم فى مباحثات السلام منذ مؤتمر انابوليس .. بل إن الوضع ازداد سوءا بسبب الحصار المشدد على غزة . وبناء المزيد من المستوطنات ، وإقامة المزيد من الحواجز، كما أكد أن المفاوضات بين حماس واسرائيل جارية بوساطة مصرية، رغم انكار اسرائيل»

« .. وأنه لا يعتقد فى احتمال قيام اتفاق سلام دون

مشاركة حماس وسوريا لأن استثناءهما يوسع دائرة العنف وسوء الفهم والعداء» .

ورغم أن الرجل - فى مبادرته الشجاعة - لن يخسر شيئا بعد أن أصبح خارج السلطة ومجردا من طموحاتها، إلا أن اللوبى الصهيونى ماكان ليدعه (فى حاله) لولا سمعته الدولية التى استقرت كرجل سلام ، كان الأجدر والأكثر استحقاقا لجائزة نوبل .

وعلى ضفاف الخليج جرت زيارة أخرى ، حيث استضاف المنتدى الثامن للديمقراطية والتنمية والتجارة الحرة وزير خارجية اسرائيل لإبرام صفقة القرن ١٠ مليارات دولار لتوريد الغاز ، وليعلن من فوق منبره :

- ليس قرب قيام الدولة الفلسطينية !
- ولا قرب انهاء حصار الجوع حول غزة !
- ولا حتى تخفيف معاناة الشعب الفلسطينى فى الضفة! أو إيقاف بناء المستوطنات الجديدة !!

لم يقف وزير خارجية اسرائيل على ضفاف الخليج ليعلن شيئا مما سبق ، وإنما جاء إلى الدولة التى تستضيف أكبر قاعدة عسكرية امريكية فى المنطقة من أجل استنفار دول الخليج والمنطقة ضد «عدوها» الجديد : بعد فلسطين .. وبعد سوريا، وبعد لبنان وبعد العراق لاستنفارها ضد ايران .

الحليف الأكبر فى واشنطن مازال يراجع حساباته لضرب ايران مدركا لتداعياتها لإشاعة موجة جديدة من الخراب والفوضى فى منطقة مازالت تعانى أو تكابد تداعيات غزو العراق ودماره بينما الشاعر الاسرائيلى (يعقوب باسار) يردد :

«الحرب القادمة ننشؤها ونربيها مابين حجرات نومنا وحجرات أطفالنا !!» .

وإذا كانت واشنطن تتدارس العواقب مع وعى كامل لمقدرات إيران العسكرية ، ووضعها كقوة اقليمية ذات ثقل اقتصادى وبشرى واستراتيجى وما أتاحه الفشل الأمريكى فى العراق من استقواء للشيعة فى جنوب العراق ودعم للمقاومة فى لبنان (حزب الله) وفى غزة (حماس) .

وما بات معروفا من تنامى القدرات الصاروخية لإيران، خاصة المضادة للسفن (روسية الصنع من طراز SS.N.22 الحاملة لرؤوس تقليدية ذات قدرة تدميرية عالية وهو ما يعنى قدرة إيران على اغراق حاملتى طائرات امريكيتن فى الساعات الأولى لأى مواجهة ومداه ١٥٠ ك. م وتضاعف سرعته (ضعف سرعة الصوت) عند اقترابه من الهدف لتفادى الصواريخ المضادة، مع امكانية تزويده برأس نووى تكتيكى وامتلاك الدفاع الجوى لإيران لنظام صواريخ 2. M . 1

ونظام صواريخ S.S 300 المطور والمضاد للأهداف الجوية بما يمكنها من إضعاف الضربة الجوية.

ثم سيطرة إيران على الخليج وامكانية تهديد حركة الملاحة فيه واغلاق مضيق هرمز الاستراتيجي أمام حركة الملاحة الدولية وإعاقة مرور اكثر من ١٥ مليون برميل نفط يوميا ! أخذا في الاعتبار سيطرتها على الجزر الثلاث الاماراتية .

وإذا كان التقدير أن اسرائيل (المحرض الأول وصاحب المصلحة الحقيقى فى ضرب إيران) سوف تمتنع تكتيكيا) عن المشاركة فى الهجوم (تماما كما فعلت حال ضرب العراق) إلا أنها تستعد - فى نفس الوقت للرد (بشراسة) على ما يمكن أن يصيبها من صواريخ من إيران .

ورغم ما ينصح به خبراء أمريكيون من التفاهم والتواصل مع ايران طلبا لتعاونها فى التهدئة فى العراق وأفغانستان وما نبهوا إليه من أن تهديدها أتى بنتائج عكسية وزادها اصرارا .على مشروعها النووى .

ووفقا لشهادته أمام لجنة العلاقات الخارجية لمجلس الشيوخ الأمريكى . أكد الرئيس السابق لوكالة الأمن القومى وكبير مستشارى مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية فى واشنطن (وليام اودوم) ضرورة تعديل السياسة الأمريكية تجاه إيران والتوقف عن التهديد بتغيير نظامها بالقوة ، وأن

سحب القوات الأمريكية من العراق سيغير سياسة ايران تجاهه جذريا .

مضيفا أن الانسحاب من العراق لا يعنى الانسحاب من المنطقة وقد واكبت هذه الشهادة تحذيرا وجهه مساعد أمين عام الأمم المتحدة (جون هولمز) ، تحذيرا من حدوث مجاعة وكارثة بشرية فى العراق فى ظل ما يعانيه من ظروف سيئة قد تؤدي لتشريد أكثر من مليوني شخص تضاف لنحو ثلاثة ملايين مشرد حاليا ، مع معاناة اكثر من أربعة ملايين من الجوع وتدهور الرعاية الصحية وأن ٤٠٪ فقط يحصلون على مياه شرب صالحة.

ورغم ما تضيفه شهادة الخبير العسكرى الأمريكي الى تقارير وشهادات تستبعد أى مصلحة أمريكية فى ضرب إيران ، إلا أن الحليف الأصغر يدفع حليفه وبقوة، لتنفيذ تلك الضربة ، من منطلق اعتبار امتلاك ايران للسلاح النووى تهديدا مباشرا له (وللعالم) ، وأيضا من تأكيده أن ضرب ايران واجهاض نموها العلمى والاقتصادى سوف يرتب توقفها عن دعم المقاومة للاحتلال والهيمنة الاسرائيلية، وسوف يمهد لتحقيق مخطط تصفية المقاومة والقضية الفلسطينية بعد تجفيف منابع ما تتلقاه من دعم ومساندة .

وتدليلا على مؤشرات الاستعداد ، رصدت مخابرات دولة

كبرى (روسيا) تزايدا نوعياً وكمياً للتواجد البحرى الأمريكى فى الخليج .

– وصول السفينة الحربية الأمريكية (ستينس) حاملة ٣٢٠٠ من المارينز .

– وصول ثمانى بوارج حربية امريكية (سفن دعم واسناد)

– تجهيز ٨٠٠ طائرة (إف . ١٦) (واف . ١٥) للمشاركة فى الضربة الجوية .

– تواجد ٤ غواصات نووية وبطاريات باتريوت المضادة للصواريخ فى مياه الخليج .

-٥-

وقد تصدر المشروع النووى الايرانى أجندة اجتماع (ابو ظبى) لدول مجلس التعاون الخليجى والذى شارك فيه وزراء خارجية الولايات المتحدة والأردن والعراق ومصر .

حيث أكد وزير خارجيتها على أهمية مواصلة المساعى الدبلوماسية لحل أزمة الملف الايرانى، والبعد عن التلويح بالخيارات العسكرية التى لم تجلب على المنطقة سوى المزيد من عدم الاستقرار، إضافة إلى تداعياتها الاقتصادية المدمرة، مؤكدا على أنه لا أحد يريد السماح بإضافة قوة نووية جديدة للمنطقة، إلا أن مواجهة ذلك ينبغى أن تتم من خلال المؤسسات والقنوات الدولية ، آخذا فى الاعتبار أن المؤسسة الأولى المعنية هى الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وقد أعلن مديرها أن خطر القنبلة الإيرانية ليس حالا ، وأن هناك المزيد من الوقت يسمح بالتفاوض ، وربما انتهى الطرفان فى المفاوضات الى التوافق حول مقترح : التجميد مقابل التجميد : تجميد عمليات التخصيب عند مستوى معين (دون التوقف تماما) مقابل تجميد العقوبات السياسية والاقتصادية .

وكان الرئيس الإيرانى قد فاجأ المجتمع الدولى فى مقابلة أجراها مع قناة NBC بتوجه جديد فى تصريحاته :

- نحن لا نعمل على صنع قنبلة ، ولا نؤمن بالقنبلة الذرية،

ولا نعتقد أنها تؤثر على العلاقات السياسية، ثم إن الأسلحة النووية عفا عليها الزمن ، مضيفا :

- «هل ساعدت الترسانة النووية اسرائيل فى نزاعها مع لبنان؟ هل حالت الأسلحة النووية دون انهيار الاتحاد السوفييتي وتفكيكه ؟

- هل ساعدت القنبلة النووية الولايات المتحدة على الهيمنة على العراق أو أفغانستان ؟» .

وتساءل عن توجه الولايات المتحدة مردفا أن استمرارها فى نهج العداء سوف يستتبع حق الشعب الايرانى فى الدفاع عن نفسه وعن مصالحه . وعلى العكس إذا وجد تغيرا فى النهج الأمريكى ووجد الشعب الإيرانى نفسه أمام موقف جديد ، فإن رده سيكون ايجابيا .

على أن رده على تساؤل حول استعداد بلاده تعليق تخصيب اليورانيوم لكسب القبول الدولى ، بدا مراوغاً :

حيث ذكر أن بلاده تتمتع بالفعل بعلاقات اقتصادية طيبة جدا مع شتى الدول ثم اضاف انها ستسعى للتوصل إلى أرضية مشتركة مع الولايات المتحدة والدول الخمس الأخرى (فى شأن الحوافز المقدمة تشجيعا لتجميد برنامج التخصيب)

.

وكانت (نيويورك تايمز) قد أشارت إلى وثيقة ايرانية (غير

رسمية) طرحتها فى اجتماع جنيف ينسب إليها اقتراح محادثات على مرحلتين من سبع جولات تعقبها فترة تفاوض كمرحلة ثالثة تمتد شهرين بحيث تتوافق الأطراف الستة الكبرى على وقف العقوبات (امريكا وبريطانيا والمانيا وفرنسا وروسيا والصين) .

وتحذر اسرائيل من أن جولات المباحثات المطلوبة ربما تستغرق الفترة اللازمة لاستكمال المشروع النووى اضافة الى السنوات الثلاث الماضية التى استغرقتها المفاوضات على تحسب اسرائيل لنظام الصواريخ الروسى المطور والمضادات لطائرات S. 300 الذى تسعى إيران لاقتنائه والذى تنسب اليه القدرة على التعامل مع مائة هدف ، بما قد يضعف تأثير أى هجوم عليها .

وكان مسئول اسرائيلي قد استبعد صحة ما سبق للرئيس الايرانى أن أعلنه من توصل بلاده الى تشغيل ستة آلاف جهاز طرد مركزى ، مرجحا أن عددها لا يتجاوز ٣٥٠٠ جهاز (وفق تقدير لوكالة الطاقة الذرية ذاتها) هذا إضافة إلى ماسبق لمسئول امريكى ذى صلة بأجهزة المخابرات أن ذكره من أن الصواريخ الإيرانية التى جرى تصويرها مؤخرا لا يتجاوز مداها ١٢٠٠ كم. ولا تختلف عن صور الصواريخ التى اطلقها قبل عشرة أعوام !

(وهو ما أكده وزير خارجية روسيا (لافروف) فى معرض

معارضته درع الصواريخ الأمريكية) .

وكان الحرس الثورى الايرانى قد اطلق تسعة صواريخ متوسطة وبعيدة المدى (٢٠٠٠ كم) قادرة على إصابة أهداف داخل اسرائيل إضافة إلى القواعد العسكرية الأمريكية فى الخليج .

ورغم كل تلك التأكيدات بنفى أى تطوير لقدرات ايران قد يبرر اعطاء الضوء (الأخضر) لاسرائيل ، وفى رواية أخرى : اعطاؤها الضوء (الأصفر) لاستكمال استعدادها لمهاجمة المواقع النووية الرئيسية تحت مظلة أمريكية ..

ويستبعد الرئيس الإيرانى مثل هذا الهجوم معتبرا إياه انتحارا سياسيا آخذا فى الاعتبار الأوضاع السياسية والاقتصادية والعسكرية التى سوف تحول دونه والإقدام على تلك الخطوة .

وكان ممثل المرشد الأعلى (خامئنى) قد ذكر أن النظام الصهيونى يمارس ضغوطا على البيت الأبيض لمهاجمة بلاده وأن الرد على تلك (الحماقة) سيكون إحراق السفن الأمريكية فى الخليج ومفاعل ديمونة فى اسرائيل .

(تردد أن الكونجرس الأمريكى قد اعتمد ٤٠٠ مليون دولار لتمويل عمليات سرية جديدة ضد النظام الإيرانى).

كما تواترت معلومات عن تعزيز القوات الأمريكية جنوب تركيا (قاعدة انجرليك) .

وكان رئيس مخابرات اسرائيل (الموساد) السابق قد حرض حكومة بلاده على استخدام القوة العسكرية لردع طموحات ايران النووية .

دون انتظار مشاركة أمريكية ، فرغم ترديد رئيسها بأن كل الخيارات مفتوحة إلا أنه أشار فى تصريحات سابقة إلى أن كبر مساحة إيران التى جرى توزيع منشأتها النووية على امتدادها تجعل أثر الضربة الجوية غير كاف لحل المشكلة على نحو ما جرى مع المفاعل النووى العراقى .

ولم يفت (أوباما) انتقاد السياسة المتشددة للإدارة الأمريكية السابقة وإسرافها فى لغة التهديد مع استخدام سياسة «العصا والجزرة» والأخيرة ممثلة فى حزمة الحوافز المطروحة .

وفى هذا التوجه تبنى (باراك أوباما) ماذهب اليه تقرير أخير مقدم الى مركز الدراسات الدولية والاستراتيجية فى واشنطن من اثنين من كبار خبراء الأمن القومى الأمريكى (برجنسكى ووليام اودوم مدير وكالة الأمن القومى السابق) انتهيا فيه إلى أن السياسة الأمريكية تجاه ايران ستسفر عن ظهور دولة نووية ، وأن سياسة العصا والجزرة الشهيرة .. قد تصلح للتعامل مع (الحمير) وليس مع الدول الجادة!

وقد لوحظ أن أوباما تجنب الرد المباشر على سؤال حول ما إذا كان مؤيدا لأية ضربة توجهها اسرائيل ضد ايران

بقـوله إنه يفـضل تجنب الاحـتـمـالات والمفـاجـآت ، وان الاسـرائيليين وحـدهـم المخـولون باتخـاذ القـرارات لحـمـاية أراضيهم !!

وكان المدير السابق لوكالة الطاقة الذرية قد عبر عن قلقه من أن شيئا كبيرا أعد على نار هادئة لحل المسألة الايرانية يرتبط جـزء أسـاسـى منه بالأمن الإقليـمـى.. ودور ايران بالمنطقة له انعكاسات سلبية على القضايا والمصالح والأدوار العربية مالم تشارك فيه ، وبالتالى ينبغى أن نكون جزءاً من عملية التفاوض مع ايران لأن أى حل يتعلق بالوضع الإقليمى قد يمسها أو يتم على حسابها متسائلا : «لا أفهم كيف تكون تلك الدول غائبة عن مشكلة كهذه تراها حيوية بالنسبة لها ، وكيف يكون الحل دون أن يكون العرب جزءا منه» ؟

وقد سبق له أن كرر دعوته لواشنطن لإجراء حوار مباشر مع إيران باعتباره الحل الأمثل للجمود القائم بشأن ملفها النووى .

فى الوقت الذى أشار فيه المتحدث الرسمى باسم ايران الى أن بلاده تنتظر من (إدارة أوباما) تغيير سياسة الترغيب والترهيب أو (العصا والجزرة) العقيمة وأن تنتهج سياسة تفاعلية جديدة إذا أرادت تسوية الخلافات معها . مع التأكيد على أن بلاده لن توقف نشاطها النووى .

وهو ما أكده مندوبها لدى وكالة الطاقة فى فيينا ، مثلما

رفض رئيس الأمن القومي في مجلس الشورى الإيراني ، أي شروط مسبقة للمفاوضات حول حيازة إيران للتكنولوجيا النووية .

وردا على ما صدر عن (أوباما) من تعهد باتباع دبلوماسية متشددة – وإنما مباشرة مع إيران ، واعداً بحزمة حوافز وعقوبات ، قال رئيس ايران السابق (رافسنجاني) إن بلاده «لاتريد حوافزكم ولن توقفها عقوباتكم» .

ورغم عدم تلبية ايران دعوتها لحضور مؤتمر أمن الخليج الذي شهدته «المنامة» أواخر العام الماضي، إلا أنها كانت الحاضر الغائب :

حيث استبعد وزير الدفاع الأمريكي (جيتس) أي رغبة لبلاده في تغيير النظام الإيراني :

– لا أحد يريد تغيير النظام في إيران ، وإنما المطلوب تغيير السياسة والسلوك حتى تصبح جارا صالحا لشعوب المنطقة، وليس مصدرا لعدم الاستقرار والعنف .

– مطالبة دول المنطقة بالعمل مع واشنطن لمحاولة فرض ضغوط اقتصادية وسياسية على طهران لحثها على تغيير سلوكها .

– التحذير من اعتبار الفترة القادمة فرصة لاختبار الإدارة الامريكية (خاصة من الارهابيين) وأن من يتصورها فرصة يرتكب خطأ كبيرا .

وفى اجتماع عقدته الدول الخمس دائمة العضوية + ألمانيا بحضور بعض المندوبين الدائمين العرب لدى الأمم المتحدة مصر والأردن والعراق ودول مجلس التعاون الخليجى أعلن وزير خارجية بريطانيا أن الغرض منه مناقشة مخاوف بعض الدول العربية من برنامج ايران النووى .

وفى الوقت الذى فرضت فيه ألمانيا قيودا (أو عقوبات) على طهران فى قطاعى المصارف والنقل، جدد وزير خارجية روسيا معارضة بلاده فرض عقوبات جديدة، بينما أكد أحد كبار مسئوليها أن جميع أجهزة مخابرات الدول الكبرى تعلم أن إيران غير قادرة حاليا على انتاج سلاح نووى .

وكان البرلمان الفرنسى قد شكل لجنة تقصى الحقائق برئاسة النائب (چان لوى بيانكو) من الحزب الاشتراكى (المعارض الرئيسى) انتهت بعد عام كامل من الدراسة والتحقيق الى تأكيد الطابع العسكرى للبرنامج ، واستنادا إلى :

– تخصيب ١٦٠٠ ك . يورانيوم لم تقدم تفسيرا لحجمها .

– امتلاك تصميمات قنبلة نووية ربما تكون قد حصلت عليها من أحدث أعضاء النادى النووى (باكستان) .

– وخلص التقرير إلى أن العامين القادمين قد يشهدان صنع أول قنبلة نووية ايرانية .

وتحسبا لكل الاحتمالات ، كانت ايران قد أجرت أكبر مناورة بحرية (اتحاد ٨٧) شاركت فيها بارجة حربية قاذفة صواريخ (كالات) ومدمرة (فجر ٢٧) صناعة وطنية يمكنها نظامها الآلى من التصدى لأى هجوم جوى أو بحرى وتدمير أية أهداف بحرية أو جوية ، وفى نفس الوقت تجربة صاروخ سطح - سطح طراز نصر ٢ من سفينة حربية ليصيب هدفا متحركا على بعد ٣٠ ك . م .

وكان وزير الدفاع الإسرائيلى (باراك) قد بادر بالاتصال بنظيره الأمريكى - الذى أعيد تثبيته فى منصبه فى إدارة أوباما وبوزيرة الخارجية هيلارى كلينتون وإذا كان العرف الدبلوماسى يقضى بأن يقتصر الاتصال الأول على تقديم التهنئة والتمنيات الطيبة، فإن العرف الدبلوماسى الاسرائيلى له شأن آخر .. حيث تركز الاتصال فى الحالين على وسواس اسرائيل القهرى لضرب ايران ، بعد أن جدد الرئيس الأمريكى (أوباما) وعده بالتفاوض المباشر مع ايران ، مثلما تركزت مباحثات قادة اسرائيل مع نائب وزير الخارجية الأمريكى حول هذا الشأن تحديدا .

مع خشية واشنطن من انسياق الدولة العبرية وراء وسواسها القهرى ، فى ظروف دولية غير مواتية، وحرصا منها على طمأنة الحليف الصغير تؤكد (هيلارى) .. دائما على

أن مساس ايران بإسرائيل خط أحمر سيكون الرد عليه نوويا !

وذلك تعقيبا على تقارير اسرائيلية عن ارتفاع مخزون ترسانة إيران الصاروخية أضعافا مضاعفة مؤخرا (صواريخ شهاب ٣ بعيدة المدى ، من نحو ثلاثين صاروخاً الى أكثر من مائتي صاروخ قادرة على ضرب أى موقع داخل اسرائيل .

وكان اطلاق إيران لأول قمر صناعى (مين) ، ثم افتتاح المرحلة التجريبية لمفاعل بوشهر النووى ، قد أطلق صفارات الإنذار فى تل أبيب ومن ورائها واشنطن وبعض العواصم الأوروبية ، تحذيرا من التطورات «التقنية» وصولا لصنع الصواريخ الباليستية عابرة القارات .

وكان العمل فى مفاعل بوشهر قد بدأ عام ١٩٧٤ (باتفاق مع شركة ألمانية) ، إلا أن الحرب العراقية الإيرانية أرجأت تنفيذه، إلى أن تم الاتفاق مع الاتحاد الروسى عام ١٩٩٩ ، ثم كانت الضغوط الأمريكية سببا فى تأجيله ، لينشط العمل فيه مؤخرا . وتتردد شائعة وجود عدد من الخبراء الروس فى المفاعل ، مع حرص روسيا على التأكيد أن طبيعة الوقود المستخدم لا تسمح بتحويله لأغراض عسكرية وأن الغرض منه انتاج الكهرباء للاستخدام المدنى . ورغم حرص روسيا على علاقات وثيقة مع إيران (لمصالح اقتصادية تجارية) إلا

أنها أعلنت رفض امتلاكها سلاحاً نوويا على لسان رئيسها «مدفيديف» وقبله «بوتين» .

وقد بادرت وكالة الطاقة الذرية لدعوة إيران لمراعاة توفير أعلى درجات الأمان النووى مع حثها على الانضمام لمعاهدة الأمان النووى (إيران منضمة لمعاهدة عدم الانتشار النووى).

وكانت الوكالة قد أوفدت فريقا من خبرائها لمتابعة إقامة البنى التحتية للمفاعل .

كما أشار مدير الوكالة السابق إلى سماح الاتفاقية بقبول عملية التخصيب فى حدود معينة وتحت رقابة مباشرة من الوكالة وخاضعة لبرنامج الضمانات .

بينما تبقى نوايا إيران لتخصيب اليورانيوم بكميات كبيرة مصدر إزعاج لاسرائيل ومن ورائها واشنطن وحلفاؤها، بعد إعلان ايران امتلاكها لستة آلاف جهاز طرد مركزى لتخصيب اليورانيوم، وتخطط ليصبح عددها ٥٠ ألفا خلال السنوات القادمة .

ويذكر أن روسيا قد زودت مفاعل بوشهر بـ ٨٢ طن وقود نووى (بينما تتطلب الأغراض العسكرية نحو ألفى طن).

كما قرر مدير الوكالة الدولية للطاقة النووية أن أمام إيران عقبات فنية وسياسية، لصنع قنبلة نووية ليخلص من ذلك إلى أن الوقت مازال متسعا للتعامل مع هذا الاحتمال ولإجراء

حوار وتبديد القلق والمضى قدما نحو مزيد من المشاركة، بدلا من مزيد من العزلة، وفى محاضرة له بالجامعة الأمريكية بالقاهرة كرر تحذيره للإدارة الاسرائيلية بعدم الإقدام على توجيه ضربة للمنشآت النووية الإيرانية مشيرا إلى نتائجها العكسية من حيث دفع ايران للتعجيل بإنجاز برنامجها النووى ، ثم كرر التنبيه الى أن منطقة الشرق الأوسط تمر بحالة إعادة تشكيل وتغيير فى موازين القوة.

وكان مدير الوكالة قد اتهم اسرائيل بانتهاك القانون الدولى بإغارتها على سوريا لضرب ما أسمته بالمفاعل النووى السورى (سبتمبر ٢٠٠٧) دون إطلاع الوكالة على أسانيدها أو مبرراتها ودون إخطار مسبق لمجلس الأمن.

على أن آخر تقرير للوكالة أفاد أن إيران لديها كمية من اليورانيوم المخصب اكثر مما كان مقررا وأنها قد تكون كافية لتصنيع سلاح نووى .

ويضيف التقرير أن إيران لم توقف أنشطتها المتعلقة بتخصيب اليورانيوم . وأن الوكالة لم تحقق تقدما جوهريا فى التأكد من الشق العسكرى للبرنامج النووى الإيرانى ، لاستمرار إيران فى عدم التعاون مع الوكالة فى هذا الشأن.

ويسجل التقرير على إيران رفضها السماح لمفتشى الوكالة، باجراء فحص لتصميم مشروع (اراك) الذى يعمل

بالماء الثقيل بل وإقامة قبة واقية للحيلولة دون تصويره بواسطة الأقمار الصناعية .

وقد يبدو لافتا ، تزامن صدور التقرير مع مؤشرات تغير فى توجه واشنطن لمحاولة فتح حوار مع إيران ، وكان مسئول للمركز الوطنى الأمريكى بواشنطن قد حذر من استمرار عقلية التهديد والإكراه فى التعامل مع إيران كما دعا مدير وكالة الطاقة الذرية، إلى حوار مثمر مع إيران باعتبارها (دولة مهمة) ينبغى التعامل معها باحترام . معربا عن تقديره لتوجه الرئيس الأمريكى لفتح حوار معها بعد سنوات غير مثمرة من محاولة عزلها .

وكان سفير إيران لدى الأمم المتحدة قد دعا فى مؤتمر جنيف لنزع السلاح إلى مفاوضات دولية تهدف إلى النزع الكامل للأسلحة النووية، باعتباره الضمان الوحيد ضد استخدامها أو التهديد بها .

وذلك رداً على السفيرة الأمريكية لدى الأمم المتحدة التى اتهمت بلاده بدعم الارهاب والسعى لانتاج أسلحة نووية، متوعدة بالعمل على انهاء الاثنين !

ثم كان رد فعل الدولة العبرية لافتتاح مفاعل بوشهر (هستيرياً) حين أعلن رئيس وزرائها فى إذاعة بلاده : «نحن بلد قوى .. قوى جدا ونملك قدرات عسكرية يصعب تصور

مداها وحجمها، ونبذل جهودا هائلة لتعزيز قوة الردع ونعرف كيف ندافع عن أنفسنا فى كل الأوضاع وضد كل التهديدات وضد كل عدو ..» !!

ليلحق به وزير الدفاع معلنا أن بناء مفاعل بوشهر مؤشر لما تمثله إيران من خطر على وجود الدولة العبرية، ولما ينبغى على العالم اتخاذه من إجراءات، ابتداء بتشديد العقوبات دون استبعاد الخيارات الأخرى. واستنادا لما سبق، تسجل التقارير أن خطة عمل الجيش الاسرائيلى لهذا العام تركز على رفع كفاءته من حيث التدريب والتسليح فى مواجهة :

- اقتراب إيران من حيازة سلاح نووى .
- ترسانة صواريخها الباليستية بعيدة المدى .
- دعمها وتمويلها لجماعات مسلحة مناوئة لاسرائيل على رأسها حماس وحزب الله .

وقد بادرت الترويكا الأوروبية (ألمانيا - فرنسا - بريطانيا) لعرض قائمة بالعقوبات المشددة تشمل ٢٤ كيانا إيرانيا من بينها جامعة «شريف» للتكنولوجيا! وشركات للنقل والشحن الجوى وللتأمين، وكالة الفضاء الايرانية، وستة بنوك، من بينها بنك «تجارات» إضافة الى عشر شخصيات ايرانية بزعم اسهامهم فى البرنامج النووى .

بينما تعارض دول أوروبية أخرى فرض مزيد من

العقوبات مثل : إسبانيا والنمسا والسويد واليونان وقبرص.

على أن البعض مازال يتحسب لاحتمال اقدام الحكومة الاسرائيلية على توجيه ضربة لمنشآت ايران النووية .

رغم الأبعاد الكارثية لمثل هذا التوجه وأهم عناصرها :

- وجود ١٢٠ ألف جندى أمريكى على مرمى حجر من الدولة الفارسية .

- قطع الأسطول البحرى فى الخليج .

- توقف تدفق نحو ٧٠٪ من بترول العالم بسبب إغلاق المضيق .

- وجود خلايا ثورية كامنة فى دول الخليج على استعداد لتنفيذ عمليات انتحارية عند الطلب .

- أسلحة ايران الحديثة التى أذهلت واشنطن مؤخرا .

وتعبيرا عن قلقها (وقلق اسرائيل) وجهت وزيرة الخارجية الامريكية الاتهام الى ايران باثارة الانقسامات فى العالم العربى وتمويل وتشجيع الإرهاب «بما يشكل تهديدا لأوروبا واسرائيل» !

التصريح واكب صدور أحدث تقرير أمريكى أوصى بتبنى سياسة الردع العسكرى مع طهران على نحو ما كان فى الماضى مع الاتحاد السوفييتى ! .

بينما أضاف مركز أبحاث أمريكى ضرورة النظر فى

توفير حماية نووية للدول الصديقة وللشرق الأوسط لدفع إيران للتخلي عن مشروعها النووى .

كما دعا تقرير «لمعهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى» (أعده خمسة عشر نائبا دبلوماسيا وخبيرا) آمريكيا لتزويد اسرائيل بطائرات وصواريخ دفاعية اكثر تطورا بهدف تشكيك إيران فى جدوى مشروعها النووى، وحذر التقرير من أن تزويد روسيا لإيران بأنظمة دفاع جوى حديثة قد يدفع اسرائيل الى توجيه ضربة عسكرية لمنشآتها النووية .

وإن دعا بلاده للمشاركة فى الحوافز الأوروبية لإيران ومن بينها ضمانات أمنية .

كما طالب بيان باسم الخارجية البريطانية وبمباركة فرنسا والمانيا وروسيا وأمريكا والصين ، ايران بتنفيذ قرارات مجلس الأمن ومطالب مجلس محافظى الوكالة الدولية دون تأخير .

هذا وتتضارب التقارير الأمريكية فى شأن تقرير المدى الذى حققته إيران فى مشروعها النووى :

فبينما يعتقد رئيس الأركان الأمريكى (مايكل مولن) أنها حصلت على ما يكفى من مواد لصناعة قنبلة نووية، ذهب مدير المخابرات (دنيس بلير) إلى أن إيران لا تملك بعد يورانيوم عالى التخصيب يكفى لصنع أسلحة نووية.

ويضيف مدير المخابرات العسكرية (جنرال مايكل مابيلز) إن التجارب الصاروخية الايرانية الأخيرة لا ترتبط بشكل مباشر بالأنشطة النووية الايرانية ، وإن ذكر انه قد يصعب اقناع إيران بالتخلى عن برنامجها النووى بالطرق الدبلوماسية، وكان ذلك بمناسبة اعلان طهران عن انتاج صاروخ جديد جو بحر مداه ١١٠ ك. م . يزن نصف طن .

وتأكيد مدير المخابرات العسكرية الاسرائيلية (عاموس يادين) أن إيران تواصل انتاج اليورانيوم قليل التخصيب وتأمل فى استغلال الحوار مع الغرب فى كسب الوقت .

بينما رددت الصحف الاسرائيلية (يديعوت أحرونوت) عن مصادر فى وكالة الطاقة الذرية معلومات عن سعى شركة إيرانية (كودرو) لشراء (ألياف كربونية) محظورة دوليا بزعم استخدامها فى صنع خزانات وقود ، وقد تستخدم أيضا فى أجهزة الطرد المركزى المتطورة لعمليات تخصيب اليورانيوم .

وقد أثمرت الضغوط الاسرائيلية المتواصلة، فصدر قرار (منتصف مارس ٢٠٠٩) بتجديد العقوبات الأمريكية والدولية ضد إيران لمدة عام ، مع الإشارة إلى أنها مازالت تشكل تهديدا استثنائيا وغير عادى لأمن الولايات المتحدة القومى .

-٦-

وعلى أثر اجتمـاع مـع رئيس وزراء بريطانيـا فى البـيت الابيض صدر تصريح عن الرئيس الأمريكى بأن نظام الدفاع الصـاروخى الذى تسـعى بـلاده لبنائـه فى شرق أوروبا، إنما هو موجه ضد ايران ، مع تحذير بعقوبات اقتصادية أقوى ..

وعلى خلفية ما سبق واستثمارا له ، كانت زيارة رئيس الأركـان الاسرائيلى (جـابى اشكينازى) لواشنطن امـتدت خمسة أيام ،خطط خلالها للقاء كل قادة الأسلحة الأمريكية ورئيس الأركـان الأمـريكى وعدد من السـاسـة وزعمـاء لجنة الشئون العامة الأمريكية الاسرائيلية (أيباك).

وقد أكد مسئول العلاقات الخارجية فى حزب الليكود (زالمان شوفاز) اتفاق واشنطن وتل ابيب على منع ايران من تملك سلاح نووى واعتباره ضرورة قصوى ، إلا أن لقاءات رئيس الأركـان الاسرائيلى تركزت فقط مع وزيرة الخارجية الأمريكية، ومستشار الأمن القومى (جنرال جيمس جونز) ودنيس روس مستشار شئون الخليج وآسيا (مسئول ملف إيران) .

وقد نقل عن مسئول الأمن القومى الأمريكى (جونز) تناوله لمسألة الأوضاع الإنسانية فى الاراضى الفلسطينية ودعوته لتخفيف القيود العسكرية القائمة . وفى أعقابه كان خطاب

الرئيس أوباما لإيران بمناسبة رأس السنة الفارسية (عيد النيروز) يدعوها لفتح صفحة جديدة فى العلاقات وانهاء عقود من العداء بين البلدين .

«حكومتى ملتزمة الآن بالدبلوماسية التى تعالج كل القضايا التى تواجهنا ومتابعة العمل من أجل روابط بناءة».

«إن هذه العملية لن تعزز بالتهديدات ، ونحن نسعى بدلا من ذلك إلى حوار يكون خالصا ويقوم على الاحترام المتبادل.

«إن واشنطن تريد أن تتبوأ ايران المكانة التى تستحقها في المجتمع الدولى والتى لا يمكن الوصول إليها من خلال الإرهاب أو السلاح ، ولكن من الأفعال السلمية التى تعبر عن العظمة الحقيقية للشعب الإيرانى وحضارته» .

«إن مقياس هذه العظمة ليس القدرة على التدمير وانما اظهار قدرتكم على البناء والابدا ع» .

ليختتم الخطاب قائلا إنه : «سعى إلى مستقبل يتميز بعلاقات جديدة بين شعبينا وفرص أكبر للشراكة والتجارة»، رغم الإقرار بأن بلوغ ذلك لن يكون سهلا أو هيناً..» والخطاب كان حلقة جديدة ضمن تنفيذ وعود حملته الانتخابية حيث إنه موجه هذه المرة الى النظام الإيراني ككل وليس الشعب فقط على نحو ما كان يجرى فى السابق .

وقد ينطوى على اعتراف (واقعى) بالنظام فى غياب

علاقـات دبلومـاسـيـة بين البلدين (قطعت فى ٧ إبريل عـام ١٩٨٠) كان صـدى الخطاب ايجابيا فى العواصـم الأوروبية وموضع ترحيب من قيادتها :

ميركل: الرسالة تجسد بدقة وجهة النظر الأوروبية .

سـاركوزى : العرض الجديد نبأ سـار يعبـر عن التزام أمريكا مجددا بالملف الإيرانى !

فرتينى (وزير خارجية ايطاليا) : الخطاب يمثل تغييرا كبيرا فى الاتجاه الذى تريده ايطاليا .

سولانا (الاتحاد الأوروبى) : نفس المعنى .

على أن رد فـعل طهـران كـان مـغـايرا ، أحـد كـبـار مستشارى الرئيس الايرانى ، (على أكبر جوانفكر) وجدها مناسبة للتذكرة بأن ايران لن تنسى أبدا الدور الذى قامت به واشنطن فى الماضى حين شاركت فى الإطاحة برئيس الوزراء السابق (مصدق) عام ١٩٥٣ ، ولإسقاط طائرة ركاب إيرانية عام ١٩٨٨ بنيران بارجة أمريكية قتلت ٢٩٠ راكبا، ولا الدعم الأمريكى لجماعة (مجاهدى خلق) المعارضة، دون إشارة إلى العقوبات الاقتصادية وحصار للنظام الايرانى امتد ثلاثين عاما .

وقد نذكر هنا دعوة سابقة للرئيس الأسبق كلينتون وجهها لمحمد خاتمى لزيارة واشنطن ، حال دون تنفيذها اعتراض

المرشد الأعلى .

على أية حال . فإن الإدارة الأمريكية تفكر فى فتح قناة اتصال مع مرشد الجمهورية الإسلامية (على خامئنى) باعتباره الشخص الأول فى النظام السياسى، بالتوازى مع انهاء الحظر المفروض على الاتصالات المباشرة بين الدبلوماسيين الأمريكيين والايرانيين حول العالم .

ثم إن إيران لا تنكر تلقى هدايا استراتيجية فى الجوار ما كانت تحلم بها سواء بتقويض أركان العراق أو بإسقاط حكم طالبان فى أفغانستان .

وقد سبق لمدير الوكالة الدولية للطاقة بالإشادة فى كلمة أمام برلمان النمسا بالتوجه الأمريكى الجديد للحوار مع طهران بما يفتح الباب لحل سلمى مضيفا أن المشاركة العربية فى هذه الجهود مطلوبة .

وانضم اليه رئيس فريق التفتيش الدولى فى العراق (٢٠٠٣) (هانز بليكس) فى عدم استحسانه لنهج التهديد بأن جميع الخيارات مطروحة وارسال حاملات طائرات امريكية للمنطقة، ومن رأيه أن عرضاً أمريكيا باستئناف العلاقات الدبلوماسية التى قطعت منذ ثلاثين عاما ومنحها دورا فى المباحثات الاقليمية، حوافز مطلوبة .

ولم تتوان الدولة العبرية عن التحرك السريع لاحباط

التوجه الجديد للإدارة الأمريكية ، فحركت رجالها فى الكونجرس الأمريكى لتوجيه رسالة للرئيس الأمريكى يحذرونه فيها من أن أى اتصال مع إيران ينبغى أن يرتبط بسقف زمنى ، مطالبين بمباحثات فورية لوقف تخصيب اليورانيوم وهو ما عبر عنه رئيس وزراء اسرائيل حين وصف المشروع بأنه أخطر تهديد لوجود الدولة اليهودية منذ الاستقلال (يقصد الاحتلال) .

وقد حدد أولويات حكومته (بعد رفض قيام دولة فلسطينية) منع إيران من حيازة سلاح نووى ، معلنا أنه فى حالة عدم قيام واشنطن بذلك، فإن بلاده ستكون «مضطرة» لمهاجمة منشآت إيران النووية .

مرددا الدعوة لاستنفار الدول العربية لدعم دعواه ، بزعم أن :

– امتلاك ايران لسلاح نووى من شأنه استقطاب دول عربية معتدلة واثنائها عن إبرام معاهدة سلام مع بلاده !

– دفع دول مجاورة أخرى للسعى بدورها لامتلاك سلاح نووى والنتيجة تحول الشرق الأوسط الى منطقة قابلة للاشتعال !

– أن وجود دولة نووية فى الشرق الأوسط يعنى نهاية النفوذ الأمريكى حين تسيطر إيران على بترول المنطقة .

وكلها مغالطات فجة تصدر عن دولة تملك اكثر من مائة وخمسين قنبلة نووية، وهى بذاتها التى تجعل المنطقة قابلة للاشتعال كقوة احتلال تقترف جرائم حرب وتتنكر لحقوق الفلسطينيين ، وترفض لجان التحقيق ، حيث نددت بتعيين المدعى العام السابق للمحكمة الجنائية الدولية (ليوجوسلافيا السابقة ورواندا) (ريتشارد جولدستون) على رأس لجنة تحقيق دولية فى جرائم الحرب والذى أعلن أنه سيبحث فى كل ما ارتكبته اسرائيل فى غزة والأراضى الفلسطينية خلال هجومها (يناير ٢٠٠٩) وخلف دمارا هائلا وأوقع أكثر من ١٣٠٠ قتيل فلسطينى وآلاف المصابين .

وكان تعليق الخارجية الاسرائيلية على ذلك بأن المسألة ليست محاولة معرفة الحقيقية، وإنما «الإساءة إلى سمعة إسرائيل»! ومسايرة بعض الدول فى وصفها لبلاده بأنها شيطان» . وفى الوقت الذى غضت فيه واشنطن الطرف عن قصف الطيران الاسرائيلى لقافلة من ١٨ شاحنة وتدميرها فى الأراضى السودانية بدعوى انها كانت تحمل سلاحا للفلسطينيين فإن منظمة العفو الدولية كشفت فى تقرير آخر أن إدارة الرئيس الأمريكى زودت اسرائيل بكميات هائلة من الذخيرة (تعويضا عما فقدته فى عدوانها الوحشى على غزة) وان سفينة شحن ألمانية (ويرايلبى) مستأجرة من الجيش

الأمريكى ، رست وأفرغت حمولتها فى ميناء أشدود (٤٠ ك . م شمال غزة) أكثر من ٣٠٠ حاوية (حمولة ١٤ ألف طن) وأضاف تقرير منظمة العفو أنه كان عليها أن توقف شحنات السلاح الأمريكى لإسرائيل بعد ارتكابها كل جرائم الحرب فى غزة ، بالمخالفة للقانون الأمريكى ذاته .

ومع ذلك ، أو برغم ذلك ، برغم كل هذا الدعم بالذخيرة والسلاح ، كان رد تل أبيب حادا على توجه واشنطن للعمل على إقامة دولة فلسطينية : نحن لا نتلقى أوامر من أحد!

(ونضيف : بل سلاحا فقط !)

بعد أن تفضل وزير خارجيتها (ليبرمان) رغم ضيق وقته الذى تستغرقه التحقيقات المتواصلة فى اتهامه بالفساد ، بالتصريح بأن جهود السلام مع الفلسطينيين ، التى يدعمها الغرب، بلغت طريقا مسدودا !! وأن المفاوضات لن تستأنف قبل وقف مشروع ايران النووى !

هذا فى الوقت الذى تستجيب فيه واشنطن لإلحاح تل أبيب لتضييق الخناق على النظام الإيرانى وصولا لإيقاف مشروعه النووى ، حيث فرضت عقوبات اقتصادية على ست شركات إيرانية نسبت إليها دعم البرنامج النووى والصواريخ الباليستية ولمنعها من نقل تكنولوجيا الطرد المركزى والصواريخ لحساب إيران ، بينما جرى اعتقال ايرانى بتهمة

التآمر لتصدير قطع غيار طائرات أمريكية مقاتلة وطائرات هليوكوبتر عسكرية بمشاركة خمسة مقيمين فى الخارج وثلاث مؤسسات ايرانية اثنتان فى دبى وادانتهم محكمة ميامى الفيدرالية (فلوريدا) بانتهاك حظر السلاح المفروض على إيران .

وذكرت صحف اسرائيلية (يديعوت أحرونوت اتجاه إدارة أوباما) إلى ربط مسعاها لوقف برنامج ايران النووى باستئناف المفاوضات مع الفلسطينيين واخلاء مستوطنات بالضفة .

وفى مواجهة التحرك الأمريكي فى المنطقة وجولات ميتشل، لم يتوان رئيس الوزراء الاسرائيلى عن اخراج ورقة جديدة ، أو عصا يضعها فى العجلة لايقافها ، فخرج على العالم بشرط جديد لاستئناف مفاوضات لم تراوح مكانها لأكثر من ستين عاما ، وهو شرط اعتراف الفلسطينيين باسرائيل «دولة يهودية» !

الأمر الذى يعنى أو يستتبع الإقرار بحقها فى استبعاد او تهجير الديانات الأخرى !

ومع ذلك فقد قامت الدنيا ولم تقعد (حتى الآن) حين اعتبر الرئيس الايرانى هذا التوجه لونا من العنصرية، فى كلمته فى مؤتمر ديربان ، فى جنيف .

وكـالعـادة ، كـان رد الفل العبـرى (مـع جـوقـة مـن الدول الغربية) اعتبار المؤتمر «مهرجانا للكراهية» !

حسب تعبير رئيس الوزراء و«مؤتمرا للنفاق» حسب تعبير وزير خارجيته !

على أن مواطنى دول أوروبية – فى النرويج مثلا – كان لهم رأى آخر :

حيث تقدم ستة محامين من أهلها بدعوى أمام المدعى العام ضد مسئولين اسرائيليين كبار .

وسبعة من كبار ضباط الجيش الاسرائيلى واتهامهم بارتكاب جرائم حرب خطيرة خلال العدوان على غزة باعتباره هجوما ارهابيا واسع النطاق استهدف المنازل والمستشفيات ومراكز الصحة وعربات الاسعاف والمدنيين مما أدى الى دمار هائل فى البنية الأساسية والمرافق والممتلكات مع استخدام أسلحة محظورة مثل الفوسفور الأبيض وقذائف السهام وقنابل شديدة الانفجار مع انتهاكات خطيرة لحقوق الإنسان .

وثمة تقارير إسرائيلية عن اجراء مناورات عسكرية مشتركة مع الولايات المتحدة لاختبار أنظمة جديدة مضادة للصواريخ Thud .

وكان رئيس مجلس الأمن (كلود هيلر) قد تلقى رسالة من

مندوب ايران الدائم لدى الأمم المتحدة يطالبه فيها بالرأى فى تهديدات الرئيس الاسرائيلى (بيريز) باللجوء إلى القوة لمنع طهران من المضى فى برنامجها النووى ، محتجاً بأن «بلاده دولة ذات سيادة وعضو فى الأمم المتحدة، وأن التهديدات تكشف الطابع الصهيونى العدوانى والمتعطش للحرب، وتمثل انتهاكا صارخا للقانون الدولى» .

وكان دبلوماسى اسرائيلى لدى منظمة الطاقة النووية قد ذكر أن العالم سيدرك عاجلا أم آجلا أن ايران تسعى لفرض هيمنتها على الشرق الأوسط. بينما أعلن مدير الوكالة (فى افتتاح المؤتمر الدولى للطاقة فى بكين) أن السياسة التى جرى اتباعها مع طهران فى السنوات الماضية كانت فاشلة تماما ، وأنه دعا أصدقاءه الإيرانيين للرد على المبادرة الأمريكية معربا عن تأييده للتوجه الأمريكى الجديد وعن أمله فى نجاحه ، ثم اقترح على ايران اتخاذ تدابير تتيح للوكالة القيام بمهام التفتيش المطلوبة لتعزيز الثقة فى توجهاتها .

وجاء إعلان الرئيس الإيرانى خبر إنجاز دورة تصنيع الوقود النووى واختبار طرازين جديدين من أجهزة الطرد المركزى التى بلغ عددها سبعة آلاف جهاز ينتظر أن يقدر حددها بسبعين ألفا خلال خمسة أعوام .

الإعلان كان بمناسبة افتتاح أول مصنع لإنتاج الوقود

النووى فى أصفهان (قدرت طاقته الانتاجية بعشرة أطنان) توجه إلى مفاعل (أراك) . الذى يعمل بالماء الثقيل، تضاف الى ثلاثين طناً من الوقود للمفاعلات التى تعمل بالماء الخفيف .

وكان رئيس منظمة الطاقة النووية الايرانى ، قد أشار الى حصول بلاده على تكنولوجيا لإنتاج أجهزة طرد مركزى لتخصيب اليورانيوم أكثر دقة ، بحيث تم استكمال دورة تخصيب اليورانيوم وتمكنت من تحويله إلى أقراص الوقود للاستفادة منها فى أغراض سلمية ولاستخدامات مدنية للطاقة النووية تدليلا على أن بلاده لا تسعى من وراء تخصيب اليورانيوم الى أغراض عسكرية.

وفى الاحتفال بالعيد السنوى لقواتها المسلحة كان لافتاً، اختفاء العبارات أو النبرة الحادة من خطاب الرئيس الإيرانى مع تأكيده استعداد بلاده للإسهام فى إحلال السلام المبنى على العدل فى مناطق العالم المختلفة، كما لم يضم العرض أية صواريخ بعيدة المدى، بل وعدد محدود من عناصر الطيران ، (تردد أن موسكو أبلغته بنية اسرائيل شن هجوم لتدمير أسطولها الجوى من القاذفات المقاتلة - ١٤٠ طائرة رابضة فى قاعدة مهراباد الجوية - جرى نقلها بعد ذلك إلى قواعد نائية) .

هذا في الوقت الذى أعلن فيه مسئول عسكرى اسرائيلى أن الجيش سوف يضرب عشرات الأهداف تضم مركبات متحركة ومنشآت ايران النووية خلال أيام من تلقى الضوء الأخضر وأن الضربة ستشمل مفاعل ناتانز (حيث مئات آجهزة الطرد المركزى لانتاج اليورانيوم المخصب) ، وموقع أصفهان حيث الأنفاق ومخازن ٢٥٠ ألف طن غاز ، ومفاعل (آراك) للماء الثقيل لانتاج البلوتونيوم ، وكانت القوات الاسرائيلية قد تدربت على طول المسافة بتلك المواقع (٨٧٠ ميلا) خلال مناورات العام الماضى شاركت فيها طائرات F15 و F16 إضافة إلى شراء ثلاث طائرات اواكس مؤخرا .

وبقى أن معظم المنشآت النووية مدفونة تحت الأرض على عمق يبلغ كيلومترا .

هذا بينما أشارت التقارير الى استعدادات لدول مجلس التعاون الخليجى تحسباً لرد فعل إيران ، وذلك بنصب بطاريات صواريخ باتريوت المضادة للصواريخ حول منشآتها البترولية .

ويذكر هنا أن الرئيس الإيرانى سبق أن أعلن استعداد بلاده لإجراء مباحثات مع القوى الغربية حول البرنامج النووى . شرط أن تتم على أساس الاحترام المتبادل باعتبار

المفاوضات المشروطة او المقترنة بالتهديد غير مقبولة، مؤكدا اتجاه بلاده لتحقيق الاكتفاء الذاتي والاستغناء عن المساعدة الأجنبية بعد أن حققت امتلاك تكنولوجيا الدورة الكاملة لانتاج الوقود النووى .

وذلك ردا على مسعى الدول الخمس دائمة العضوية فى مجلس الأمن (بما فيها أمريكا) إضافة إلى المانيا لبحث البرنامج النووى مع طهران .

وثمة تعقيب لوزير خارجية روسيا ذكر فيه أن بلاده ليس لديها النية لممارسة ضغوط على إيران من أجل واشنطن منوهاً بالتعهد الذى يمكنها أن تقوم به إزاء مشكلات دولية مثل افغانستان والعراق والشرق الأوسط.

وكان وزير الدفاع الأمريكى (جيتس) قد حذر بأن توجيه ضربة عسكرية اسرائيلية لمنشآت ايران النووية ستكون له عواقب خطيرة، وأنه قد يؤخر المشروع سنة أو ثلاثاً فقط ، ولكنه سيجمع الإيرانيين حول رئيسهم ويدعم نظامه . ثم يذكر أن مستشارا سابقاً بالخارجية الأمريكية (مارك فيتزباتريك) كان قد استبعد قبول ايران بوقف التخصيب .

وقد كشف دبلوماسى أمريكى عن واقعة تجاهل إدارة الرئيس أوباما، لطلب مُوقع من نتنياهو وبيريز يتناول رغبة بلدهما فى توجيه ضربة لمنشآت إيران النووية، وكان ذلك فى

أعقاب اتصالات أمريكية إسرائيلية مكثفة بشأن البرنامج النووى الإيرانى، بين وزيرى الدفاع روبرت جيتس وإيهود باراك، ثم زيارة وفد رفيع المستوى رأسه مستشار الأمن القومي الأمريكى چيمس چونز ضم مستشار الرئيس الامريكى لشئون الشرق الأوسط (دنيس روس) والمبعوث الأمريكى الخاص لسوريا (فريدريك هوف) وممثلين عن وكالة الاستخبارات الأمريكية CIA ووزارات الدفاع والخارجية والمالية.

كانت وزيرة الخارجية (كلينتون) قد أعلنت استعداد بلادها لمساعدة حلفائها فى دول الخليج لتزويدها بمظلة دفاعية ودعم قدراتها العسكرية اذا لم تتراجع إيران عن برنامجها النووى الذى لن يوفر لها أمانا أكثر أو يجعلها أقوى، ولن تكون لديها القدرة على الهيمنة أو مضايقة الآخرين، هذا فى الوقت الذى بارك فيه مجلس التعاون الخليجى الزيارة التى قام بها سلطان عمان لإيران، البلدان يطلق على مضيق هرمز الذى يحكم عبور نحو ١٠٪ من صادر نفط الخليج .

وقد ذكرت مصادر مخابرات غربية أن الغزو الأمريكى للعراق كان حافزاً لايران لاستكمال ابحاثها النووية صيف ٢٠٠٣ بحيث يمكنها صنع وتفجير رأس نووى، بعد الحصول على الضوء الأخضر من المرشد الأعلى.

بينما تلقت الخارجية الأمريكية تقريرا من رئيس المخابرات (دنيس بلير) يفيد عدم قدرة إيران على إنتاج قنبلة نووية قبل عام ٢٠١٢.

في الوقت الذي طلبت فيه الإدارة الامريكية من عشر دول لديها شركات منتجة لليورانيوم تشديد الرقابة على تصديره أو بيعه لايران .

كما تدرس واشنطن (إضافة إلى العقوبات الاقتصادية) عقوبات دبلوماسية مثل حظر استخدام الموانيء الغربية على السفن الإيرانية، وقد يتبعها حظر هبوط طائراتها في المطارات الغربية (بالتنسيق مع الاتحاد الأوروبى بطبيعة الحال).

وعلى صعيد العلاقات اللاتينية - الإسرائيلية، وجهت المسئولة عنها (دوريث شافيت) الاتهام لحكومة فنزويلا بتزويد الإيرانيين بوثائق مزورة ! لتسهيل تحركاتهم في المنطقة !

بينما قام وزير الخارجية (الشخصية الكاريزمية) بجولة لاتينية زار خلالها: البرازيل - الارجنتين - كولمبيا وبيرو، لحث حكوماتها على احتواء ما أسماه بالنفوذ الإيرانى المتصاعد في المنطقة، مع استغلال علاقاتها بإيران لحثها على وقف مشروعها النووى، مشددا على اعتبارها اكبر ممول للحركات الإرهابية في العالم حماس وحزب الله (دون ذكر لبلاده) ثم بجولة إفريقية ركزت على دول حوض النيل: أثيوبيا

- أوغندا - كينيا - نيجيريا وانجولا.

وقد ذكرت صحيفة (يديعوت احرونوت) أن انفجار طائرة شركة كاسبيان الإيرانية الذى راح ضحيته ١٦٨ راكبا، كان بسبب خلل فى إحدى الصواعق التى تحملها ضمن شحنة ذخائر وقنابل ذكية متجهة إلى حزب الله فى سوريا ولبنان، من خلال أرمينيا جوا ثم تركيا براً.

وكان مدير الوكالة السابق (فى شهورة الأخيرة فى موقع المسئولية عن الطاقة النووية) قد أعرب عن قلقه بشأن الوضع الأمنى فى الشرق الأوسط، وتبرير اسرائيل حيازة سلاح نووى بردع أى تهديد لكيانها يقابله شعور عربى بالعجز والقهر مؤكدا على ما يلى :

- أن السبيل الوحيد للخروج من أزمة الأسلحة النووية فى الشرق الأوسط هو معالجة جذور المشكلة بحل القضية الفلسطينية ثم التخلص من جميع أسلحة الدمار الشامل فى المنطقة تحقيقا للأمن والسلامة.

- عدم وجود ما يؤكد سعى إيران لامتلاك سلاح نووى، «رغم وجود أسئلة كثيرة لم تجب عنها» ثم مضيفاً: أن الطاقة السلمية وحدها لا تحقق التنمية، التى تعنى تطوير جميع الموارد كالوقود الحفرى باعتبارها جميعاً طاقة نظيفة وتقاوم مشكلة ارتفاع أسعار الوقود وأن من حق أى دولة امتلاك التكنولوچيا النووية السلمية والآمنة الداعمة للتنمية .

-عدم التزام الدول الخمس العظمى الحائزة لأكثر من ٢٧ ألف رأس نووى، بما تعهدت به وفقا لمبادرة عدم الانتشار النووى، إصرارا منها على حاجتها إليها لضمان أمنها القومى، يضعف حجتها فى إثناء دول اخرى عن مسعاها لامتلاكه.

- أن انسحاب كوريا الشمالية من معاهدة منع الانتشار ومن الوكالة، سابقة قد تحذو حذوها دول اخرى مع عجز الوكالة عن وضع نظام يمنع الانتشار على نطاق عالمى، خاصة إزاء البرامج النووية السرية التى تقف الوكالة ومفتشوها أمامها عاجزة، سواء بسبب غياب السلطة القانونية أو نقص التمويل على نحو ما حدث مع شبكة العالم الباكستاني عبدالقدير خان.

- أوصى بالإفادة من المفاوضات الأمريكية - الروسية يخفض الترسانة النووية، لاكتساب زخم لمواجهة التحديات التي تهدد السلم والأمن الدوليين، مكررا دعمة «بقوة» مبادرة أوباما للتواصل بشكل شامل مع إيران والعمل على بناء الثقة معها، ومع تسليمه بسلطة الوكالة لتقنين امتلاك السلاح النووى إلا انها بحاجة لوضع معايير ثابتة وسلطة اكبر تسمح للمجتمع الدولى بوضع ضمانات وضوابط جديدة على استخدام التكنولوچيا النووية.

واتصالا بما سبق اكد الرئيس الامريكى أوباما، انه يأمل فى رد طهران على دعوته للحوار المباشر بشأن برنامجها النووى، خلال انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة فى دورتها الجديدة التى تبدأ فى شهر سبتمبر. ورغم طلبه المكتوب الى الرئيس الأمريكى لضرب إيران وتجاهل الأخير له، إلا أن رئيس وزراء إسرائيل عاد للتأكيد على موقف بلاده من عدم استبعاد أى خيار للتعامل مع طموحات إيران النووية مع إفساح المجال حاليا للدبلوماسية وللعقوبات الجديدة .

-٧-

ويبقى موقف مصر الثابت والمعلن من الدعوة لإخلاء منطقة الشرق الاوسط «كلها» من كافة أسلحة الدمار الشامل، مع التمسك بالعمل الدبلوماسى ورفض العمل العسكرى فى التعامل مع توجهات إيران النووية.

فى اجتماع لمجلس محافظى الوكالة الدولية للطاقة النووية رد مديرها على اتهام مندوب إسرائيل بانحيازه لسوريا، بأن إسرائيل اخطأت عندما قامت بتدمير منشأة بزعم كونها مفاعلا نوويا، دون إبلاغ الوكالة، معتبرا ذلك انتهاكا لمبادئ وأحكام القانون الدولي، كما جعل الوكالة عاجزة عن التحقق من الوقائع، وقد انتهز الفرصة للتذكرة بقرار مجلس الأمن الصادر غداة قصف المفاعل النووى العراقى (اوزيراك) الذى يلزمها بوضع منشآتها النووية تحت رقابة الوكالة الدولية.

وفى تصريح لاحق تحدث مدير الوكالة - ربما لأول مرة - عن شعور إيران بعدم الأمان بما قد يفسر تفكيرها مستقبلا - اذا استمر هذا الشعور - فى حيازة سلاح نووى.

ومنوها بالحاجة إلى تعامل عقلانى مع إيران بصدد إثنائها عن مشروعها النووى، ومستطردا الى أن الدول التى امتلكت سلاحا نوويا تعامل بشكل مختلف، وضرب مثلا بكوريا الشمالية التى دُعيت الى مائدة المفاوضات، بينما

«سُحق» العراق بزعم امتلاك مشروع نووي.

وفي نفس الاجتماع اتهم الممثل الأمريكي لدى الوكالة (جريجوري شولتي) إيران بمواصلة خرق تعهداتها بموجب قرارات مجلس الأمن وقرارات مجلس المحافظين ذات الصلة ببرنامجها النووي وأحكام معاهدات منع انتشار الاسلحة النووية السابقة والحالية، وعدم التعاون الكامل مع الوكالة من أجل تسوية جميع المسائل النووية التي مازالت عالقة، بينما برنامج إنتاجها نحو ١٣٠٠ ك.ج يورانيوم فلورايدو، كذا خفيف التخصيب، وانتهى إلى أنها أصبحت الآن قريبة من امتلاك كميات يورانيوم كافية لصناعة سلاح نووي.

وفي واشنطن اتجهت إحدى لجان الكونجرس لاعتماد اجراء يمنع قيام مؤسسة مالية امريكية من مساعدة الشركات التي تدعم إنتاج الوقود المحلي الإيراني أو بيعها إياه بحيث تضطر إيران (إحدى كبار منتجي الطاقة في العالم الى استيراد ٤٠٪ من حاجتها من (البنزين) من الخارج.

ويبدو أن نتائج انتخابات الرئاسة الإيرانية لم تأت بما تشتهيه السفن الغربية، فقد فتحت وسائل إعلامها النار عليها وبادرت لاحتضان المعارضة الإيرانية والدفاع عن حقها في التظاهر، والتنديد بما اعتبرته تجاوزا من السلطة في محاولة قمعها متهمة النظام بالاندفاع الى ممارسات عرفتها البلاد

فى زمن الشاه، بل وبادرت بريطانيا لإعلان تجميد أصول إيرانية لديها تقدر بمليار استرلينى استنادا إلى قرار العقوبات الدولية المفروضة بسبب البرنامج النووى وهى أصول شركات واشخاص يشتبه فى مشاركتهم فى انشطة حساسة بما فى ذلك تطوير الصواريخ.

بينما استدعت الخارجية البريطانية السفير الإيرانى للاحتجاج على احتجاز تسعة من رعاياها فى طهران ثم أطلق سراحهم تباعا.

مثلما احتجت على الاتهامات التى وجهها المرشد الأعلى خلال خطبة الجمعة وصف فيها بريطانيا «اكثر أعداء إيران خيانة».

ثم كان اتجاه قمة مجموعة الثماني لمطالبة إيران بإعادة الانتخابات والا واجهت عقوبات صارمة لولا معارضة وزير خارجية روسيا لهذا التوجه محذرا من عواقبه باعتباره تدخلا فى شأن داخلى، مثلما تصدى لمشروع قرار يدعو إلى سحب السفراء من طهران .

وقد أدان الرئيس الأمريكى (الإجراءات الجائرة) التى اتخذتها السلطات الإيرانية ضد المتظاهرين وذكر فى مؤتمر صحفى أن الولايات المتحدة ومعها المجتمع الدولى «شعرت بالغضب والارتياع بسبب أعمال الضرب والسجن والتهديد

مضيفا» أدين بشدة هذه الأعمال والإجراءات غير العادلة وأضم صوتي الى صوت الشعب الأمريكي الذي يشعر بالحزن على فقدان شخص بريء لحياته، محذرا من أن القمع لن يجدي نفعا، وعلينا أن نشهد على شجاعة الإيرانيين وكرامة الشعب الايراني»

مؤكدا في نفس الوقت على احترام بلاده لسيادة الجمهورية الإسلامية الإيرانية» وعلى عدم التدخل بأية حال في شئونها.

ومقارنة بالموقف الأوروبي (الحاد) بدا للبعض انه يحرص على موقف متوازن، يبقي الباب مفتوحا للحوار الجاد الذي يضمره مع النظام الايراني.

وكانت بعض الحكومات الأوروبية قد استدعت السفير الإيراني، وإضافة إلى بريطانيا. استدعت فرنسا السفير الايراني لديها مرتين لإبلاغه بإدانتها للأساليب القمعية، بينما دعت ايطاليا الى اعادة فرز الأصوات وهدد رئيس وزرائها بتوقيع عقوبات عليها.

وفي إسرائيل علق نائب وزير خارجيتها أن فوز نجاد بفترة رئاسية ثانية يدل على أن التهديد الإيراني يتزايد بالمنطقة ليصبح أقوى من أي وقت مضى، مطالبا المجتمع الدولي بوقف البرنامج النووي الإيراني والإرهاب القادم من

إيران» فى الوقت الذى كانت قوات الاحتلال الإسرائيلى تواصل إرهابها باجتياح جنوب قطاع غزة واطلاق النار بشكل عشوائى .. بينما تقوم جراراته بتجريف الأراضى الزراعية.

ومن قبل ، جرى العدوان الوحشي على القطاع وراح ضحيته نحو ألف وثلاثمائة شهيد وآلاف الجرحى وهدمت ألوف المنازل والمدارس والمستشفيات والمساجد (١٦٢ مسجدا) ومازال الحصار قائما يمنع إمدادات الغذاء والماء والوقود والدواء، كما يمنع أى محاولة لإعادة الإعمار.

ومازال البعض يبحث عن ردود فعل غربية أسوة بما جرى فى شأن قمع المظاهرات فى إيران.

بل إن الكونجرس الأمريكى اعتمد مؤخرا مساعدات لدولة الاحتلال تقدر بمليارين ومائتى مليون دولار، رغم تحدى الاخيرة لطلب الرئيس الأمريكى ووزيرة الخارجية بوقف بناء المستوطنات، وما أعلنته من قرارات لبناء الآلاف منها، بزعم موافقة أمريكية على استكمال ما سبق إنشاؤه، ضمن عناصر أخرى لمؤشرات تتجمع فى الأفق :

– ترديد رئيس إسرائيل (بيريز) عن مشاطرة الدول العربية إسرائيل مخاوفها من تنامى النفوذ الإيرانى ومن مشروعها النووى !

– تصريح نائب الرئيس الأمريكى بأن بلاده لا تستطيع أن تملى على دولة ذات سيادة ماذا يمكنها اولا يمكنها أن تفعله عندما ترى وجودها يهدد !

– لحق به نائب وزير خارجية اسرائيل مؤكدا أن امريكا واسرائيل لن تسمحا لإيران بامتلاك سلاح نووى .

– تراجع رئيس الوزراء الإسرائيلى عن الرفض المطلق لدولة فلسطينية والقبول بها منزوعة السلاح والسيادة واللاجئين والقدس مشترطاً الاعتراف بيهودية اسرائيل !

– مرور سفن حربية اسرائيلية فى قناة السويس عشية انعقاد قمة عدم الانحياز فى شرم الشيخ وكانت قمة الثمانى الكبار قد انتهت بتحذير أمريكى واضح لإيران، بأن العالم لن ينتظرها حتى تستحوذ على السلاح النووى «إننا لن ننتظر الى مالا نهاية، ولن نسمح لإيران بامتلاك سلاح نووى وخرق المعاهدات الدولية، حتى لا نصحو يوما لنجد أنفسنا فى موقف أسوأ، وعاجزين عن التصرف» .

مضيفا انه متمسك بالتعامل معها دبلوماسيا وليس عزلها «لقد عرضنا على إيران مسارا يتيح لها فى نهايته، المكانة الجديرة بها فى العالم، وإن اختيارها عدم قبول هذا المسار سوف يثير قلق دول المجموعة الثمانى وغيرها ، وقد ترى الحاجة لاتخاذ خطوات أخرى، مؤكدا على نية إعادة تقويم

موقفها في قمة قادمة».

وفي تصريحات مماثلة، وجه الرئيس الفرنسي (ساركوزي) حديثه لإسرائيل مؤكدا أنها ليست وحدها مع دعوتها للنظر في الأمر بهدوء، مضيفا أنه اذا لم تشأ ايران مناقشة برنامجها النووي فسوف تتعرض لعقوبات، داعيا الى تغيير سلوكها قبل اجتماع القمة، وفي نفس الوقت حذر إسرائيل من شن هجوم من جانب واحد باعتباره كارثة كبيرة.

في الوقت الذي حذر فيه الرئيس الروسي (ميدفديف) ان العقوبات التي يفرضها الغرب على ايران ستأتي بنتائج عكسية.

ومازال رئيس الأركان الأمريكي (مايكل مولن) يحذر من العواقب الوخيمة للخيار العسكري، من زعزعة الاستقرار في الشرق الاوسط مع تداعياته على المصالح الامريكية وحلفائها، مع أخذ الرد الإيراني في الاعتبار سواء جاءت الضربة من إسرائيل أو من الولايات المتحدة، وإن أضاف ربما لأول مرة، أن توجيه ضربة عسكرية بالصواريخ للمنشآت النووية الإيرانية المعروفة هو خيار أخير.

وقد عقد رؤساء أركان الولايات المتحدة (مايكل مولين) وفرنسا چان لوي چورچيلان والإسرائيلي (جابي اشكينازي)،

اجتماعا سرياً فى أعقاب الكشف عن إقامة إيران لمنشأة جديدة لتخصيب اليورانيوم فى جبل قريب من بلدة (قم).

كما جرى وضع اللمسات النهائية لمناورات حساوخية إسرائيلية جرت بعدها.

(ربما يذكر البعض باجتماع سرى مماثل جرى منتصف خمسينيات القرن الماضى فى ضاحية سفر قرب باريس)

وكان رئيس وزراء إسرائيل قد أطلق صيحة تحذير فى كلمة أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى مستهل دورتها الـ ٦٤ لم يلبث أن اصطف وراءه قادة العالم وفى مقدمتهم زعماء فرنسا وألمانيا وبريطانيا وغيرهم الذين استنفرتهم كلمة للرئيس الإيرانى فى الجلسة الافتتاحية للجمعية العامة، ندد فيها بالممارسات غير الإنسانية للاحتلال الإسرائيلى فى فلسطين مؤكدا على عدم جواز استمرار سيطرة أقلية على سياسة العالم مطالبا اياه بمواجهتها، وكان طبيعيا بعد ذلك أن تنسحب وفود ١٢ دولة من الجلسة على رأسها بالطبع إسرائيل والولايات المتحدة وفرنسا وألمانيا وبريطانيا وإيطاليا والدنمارك ،المجر واستراليا والأرجنتين وكوستاريكا .

وعلى الهامش، لم ينسحب أحد حين مزق أحد القادة العرب ميثاق الأمم المتحدة فى افتتاح جمعيتها العامة خلال كلمة استغرق إلقاؤها ساعة ونصف راجعه خلالها رئيس

الجلسة ست مرات لتجاوزه الوقت، فكان رده أن الرئيس أوباما تعدى الوقت المخصص له هو الآخر !

وتواصل اسرائيل حملة استنفار اصدقائها ضد إيران. حين يؤكد رئيس برنامج الدفاع الإسرائيلي السابق (عوزى روبين) قدرة إيران على مهاجمة أوروبا بالصواريخ إذا واصلت تطويرها لتبلغ ٣٩٠٠ ك.م بينما تعمل على زيادة عدد أجهزة الطرد المركزى المستخدمة فى مفاعلاتها النورية.

وكانت طهران قد سارعت بابلاغ الوكالة باقامة منشأة جديدة لانتاج الطاقة الكهربائية بمستوى تخصيب منخفض ٤٪ لا يكفى لإنتاج مواد انشطارية تستخدم لصنع قنبلة نووية، وهو ما بادر الرئيس الأمريكى إلى نفيه مؤكداً أن حجم وطبيعة المنشأة التى اقيمت تحت الأرض هى لأغراض عسكربة مرجحا أنها تضم ٣ آلاف جهاز طرد مركزى .

وكانت قوات الحرس الثورى الإيرانى قد أجرت مناورة بالصواريخ (سجيل وشهاب ٣، مداها ألفا ك.م أطلقت عليها اسم الرسول الأعظم !) تتميز بدقة التصويب ومجهزة لحمل رؤوس غير تقليدية بما يهدد إسرائيل والقواعد الأمريكية فى الخليج، بينما صرح رئيس الحرس الثورى بأن رد بلاده سيكون مباشرا وحازماً ومدمراً بما يجعل الأعداء يندمون» وذلك اتصالاً بتأكيد الرئيس الإيرانى أن اسرائيل لن تجرؤ على مهاجمة منشآت بلاده النووية وأنهم قادرون على الدفاع عنها.

كان مركز الدراسات الدولية والإستراتيجية الأمريكية قد أصدر تقريرا كشف فيه عن خطة إسرائيلية لضرب منشآت إيران النووية، وحدد الأسلحة الهجومية المطلوبة لذلك:

- ٨٠ طائرة قاذفة مقاتلة أو ٣٠ صاروخاً باليسيتا طراز (آرى٣) (قوة رأسه التفجيرية ٧٥٠ ك.م.ج متفجرات)
- عشرات القنابل الأمريكية الموجهة بالليزر طراز GBU.10,27,28 قادرة على اختراق ٦ أمتار من الخرسانة والخطة تحدد عدد القنابل المطلوبة لكل منشأة :
- فوق الأرض: مصنع تخصيب أصفهان ٩ قنابل
- مفاعل آراك ٤ قنابل
- تحت الأرض: ناتانز مصنع تخصيب اليورانيوم ٥٥ قنبلة تحملها F.15,16 وتفترض الخطة أحد مسارين :
- الأول: تحليق مقاتلات بحذاء الساحل الشرقى للمتوسط ثم عبور المنطقة الحدودية التركية السورية ثم الكردية وصولا إلى الأهداف داخل الأراضى الإيرانية (وهو مسار تحفه المخاطر).
- الثانى: قصف المنشآت النووية بصواريخ باليسيتا وذلك بمجرد حصول إيران على منظومة الدفاع الصاروخى الروسى S 300 وقبل تشغيلها.

وقد لقى هذا التوجه (العسكرى) ردود فعل معارضة:

- مستشار الأمن القومي الأمريكى السابق (زبجنيوبرچنسكى) طالب بلاده بأن تمنع القوات الجوية الإسرائيلية من ضرب إيران حتى لو اضطرت لاستخدام القوة ! فلا تسمح باستخدام المجال الجوى العراقى، «ليس بالكلام فقط، بل لابد من مواجهة قوية ».

- وفى فرنسا أعلن وزير خارجيتها (برنار كوشنير) أن بلاده لا تؤيد خيار توجيه ضربة عسكرية لإيران مضيفا: أنه شخصيا لا يحبذ فرض العقوبات الاقتصادية لتأثيرها سلبا على حياة المواطنين وخاصة الفقراء، (وهى تصريحات ربما كانت محل مراجعة من رئيسه الذى سبق أن أمهل إيران بضعة شهور لوقف مشروعها النووى).

- وفى تركيا حذر رئيس وزرائها (أردوجان) قبيل زيارة لإيران من الاقدام على حمل عسكرى ضدها بذريعة مشروعها النووى، ووصفه بالخطوة الجنونية، مذكراً بأن العراق تذكرة وعبرة حيث تم القضاء على حضارته وتدميرها، ومضيفا معارضة بلاده لوجود سلاح نووى فى الشرق الأوسط، مع استهجانه للضجة حول إيران فى وقت تمتلك فيه دولة أخرى فى المنطقة سلاحا نوويا بالفعل !

- وكان مدير الوكالة، عقب زيارة لإيران (السادسة وربما

الأخيرة) قد أشار إلى استمرار تعاونها وموافقتها على زيارة مفتشى الوكالة للمنشأة النووية الجديدة، وقد تمت بالفعل.

- مكررا رأيه فى إمكانية حل مشكلة الملف النووى بالطرق الدبلوماسية.

- وفى واشنطن كرر مستشار الرئيس الأمريكى للأمن القومى (چيم چونز) تشككه فى أن لدى إيران المعلومات الكافية لصنع سلاح نووى مؤملا أن يتحول النزاع معها إلى تعاون.

وكان مجلس الأمن قد وافق بالاجماع فى قمة تاريخية برئاسة الرئيس الامريكى (أوباما) على مشروع قرار يدعو دول العالم المالكة لأسلحة نووية للتخلى عن ترسانتها النووية، كما تبنت القمة قراراً يدعو الدول الموقعة على معاهدة منع الانتشار النووى للوفاء بالتزاماتها، أما غير الموقعة فقد دعاها إلى المبادرة بإقرارها.

ودعا القرار أعضاء المنظة إلى التفاوض حول خفض الترسانة النووية، والعمل على صياغة معاهدة شاملة لنزع السلاح تحت إشراف دولى .

وفى نفس الوقت حث القرار على تقديم كل الدعم والتعاون اللازمين للوكالة الدولية للطاقة للقيام بواجبها فى التفتيش والمراقبة فى حق كل دولة مشتبه فى أنشطتها.

وجاء رد إسرائيل فوريا برفض القرار وإعلان عدم التعاون في تنفيذه ' ووصفه بأنه يكرس النزاعات السياسية وخطوط 'الانقسام في الشرق الاوسط '

ثم كان قرار مجلس محافظي الوكالة الدولية للطاقة الذرية التابعة للأمم المتحدة، وتوجيه اللوم لإيران بمناسبة تطويرها موقعاً جديداً لتخصيب اليورانيوم سراً في «قُم» وطالباً بتجميده فورا . أول قرار يتخذه المجلس منذ بضع سنوات ويصدر بموافقة خمسة وعشرين عضوا من بينهم روسيا والصين ومعارضة ثلاث دول وامتناع ست من بينهم مصر، بسبب عدم إشارة القرار الى إخلاء منطقة الشرق الأوسط من السلاح النووي واعتبرته قرارا غير متوازن.

والخطوة التالية كان عرض القرار على مجلس الأمن للنظر في فرض حزمة جديدة من العقوبات.

كما أقر مجلس محافظي الوكالة خطة روسية بدعم أمريكي لإنشاء بنك متعدد الجنسيات لوقود اليورانيوم باعتباره خطوة على سبيل الحد من انتشار السلاح النووى وتشجيع الاستخدام السلمى للطاقة الذرية وتقضى بالسماح لروسيا (المنتج لليورانيوم) بإنشاء البنك تحت إشراف الوكالة لتزويد الدول الراغبة في تنفيذ برامج نووية سلمية بيورانيوم منخفض التخصيب حال إثبات حيازاتها «لسجل إيجابى فى

الحد من الانتشار النووى».

وقد صدر القرار بأغلبية ثلاثة وعشرين عضوا وامتناع ثلاثة ومعارضة ثمانية وغياب دولة واحدة. وجاء الرد الإيرانى سريعا على القرار الاول بالإعلان عن خطة لبناء عشر منشآت نووية جديدة بحجم منشأة ناتانز مع بحث رفع تخصيب اليورانيوم الى ٢٠٪، بحيث يشرع فورا في بناء خمس منشآت اكتملت دراستها واستكمال خطط الخمس الأخرى، هذا بينما طالب مجلس الشورى (بأغلبية ٢٦٦ من ٢٩٠) بوضع خطة عاجلة لخفض التعاون مع الوكالة (على نحو ما تم عام ٢٠٠٦ أثر قرار إحالة الملف النووى لمجلس الأمن) كما اعتمد مجلس الشورى ٢٠ مليون دولار لكشف الانتهاكات الأمريكية والبريطانية لحقوق الإنسان أمام المجتمع الدولى ودعم حركات المعارضة للغرب.

وأكد مسئول الخارجية الإيرانية حاجة بلاده لتوفير الوقود النووى اللازم لتشغيل مفاعل ناتانز تحقيقا للاكتفاء الذاتى نافيا أى تأثير لمشاركة روسيا والصين فى قرار الإدانة، على العلاقات الإستراتيجية مع البلدين.

وقد اتهم الرئيس الإيرانى الوكالة بتسريب معلومات عن البرنامج النووى للأعداء ! ملوحا بانتهاء عهد الصداقة مع الوكالة ورهن التعاون معها بما تقدمه لبلاده، وفي حدود

معاهدة منع الانتشار النووى التى تقضى بإبلاغها بتطور المنشآت الجديدة بعد تركيب المعدات النووية، وقبل ستة أشهر من تشغيلها. وعلى العكس كانت إسرائيل أول من رحب بالقرار فى بيان لوزارة الخارجية ذكر أن تبنى الوكالة للقرار يعنى توصل المجتمع الدولى إلى نتيجة مفادها أن البرنامج النووى الإيرانى أصبح مصدر خطر جدى على السلام العالمى، بينما صدر عن واشنطن ما يفيد أن صبرها بدأ ينفد حيال الملف النووى الإيرانى، واعتبرت بريطانيا أن القرار يبعث أقوى إشارة ممكنة إلى طهران.

ورغم استنفارها المجتمع الدولى للتصدى لمشروع إيران النووى، فقد رحبت إسرائيل بأنباء الانتهاء من تشييد محطة إنذار (فى مدينة «اشجابات» بتركمانستان) على مبعدة كيلو مترات قليلة من الحدود مع إيران، للكشف عن أية هزات أرضية بقوة ٢.٧٥ درجة بمقياس ريختر واية إشعاعات ناجمة عن تجارب نووية !

بينما كشفت المخابرات الأمريكية عن إعادة هيكلة إيران لقواتها البحرية بما يتيح للحرس الثورى حرية الحركة والقيام بعلميات فى منطقة الخليج حال نشوب الصراع فيها، وأن تركيز فيلق الحرس الثورى على زوارق الهجوم السريع وصواريخ كروز فى مضيق هورمز والخليج وامتداده يتيح

لأسلحة البحرية المساهمة فى الإستراتيجية الدفاعية الإيرانية على نحو أفضل بعد نشر مجموعة من أسرع الزوارق البحرية فى الخليج مع تنويع خبراته مستلهما مزيجا من تكنولوچيا وتصميمات صينية وكورية شمالية وايطالية بينما تتجه لصنع سفن تعمل بلا أطقم «أو تسعى للحصول عليها».

هذا فى الوقت الذى تواصل فيه سلسلة مناوراتها البحرية والجوية، وقد شارك فى الأخيرة الحرس الثورى والقوات المسلحة بهدف حماية المنشآت النووية الإيرانية وقد ختمت المرحلة الثالثة من مناوراتها الجوية الدفاعية (سماء الولاية) باطلاق انواع متعددة من الصواريخ المضادة للطائرات واعتراضها مع اختبار أنواع جديدة من الدفاعات الجوية هذا بينما شاركت اسرائيل بسفينة صواريخ فى مناورات حلف الناتو البحرية فى البحر المتوسط للتدريب على منع تهريب الأسلحة ومكافحة الإرهاب، مما يعتبر نقلة نوعية جديدة لعلاقاتها مع الحلف. خاصة وأن مناورات «الجهد النشيط» مناورات دورية منذ عام ٢٠٠١ تشارك فيها كل أساطيل الحلف والأسطول السادس بهدف منع انتشار أسلحة الدمار الشامل والصواريخ ومنع وصول أية أسلحة الى جهات إرهابية وتشارك فيها روسيا وأوكرانيا بإجراءات الرصد والمراقبة والتنسيق والاتصالات، ويغطى نشاطها البحرين

(المتـوسط من جـبل طـارق، والأحـمـر فى باب المندب) بحـيث يشـمل مكافـحـة القـرصنة فى سـواحل الصـومـال، مع مـراعـاة عدم اقتراب السفن الإسرائيلية من المياه الإقليمية لدول عربية لا تربطهـا باسـرائيل عـلاقات دبلومـاسـية مثل سـوريا وبعض دول الشمال الإفريقى.

وكان رئيس وزراء اسرائيل ، قد حذر من تحول إيران الى قوة نووية باعتباره تهديدا خطيرا ليس فقط لبلاده بل للسلام فى الشرق الأوسط ! الغريب أن تصريحه جاء من فوق واحدة من ثلاث غـواصـات (صـناعـة ألمانيـة) مـجـهـزة لحـمل رؤوس نووية! وذلك بـعـد أن تفـقـد السـفـينة «فـرانكوب» غنيـمة عمليـة القـرصنة التـى اسـتـولت عليـهـا قـواته البـحـريـة بماتحمله من أسلحـة وذخائر، وأيضـاً بعد أن قام بتدشين تسعمائة مـسكن فى القـدس الشـرقية. (اعتبرهـا الرئيس الأمـريكى عائقـاً أمـام عمليـة السـلام) ثم أصـدر الاتحـاد الأوروبى بعـدها بيـانه بأن تصـبح القـدس العـاصـمـة المسـتـقـبليـة لدولتـين فلسطينيـة واسـرائيلية وكـان مشـروع البـيان يدعـو لأن تصـبح القـدس الشـرقيـة عـاصـمـة لفلسطين لولا ضـغـوط إسـرائيلية مكثـفـة بدعوى أنه يعطل مسيرة السـلام (المتوقفة أصلا، وكأنهـا غاية فى ذاتهـا وليس تحـقيق السـلام) وعلى أية حـال فـإن واشنطن تكفلت باعادة المسألة الى المربع رقم واحد بالتـأكيد على أن

مصير القدس يجب أن يحل من خلال مفاوضات الوضع النهائى...

وكان مندوبا أمريكا واسرائيل فى الأمم المتحدة قد شنا حربا عنيفة على قرار الجمعية العامة الخاص بالقدس الشرقية والجولان نهاية الخريف الماضى بموافقة ١٦٣ دولة ومعارضة ٧ دول (الداعى الى إلغاء وبطلان جميع التدابير والاجراءات التشريعية والإدارية التى اتخذتها اسرائيل بهدف تغيير الطابع والمركز القانونى لهما)، بدعوى أنه غير متوازن! وجاء رد الكنيست قرارا بحظر أى انسحاب من القدس الشرقية أو الجولان دون إجراء استفتاء !

وكان رئيس أركان (الناتو) دى باولا قد زار إسرائيل للقاء مع نظيره الإسرائيلى (إشكينازى) كما زارها بعده نائب عام الناتو (كلوديو بيزونيدو) لمباحثات فى إطار التعاون والحوار المتوسطى ولقاءات مع وزير الخارجية وأعضاء لجنتى الدفاع والخارجية بالكنيست ونائب وزير الدفاع ورئيس الأمن القومى ومسئولين آخرين، وكلها ترمى لتكثيف التعاون الإسرائيلى مع الحلف وإدراج احتياجاتها ضمن أهداف الحلف على الأمدين القصير والطويل، بينما أكد مستشار الأمن القومى الإسرائيلى (عوزى أراد) أن التعاون مع إدارة الرئيس الامريكى ووكالة الامن القومى الأمريكى حول ملف

إيران النووى يتصدر أولويات إسرائيل حاليا (وليس إقامة الدولة الفلسطينية بطبيعة الحال).

وكان تقريراً إيرانياً قد كشف قيام الموساد باختطاف نائب وزير الدفاع الايرانى السابق (جنرال على رضا أصغرى) خلال رحلة فى تركيا فى ديسمبر ٢٠٠٦، بينما أفاد رئيس سابق لإدارة التخطيط بوزارة الدفاع الألمانية أنه هرب الى اسرائيل حيث أفشى أسرار برنامج بلاده النووى ! كما أفاد أن إيران كانت تمول قيام كوريا الشمالية بمساعدة سوريا لإقامة مشروع نووى (قامت اسرائيل بضربه فى ديسمبر ٢٠٠٧).

ويبدو أن الضغوط التى مارسها الرئيس الأمريكى لحساب إسرائيل خلال زيارته لروسيا، ومن قبل رئيس وزراء إسرائيل قد أثمرت إرجاء تزويد إيران بصواريخ S300 المطورة وارجاء تشغيل مفاعل بوشهر.

وكان رئيس البرازيل (دى سيلفا) قد دعا الرئيس الإيرانى خلال زيارته لمواصلة الحوار مع الغرب للتوصل لحل عادل ومتوازن للمشكلة النووية مع دعمه لحق إيران فى امتلاك برنامج نووى للأغراض السلمية منتقدا محاولات عزلها بسببه، ومعروف علاقات البرازيل القوية مع كل من واشنطن وتل أبيب وسائر الدول التى تسعى لاحتواء المشروع النووى،

بينما حصل «نجاد» على دعم غير محدود من نظيره شافيز (فنزويلا) الذى وصفه بانه مقاتل فى الحرب ضد الإمبريالية فى حين وصف اسرائيل «بالقاتل المأجور»، وقد أشاد كل منهما بالآخر كرفيق ثورى، وردا على تصريح للرئيس الإسرائيلى بيريز بأن أيام «الرفيقين» فى السلطة محدودة ذكر شافيز فى مؤتمر صحفى مشترك «أنه يعتبره تهديدا حيث تمثل إسرائيل الذراع القاتلة للامبراطورية الأمريكية»

على أية حال، فإن إيران لا تثق فى نوايا القوى الكبرى التى تلمح من أجل فرض عقوبات جديدة وتبدو فرنسا الأكثر احتضاناً لطموحات إسرائيل للانفراد بالقوة النووية – التى زودتها بها – فى المنطقة والتصدى لمواجهة مشروع ايران النووى.

وربما يذكر هنا أن إيران أيام «الشاه» كانت تتبنى مشروعا لجعل الشرق الأوسط منطقة منزوعة السلاح وكان هناك تعاونا وثيقا فى هذا الشأن بين إيران ومصر قطعه قيام الثورة فى إيران وإبرام مصر اتفاقية سلام مع إسرائيل..

وبمناسبة استقباله لرئيس بعثة رعاية المصالح المصرية أعرب وزير خارجية إيران «منوشهر متقى» عن تقديره لموقف مصر من برنامج بلاده النووى (السلمى بطبيعة الحال)، وأن المشاورات بين البلدين حول القضايا القائمة والتعاون فى

المنظمـات الإقليـمـيـة والدوليـة، تمثل سندا طيـبا للمنطقـة وشعوبها.

وفى سياق إلحاح الحكومـة الإسرائيلية على واشنطن لدعم توجـهها لضـرب مشروع إيران النووى، وإعطائه الأولوية على حل القـضـيـة الفلسطينيـة، بزعم أن إزالة الحظر الإيرانى سيـسـاعد على حل القـضـيـة الفلسطينيـة ! طالعتنا دورية «الفورين افيرز» الأميـريكيـة بعنوان (قراءة مضللة للخريطة: الطريق الي القدس لا يمر بطهران)

بتقرير تؤكد فيه أن العكس هو الصحيح :

- إن إيجاد حل عادل ودائم للقضيـة الفلسطينية سيضمن انحسـار التشدد وتقويض النفوذ الإيرانى فى الشرق الأوسط وإضعاف الجماعات العربية المؤيدة له .

- سبق لإدارة أمريكية سابقة (بوش) أن روجت لدعوتها لغزو العراق، بدعوى إطلاق استراتيچية دبلوماسية للسلام الإســرائيلى الفلسطينى، ثم تبين أن فكرة أن الطريق إلى القدس يمر ببغداد كانت وهمـا كبيرا، وعلى العكس فقد أدت الى ترجـيح كـفـة توازن القـوى فى المنطقـة لصـالح إيران وحلفـائها بل وتقوية الجـمـاعـات والقوى المناهضـة للولايات المتحدة واسرائيل فى لبنان وفلسطين واستعمال العنف فيهما مع زعزعة الثقة فى أمريكا .

- إن وجـود حـالة من القلق لدى دول المنطقـة من تمدد النفوذ الإيرانى ونشاط الجماعات الموالية له، ومن مشـروعها النووى، والتصـور أنهـا تشـارك الولايات المتحـدة وإسـرائيل مخـاوفها، لن تبلغ حد الموافقـة على ضربة عسكرية لمنشآت إيران النووية .

- إن الرئيس أوبامـا يدرك أن التـهـديد الرئيـسى لوجـود إسرائيل كدولة ديمقراطية يهودية ليس إيران، ولكن صراعها مع الفلسطينين وأن الطريق إلى طهران يمر بالقدس وليس العكس .

ويبدو أن حكومة إسرائيل المتطرفة، وقد فشلت فى إقناع واشنطن بضـرب إيران نيـابة عنها على نحـو مـا فعلت مع العراق، ها هى تكثف مناورات سلاحها الجوى بطول ساحل البحر الأبيض وحتى مضيق جبل طارق (حوالى ٣٨٠٠ ك.م) جرى خلالها التزود بالوقـود فى الجو مع استدعـاء جنود الاحتياط للمساعدة فى تشغيل نظام الدفاع الصاروخى المطور لتأمين الحماية ضد رد إيرانى محتمل واعتراض صورايخها فى أية مرحلة قبل وصولها للهدف .

ويرى خبـراء إسـرائيليـون (هوزى روبين ونال عـبنار) أن إيران تعتمد صواريخ «شهاب» سلاحا ذا قوة تدميرية هائلة وتختزن منه المئات .

وقد جدد وزير الدفاع الأمريكي (جيتس) التأكيد على أن ضرب إيران قد يؤخر مشروعها النووى لكنه لن يوقفه، وأن تدمير كل المواقع الإيرانية المعروفة لن يحول دون إعادة بنائها، وبعيدا عن مراقبى وكالة الطاقة النووية هذه المرة، مع اعتبار أن امتلاكها لكمية كبيرة من اليورانيوم المخصب سيمكنها من التقدم بمعدل أسرع . وفى حملة استنفار جديدة شن قادة إسرائيل هجوما على النظام الإيرانى، حيث وصفه رئيسها «بالتعصب» ! والوقوف أمام عجلة التاريخ !! وإنفاق مبالغ طائلة لتصنيع صواريخ بعيدة المدى مع تطوير برنامجها النووى العسكرى، متهما إياها بتهديد السلام فى الشرق الأوسط ! ودعم منظمات حزب الله وحماس، بينما أعلن رئيس وزراء إسرائيل أنها «والعرب» يجتمعون لأول مرة على التخوف من توجهات إيران ! فى محاولة للإيحاء بأنه مفوض للحديث باسمهم !!

أما وزير خارجيته، فقد وصفها بأنها عامل مزعزع لاستقرار المنطقة والعالم !

وكلها نماذج لقدرة مشهودة على قلب الحقائق وإلباس الباطل ثوب الحق .

ويذهب تقرير للجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكى أن الحل السياسى هو السبيل الأفضل للتعامل مع

مساعى إيران لتطوير قدراتها النووية مع اقرار رئيس اللجنة (چون كيرى) بمشروعية الدور الإيرانى فى المنطقة، وتتراجع واشنطن عن فكرة تغيير النظام الإيرانى، مع السعى لاقناعها بوقف تطوير قدراتها على صنع قنبلة ذرية والقبول بمراقبة دولية جادة والعمل على استخدام سياسة متوازنة، بعد أن فشلت سياسة العقوبات التى فرضتها الأمم المتحدة ثلاث مرات، عن الحد من تقدمها رغم أن الموقف الحالى للبرنامج النووي الإيرانى مازال مجهولاً، وليس هناك ما يفيد صدور قرار بإنتاج سلاح نووى، وإن كانت تقترب من استكمال المواد الثلاثة اللازمة لإنتاجه وهى :

- المادة الانشطارية.
- تصميم الرأسى الحربى.
- نظام الإطلاق الصاروخى .

ومع تخوف التقرير من أن امتلاك إيران لسلاح نووى قد يدفع دولا أخرى فى المنطقة الى السعى لتطوير قدراتها النووية، إلا أنه يحذر إسرائيل من مغبة الإغارة على المنشآت النووية، مشيرا إلى رفض الإدارة السابقة (بوش) خلال الشهور الاخيرة لولايته دعم بلاده لهذا التوجه رغم انسياقه المعروف لتلبية كل مطالبها بما فى ذلك تدمير العراق .

وإزاء مـــا صــــدر عن رئيس الوزراء الإســـرائيلى من

تصريحات أكد فيها أنه لن يسمح لإيران بامتلاك سلاح نووى وسيعمل على الحيلولة دونها وتلقى أية تكنولوچيا متقدمة وإزاء التخوف من اندفاع إسرائيل، اوفد الرئيس الامريكى مبعوثا (ليون بانيتا) مدير وكالة المخابرات المركزية، طلبت منها عدم مفاجأة واشنطن بشن هجوم على منشآت إيران النووية، موضحا أن واشنطن لا تريد أن تضعها تل أبيب أمام أمر واقع وتداعيات غير محسوبة.

بينما توالى مراكز الأبحاث الأمريكية إعداد تقاير لبلورة سياسة جديدة للتعامل البناء مع ايران أخذه فى الاعتبار تزايد دروها فى المنطقة من حيث دعم الشيعة فى العراق ولبنان وبعض دول الجوار وأيضاً دعمها للمقاومة الفلسطينية واللبنانية (تعتبرها واشنطن إرهابا) بينما تراها ايران دعما للمستضعفين فى مواجهة احتلال الأراضى العربية.

ويلتقى التقريرمع مزاعم إسرائيل أن حيازة إيران سلاحا نووياً قد يدفع قوى إقليمية أخرى للسعي لامتلاكه تحقيقا للتوازن.

المغالطة الظاهرة أن امتلاك قوة الاحتلال للسلاح النووى مع رفضها كل عروض السلام منذ ستين عاما لم يدفع أحدا فى المنطقة لمنافستها، وينتهى التقرير الى دعوة واشنطن للحوار المباشر مع القيادة الإيرانية بعد فشل سياسة

(الاحتواء) والعقوبات فى إثناء إيران من المضى فى مشروعها النووى، مع التوصية بخطوات محددة:

- السعى لطمأنة حلفاء المنطقة أن الحوار لن يكون على حساب مصالحهم .

- منع تل أبيب من توجيه ضربه عسكرية الى منشآت إيران النووية.

- الحوار مع إيران ينطلق من مناقشة حجتها أن التخصيب لا يتعارض مع معاهدة منع الانتشار النووى، والربط بين وقف التخصيب خلال المفاوضات ووقف العقوبات.

مع مراعاة العمل الجماعى مع القوى الدولية والاقليمية.

فى تصريحات (نشرتها الجارديان) اتفق مدير الوكالة مع كثير مما سبق:

- كرر تحذيره من إقدام اسرائيل على قصف إيران واصفا تلك الخطوة بالجنون ومؤكدا أنها ستدفع طهران للتعجيل بصنع القنبلة النووية مستفيدة من دعم العالم الإسلامى بأسره فى نفس الوقت للتواصل مع الولايات المتحدة.

- الإشفاق من تزايد عدد الدول القادرة على انتاج البلوتونيوم واليورانيوم عالى التخصيب فى ظل امتلاك قدرات صاروخية، مقدرا عدد الدول التى ستملك سلاحا نوويا

مستقبلا من تسع إلى عشرين دولة !
- التخوف من نشوب صراع بين دول تملك سلاحا نوويا،مع الاشارة الى تعاظم حركة طالبان فى باكستان والى أنه لن يكون مستغرباً محاولة جماعات متطرفة الحصول على سلاح أو مواد نووية !

وفى سياق التصعيد أعلنت طهران عن نجاحها فى إطلاق صاروخ (سجيل ٢) وهو متوسط المدى (ألفا ك.م) قادر على ضرب أهداف إسرائيلية وأمريكية فى الخليج، ويتميز بارتفاعه فوق الغلاف الجوى ثم العودة لإصابة الهدف، إضافة إلى تصنيع مدفع بحرى مضاد للطائرات ولاعتراض الصواريخ جوا وحدد رئيس الأركان الأمريكى «مايكل مولن» تقديره أن إنتاج سلاح نووى إيرانى قد يستغرق وقتا.

وكان الرئيس الإيرانى قد أعلن تأجيل المباحثات مع الدول الخمس دائمة العضوية فى مجلس الأمن + ألمانيا.

ويبدو أن الطريق لكسب جماهير إيران بات رهنا بالمزايدة على اظهار القوة والتشدد.

وهو ما تمثل في تصريحات لرئيس الحرس الثورى السابق محسن رضائى: أن بلاده قادرة على إسكات إسرائيل بضربة عسكرية واحدة!

ليندفع بعدها الرئيس نجاد إلى تشبيه قاس لإسرائيل

ومن وراءها بعصبة (ك. ل. أ. ب) يغريها تراجع من أمامها بالهجوم عليه، بيما تلوذ بالفرار أمام من يبادر بالهجوم!!

وهنا نذكر كتاب السناتور الأمريكى الشهير بول فندلى بعنوان: Who dares to speak، حول ما يلقاه أى معارض لسياسات إسرائيل التوسعية فى فلسطين، والذى واجه حملة ضارية من اللوبى الصهيونى انتهت بعزلته.

ومع ذلك أو برغم ذلك، فإن رئيس وزراء تركيا لا يتوقف عن الكلام. وجاءت آخر تصريحاته بمناسبة مصرع بعض الفلسطينيين واعتقال آخرين من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلى، حيث اتهمها باستخدام القوة المفرطة، واعتبرها خطرا يهدد السلام فى العالم، وانتهاك أكثر من مائة قرار للأمم المتحدة داعيا لإعادة النظر فى ميثاقها لتفعيل ما تصدره من قرارات.

ثم كرر تنديده بالضجة الدولية المثارة حول مشروع إيران النووى مع غض النظر عن ترسانة إسرائيل النووية.

وتُلاحق المخابرات الإسرائيلية (موساد) ومن ورائها الغربية، تقارير عن حصول إيران على مائة محول طاقة (لتحويل الضغط إشارات كهربائية) تصنع فى أوروبا، وتباع لشركة فى تايوان.

كما كشف تقرير مخابراتى عن اتفاق بين إيران

وكازاخستان لاستيراد شحنة من خام اليورانيوم النقى (١٣٥٠ طن - قيمتها ٣١٥ مليون دولار).

وتتهم تقارير أخرى شركات صينية ببيع تكنولوجيا صواريخ لإيران، والتوسط لشحن ٣٠٠ شحنة غير قانونية من شركات أمريكية بملايين الدولارات بالالتفاف حول الحظر الأمريكى منذ عام ٢٠٠٦.

كما تشجع الصين الاستجابة لاقتراح إيران مبادلة اليورانيوم ضعيف التخصيب مقابل الوقود النووى المخصب بنسبة ٢٠٪ بمفاعلها فى طهران.

وهو الاقتراح الذى أعلنت الخارجية الفرنسية رفضها له بدعوى أن النظام الإيرانى مهدد من معارضيه ما أدى إلى إرجاء طهران لزيارة وفد من البرلمان الأوروبى لأجل غير مسمى، وهى الزيارة التى عارضها الكونجرس بشدة ودعى لإلغائها وفى مواجهة تلك المعارضة وتخوفا من تأثير الأجهزة والقنوات الدولية علي الرأى العام الإيرانى، وضعت وزارة الاستخبارات قائمة بحظر التعامل مع ٦٠ جهة دولية اعتبرتها مشاركة فى تشجيع المظاهرات المعادية للحكومة من بينها عديد من المنظمات الأمريكية مثل مؤسسات روكفللر وفورد وجورج سورس ومعهد بروكنجز، والصندوق الوطنى الديمقراطى وحيومان رايتس ووتش، باعتبارها «قوى ناعمة»

تستهدف الجمهورية الإسلامية، وأيضا حظر التعاون مع الشبكات الفضائية المعادية مثل «صوت أمريكا» وهيئة الإذاعة البريطانية وراديو فاردا (الممول من أمريكا) وصوت إسرائيل باعتبار الثلاث الأخيرة معبرة عن تآمر الدول الثلاث (أمريكا وبريطانيا وإسرائيل).

ويذكر هنا أن مدير المخابرات الأمريكية (دنيس بلير) أشار إلى وجود وثائق تثبت أن شحنة الأسلحة الكورية الشمالية التي صودرت في تايلاند أواخر (٢٠٠٩)، كانت في طريقها إلى إيران عبر سيريلانكا والإمارات وأوكرانيا.

وقد استقبلت تل أبيب بكثير من عدم الارتياح أنباء إطلاق أقمار صناعية إيرانية مطلع العام ٢٠١٠ باعتبارها مؤشرا على قدرات إيران الصاورخية، في الوقت الذي كررت فيه مناوراتها البحرية الكبرى في الخليج ومضيق هورمر. وكذلك إطلاق إيران الصاورخ (سجيل ٢) الذي يبلغ مداه ألفي كيلومتر (بحيث يطول العمق الإسرائيلي) باعتباره أكثر الأنظمة البالستية تطورا لقوته التدميرية الهائلة مع دقة بالغة.

وكان رئيس هيئة الطاقة الذرية الإيرانية (علي أكبر صالحي) قد كشف عن إنتاج جيل جديد لتخصيب اليورانيوم من أجهزة الطرد المركزي IR 3.4 تدخل التشغيل في مارس ٢٠١١ بحيث تكون قادرة على التخصيب بمعدل يفوق الحالي

مرتين أو ثلاث مع امتلاك نحو تسعة آلاف جهاز طرد مركزى.

وفى نفس الوقت تتواصل عمليات اغتيال مسئولين إيرانيين بعضهم يشارك فى البرنامج النووى وبينهم (مسعود على محمدى) العالم النووى البارز ومن مؤيدى نجاد ونظامه. الذى اغتيل بعبوة ناسفة في أحد شوارع طهران، واتجهت أصابع الاتهام لإسرائيل.

وقد فشلت مجموعة الدول الخمس + المانيا، فى إقرار فرض حزمة جديدة من العقوبات الاقتصادية موجهة هذه المرة إلى مؤسسات وأفراد الحرس الثورى (باعتبارها القوة الاقتصادية والعسكرية وراء المرشد الأعلى والرئيس نجاد) ومن بينها أكبر شركة اتصالات يمتلكها وأيضا شركة الألومنيوم، وقد شاركت المعارضة الإيرانية فى واشنطن مع الخارجية الأمريكية فى تحديد تلك الأهداف.

ونقل عن السفير الإسرائيلى فى واشنطن «أن بلاده تعتبر أن مزيدا من العقوبات من شأنه اتساع الفجوة بين الشعب والنظام الحاكم، حيث تتجنب العقوبات الجديدة المساس بمصالح الشعب وتتجه لعقاب النخبة».

ومعروف أن إسرائيل واحدة من الدول التى تخزن أمريكا لديها معدات عسكرية تبلغ قيمتها نحو ٨٠٠ مليون دولار يسمح لها باستخدامها فى حالات الطوارئ! وتشمل صواريخ

وذخيرة ومدفعية ثقيلة وعربات مدرعة (وهى خطوة أخيرة في استراتيجية بدآت تطبيقها قبل عام).

بينما يجرى نشر منظومة الدفاع الصاروخي الجديدة (القبة الحديدية) كقوة ردع فى أى هجوم.

ويري الجنرال بترايوس (قائد القوات الأمريكية فى العراق وأفغانستان) أن واشنطن لم تصل بعد إلى النقطة الحرجة التى تضطر عندها لاستخدام القوة العسكرية ضد إيران، حيث مازال الحل الدبلوماسى واردا فى رأيه، ومع ذلك يرى أن من الطبيعى أن يكون لبلاده خططها لمواجهة جميع الاحتمالات بما فيها قصف المنشآت النووية.

وفى كلمته أمام معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى أكد رئيس الأركان (مايكل مولين) موقفه من معارضة توجيه ضربة عسكرية لإيران محذرا من أثرها المدمر على الاستقرار فى المنطقة، وتمسكه بالحل الدبلوماسى، ويشاركه الرأى عدد من الخبراء الاستراتيجيين:

- «انتونى كوردسمان» الذى يعتبر أن هجوما إسرائيليا سيكون محدود الفائدة.

- وكان «توماس فريدمان» قد سبقه إلى هذا الرأى حين اعتبر أن التعايش مع إيران «نووياً» أفضل من مهاجمتها.

- بل يذهب محلل إسرائيلى مناحم بيجن) إلي اعتبار العمل المستقل ضد إيران جنونا.

ويتوقع جهاز المخابرات البريطانية MI6 فى تقرير أخير قيام ثورة كبرى فى إيران تطيح بالنظام الحالي شبيهة بتلك التى أطاحت بالشاه عام ١٩٧٩ استنادا إلى تصاعد المعارضة وتنامى حجمها.

ومثلما انكشف الدور الإسرائيلى فى إذكاء الصراع فى مناطق عديدة.. جنوب السودان ودارفور مثلاً..

فإن اندلاع القتال بين روسيا وجورجيا، منذ فترة، كشف عن حجم وكثافة الدور الإسرائيلى فى دعم القوات المسلحة لجورجيا.

حيث حصلت على أسلحة متقدمة مع تدريب لقواتها (المشاة) وكانت صحيفة (يديعوت أحرونوت) قد أشارت إلى اجتماع خاص فى وزارة الدفاع الإسرائيلية عقد لمناقشة صفقات السلاح المختلفة المبرمة مع جورجيا.

ومعلوم أن إسرائيل كانت من أولى دول العالم التى سارعت أو وثبت إلى عواصم جمهوريات الاتحاد السوفييتى السابق فور تفككه واستقلال كل منها.

وكان علم (النجمة الزرقاء) أول الرايات التى رفرفت فى سماء عواصمها بعد تبادل التمثيل الدبلوماسى.

وهو ما يعكس حجم الاعتماد الأمريكى على إسرائيل فى

خدمة سياسة الهيمنة: الأمريكية وإذكاء الفتن وخلق المتاعب لروسيا الاتحادية وصولا لحصارها، وعزلها إن أمكن..

وبالمناسبة لم يكن غريبا أن تبادر واشنطن لتنفيذ مخططها نشر الدرع الأمريكي الصاروخي في بولندا مستغلة انشغال موسكو بالأزمة، لتعلن بعد ذلك أنه موجه لإيران!

ويرى البعض أن تأزم الموقف بين القطبين الكبيرين، قد يرجئ توقيت الضربة الإسرائيلية لإيران بعض الوقت.. بينما يرى آخرون أن العكس ربما يكون صحيحا. مع ما هو معروف من دأب حكومة تل أبيب على استغلال التهاء العالم بأزمة، لتنفيذ مآربها الخاصة.

ومازالت أخبار الدعم العسكرى الأمريكي تتواتر، وآخرها هدية الرئيس الأمريكي السابق لإسرائيل قبيل رحيله:

منظومة صواريخ متحركة محمولة على شاحنات يعمل على كل منها ثلاثة أمريكيين (قائد وخبيرين في تشغيل الرادار الذى يكشف عن الصواريخ بعيدة المدى وتعمل بالأقمار الصناعية والمقرر نشرها خارج إسرائيل في بعض الدول الأوروبية لحمايتها من صواريخ محتملة (من إيران أو سوريا!)

إضافة إلى الاتفاق السابق:

لنشر نظام رادار متطور للإنذار المبكر من الصواريخ، تجرى إقامته فى صحراء النقب جنوب إسرائيل، يشارك أمريكيون فى تشغيله.

مثلما تواترت الأنباء عن شراء إسرائيل ٩٠ مقاتلة (F161) مع توقع استلام ١١ طائرة أخرى قبل نهاية العام.

إضافة إلى غواصتين (دولفين) من ألمانيا، قادرة على حمل رؤوس نووية إلى جانب ثلاث غواصات تمتلكها فعلا.

وربما كانت تلك المعلومات على خلفية التصريحات أو التحذيرات التى وجهها الرئيس التركى (جول) إلى ضيفه الإيرانى (نجاد) فى ختام زيارته الأخيرة لتركيا وملخصها:

أن الأزمة النووية الإيرانية تدخل مرحلة حرجة، ونصحه لإيران بقبول حزمة الحوافز الأوروبية باعتبارها الفرصة الأخيرة وأيضا الالتزام بسياسة واقعية حكيمة وعدم التعويل كثيرا على مرونة أو تعقل (أوباما).

وعلى الجانب الإيرانى، كانت موسكو قد أعلنت عن بدء تنفيذ المراحل النهائية لتجميع الأنظمة التكنولوجية لمحطة بوشهر النووية بحيث يبدأ العمل بها قريبا.

ثم كان تدشين خط إنتاج غواصة محلية الصنع طراز (قائم) وهى غواصة متوسطة قادرة على حمل وإطلاق أنواع

مختلفة من الطوربيد والصواريخ تحت الماء إضافة إلى نقل أفراد في مهام خاصة (حسب تصريح وزير الدفاع الإيراني).

كما جرى ضم غواصة جديدة (غدير - محلية أيضا) للأسطول الإيراني .

يضاف لما سبق القمر الصناعي الذى أطلقته إيران واعتبره المتحدث باسم مجلس الأمن القومي الأمريكي في خدمة تطوير أسلحة إيران الباليستية.

بينما أعلن قائد سلاح الجو الإيراني (ميقاتي) تطوير عدد من المقاتلات ليبلغ مداها ٣ آلاف ك.م دون حاجة للتزود بالوقود.

وتسعى إيران للتزود بنظام الصواريخ الروسي S 300 المضاد للطائرات باعتباره من أكثر الأنشطة الصاروخية تطورا لقدرته على تعقب نحو ١٠٠ هدف في وقت متزامن مع الاشتباك مع ١٢ منها في وقت واحد، ويبلغ مداه ٢٠٠ ك.م ويمكنه إصابة الهدف من ارتفاع ٢٧ ألف متر بينما تعمل إسرائيل على تجديد أنظمتها الصاروخية تحسبا لتلك الخطوة، ومواجهتها.

وعلى سبيل تأكيد الجدية أو المصداقية كان الحرس الثوري الإيراني قد أطلق تسعة صواريخ متوسطة وبعيدة

المدى، منها تصميم معدل لصاروخ شهاب ٣، وزنه طن ومداه ألفي ك.م قادر على إصابة أهداف داخل إسرائيل، إضافة إلى القواعد العسكرية الأمريكية فى الخليج.

ثم كان إعلان طهران عن امتلاكها نحو أربعة آلاف جهاز طرد مركزى تعمل في مفاعلها النووى نانتر) لتخصيب اليورانيوم، ومعروف موقعه وسط إيران!

الأمر الذى آثار التساؤل حول مغزى أو حكمة هذا الإعلان.

وإذا كان صحيحا فهو هدية مجانية لتل أبيب.

يضاف إلى تصريح أخير للرئيس الإيرانى، وصف فيه إسرائيل «بفيروس الفساد» الذى يجب التخلص منه بشكل عاجل!

وقد نشرت (هآرتس) تصريحا للرئيس السابق لمخابرات إسرائيل (افرايم هاليڤى): «إن أجمل هدية حصلت عليها إسرائيل هى أحمدى نجاد، فهو لا يفعل شيئا سوى تقديم الخدمات لنا حين يدلل على أن إيران. اليوم هى إيران التى لا يمكن أن نعيش معها، إنه يوحد هذا العالم ضدها ..».

وكان طبيعيا أن يحتل مشروع إيران النووى مكان الصدارة فى خطب مرشحى الكونجرس الأمريكى.

«الجمهوريون» الذى بدوا وكأنهم يزايدون على الإسرائيليين أنفسهم:

– إن إسرائيل تواجه حاليا أكبر خطر فى تاريخها بسبب إيران .

– إن البرنامج النووى الإيرانى وقرب الجماعات الإرهابية من حدود إسرائيل بالإضافة إلى المشاكل السياسية في الداخل تشكل مجتمعة خطراً كبيرا على دولة إسرائيل.

ورغم أن تصريحات مرشحى «الديمقراطى» بدت أكثر اعتدالا، لم يجدوا مفرا من دخول المزاد، مؤكدين على بذل الجهد لمنع إيران من حيازة سلاح نووى.

على أية حال فإن الرئيس الإيرانى، قد تلقى دعما من المرشد الأعلى للثورة الإيرانية (على خامنئى) يدعوه للاستعداد لفترة رئاسة جديدة.

«لا تظن أن هذا عامك الأخير فى الرئاسة.. استمر في العمل كما لو أنك باق فى منصبك خمس سنوات قادمة، وتصرف على هذا الأساس» وقد كان .

-٩-

حسناً فعلت «القاهرة» بإعلان موقفها الرافض لاستخدام القوة السلمية لأزمة البرنامج النووى الإيرانى من خلال مفاوضات توفر لطهران الحق فى الاستخدام السلمى للطاقة الذرية.

وقد ظل الأمل قائما أن تتوالى بعدها إعلانات مماثلة تصدر عن عواصم المنطقة، إذا كانت قد وعت جيدا درس (الثور الأبيض)!

هذا رغم أن كل الأصوات العاقلة حذرت من مغبة الإقدام على حماقة عسكرية جديدة، ومازال العالم والمنطقة يعانيان من تداعيات محرقة العراق.

فى محاضرة له بإحدى الجامعات الأمريكية أعلن الرئيس الأسبق «جيمى كارتر» أن بعد المسافة بين إيران وإسرائيل وتفوق الأخيرة عسكريا كفيلان بمنع أى هجوم عليها، وبالتالى يرى أن إيران لا تشكل تهديدا مباشرا لإسرائيل.

شاهد آخر من أهلها، القائد السابق للقوات الأمريكية فى الشرق الأوسط (جون أبى زيد) فى كلمته أمام مركز الدراسات الدولية والاستراتيجية فى واشنطن، أكد أن الولايات المتحدة وحلفاءها يمكنهم التعايش مع إيران نووياً، وأنها بقوتها العسكرية العظمى قادرة على احتواء إيران،

مضـيفـا: لقـد تعايشنا مع الاتحـاد السـوفـيـيتى النووى ومع الصـين النووية ونعـيـش بقـوة نوويـة كـذلك، ثم حـذر من أن الحـرب مع إيران سـتكون مـدمـرة للجـمـيـع مطالبـا فى نفس الوقت بأن تواصل الولايات المتحدة وحلفاؤها الضغط للحيلولة دون إيران وتطوير سـلاح نووى، مـتـهـمـا قـيـادتهـا بانتـهـا ج سياسـات طائشة والسعى إلى الهيمنة على الشرق الأوسط. ومن سف أن قائد القيادة الأمريكيـة المركزية فى المنطقة كان له رأى آخـر أعلنه خـلال جولة فى دول الخليج لحشـدها وراء بلاده حال إقدامـها على عمل عسكرى ضـد إيران، «وتشكيل جبْهة موحدة فى مواجهة سياسة الهيمنة الإيرانية».

وقـد وجـدت واشـنطن من يزايد عليـهـا فى تبنيـهـا مطلب الحليف الأصـغـر الملح على ضـرورة ضـرب إيران وإيقــاف نموها كـقـوة واعدة مناوئة فى المنطقة. تمـامـا كمـا سبق وأن ألحت على ضرب العراق وشطبه من معادلة القوة الإقليمية.

وكانت واشنطن وحليفها الأصغر قد رحبتا بتصـريح وزير خارجية فرنسا الذى خاطب العالم مـحـذرا أن عليه أن يسـتعد للأسـوأ وهو الحـرب على إيران.بعـد أن كـانت فـرنسـا - فى الماضـى - تتزعم الدعوة لتسوية مشـاكل العالم بالتفاوض.

وقـد بادر وزير الدفـاع الفـرنسـى الاعـلان أن بلاده ليس لديها خطط لضرب البرنامج النووى الإيرانـى وأن أية توقعات

من هذا القبيل مجرد خيال. ومع ذلك فقد أعلن الرئيس الفرنسي دعمه لتوجه واشنطن لتشديد العقوبات على إيران من خلال قرار جديد لمجلس الأمن وفى حالة الفشل بسبب معارضة كل من روسيا والصين، ا قترح فرض عقوبات من جانب الاتحاد الأوروبى (٢٧ دولة) تستهدف قطاعات الائتمان والمال والتأمين.

وبمناسبة مؤتمر وكالة الطاقة الذرية ومناقشة برنامج إيران النووى استبعد مديرها الحاجة لاستخدام القوة باعتبار الخيارات الأخرى مازالت مفتوحة ومفصحا عن رأيه بأنه لا يرى خطرا واضحا في الوقت الحاضر، وأن الحديث عن استخدام القوة ربما تكون له نتائج عكسية .

كان رد الفعل الأمريكى الحاد والفورى - على لسان وزيرة الخارجية، وهى لم تزل على متن طائرتها فى الطريق إلى إسرائيل بقولها «إن على مدير وكالة الطاقة الذرية أن ينصرف إلى عمله الفنى وأن يمتنع من التدخل فى الشئون السياسية والدبلوماسية مع مراعاة أن الوكالة تعمل تحت سلطة الأمم المتحدة!».

والرجل لم يقل أكثر مما هو معروف لرجل الشارع الأمريكى ذاته أن مغامرة جديدة ستكون لها انعكاساتها المدمرة على استقرار المنطقة والعالم، ناهيك عن التداعيات

الاقتصادية واستهداف إيران لقواتها في الخليج وتفاقم الإرهاب في العالم.

وقد نشرت صحيفة بريطانية التقرير الصادر عن المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية في لندن تحت عنوان: «القاعدة أحيت نفسها وانتشرت، وهي قادرة على توجيه ضربة مذهلة بعد استعادة عافيتها وبسط نفوذها على نحو يمكنها من توجيه ضربات عنيفة شبيهة باعتداء ١١ سبتمبر ٢٠٠١.

وأشار التقرير إلى ما كشفته الفترة الماضية من قدرة التنظيم على التكيف مع المستجدات وما تعرض له في الأعوام الأخيرة، والتخطيط والإعداد لهجمات على نطاق واسع.

وأن تهديد ما أسماه بالإرهاب الإسلامي مازال مرتفعا كما كان في الماضي، وتنبأ بتزايده، مشددا على فشل الولايات المتحدة وحلفائها في توجيه ضربة قاضية للقاعدة، مؤكدا على تغلغلها بحيث أن استئصالها يستلزم عدة عقود.

وقد أرفقت بالتقرير خريطة للعالم ميزت فيها باللون الأحمر الدول التي تنشط بها جماعات علي صلة بتنظيم القاعدة أو تضم معسكرات تدريب وتشمل دول: المغرب والجزائر وتونس والعراق والسعودية من المنطقة العربية، ومن إفريقيا: الصومال ومالي وجنوب إفريقيا..

ومن آسيا: إيران وباكستان والفلبين واندونيسيا.

وذهب المشرف على الجزء الخاص بالقاعدة في التقرير (نايجيل انكستر) - المديرالسابق للعمليات بوكالة المخابرات البريطانية MI6 إلى عدم فاعلية الخطط والتكتيكات التى اتبعتها الولايات المتحدة وحلفاؤها فى قمع الإرهاب، والنتيجة أن التنظيم بات قادرا على تنفيذ اعتداءات جديدة ومروعة مع مواصلة تجنيد الشباب ومجموعات صغيرة من المجاهدين قاموا بأداء يمين الولاء الرسمية للقاعدة مع مواصلة العمل على بسط نفوذ التنظيم فى العالم الإسلامى الذى يسعى من جانبه إلى مواجهة الفكر المتطرف الذى يمهد للإرهاب.

هذا كله مع تعدد الجبهات التى فتحتها على نفسها فى أفغانستان وفلسطين والعراق وسوريا وقريبا إيران.

وقد كشف استطلاع رأى عدد من خبراء وصناع السياسة الخارجية الأمريكية أن الفشل الأمريكى فى العراق وفى مواجهة الإرهاب يكشف عن قائمة جديدة للدول التى تمثل تهديدا للأمن القومى الأمريكى:

باكستان ٣٥٪.

العراق ٢٢٪.

الصومال ١١٪

السودان ٨٪.

أفغانستان ٧٪.

مع ترشيح خمس دول يمكنها تزويد الجماعات الإرهابية بالتكنولوجيا النووية خلال السنوات الخمس المقبلة:

باكستان ٧٤٪

كوريا الشمالية ٤٢٪

روسيا ٣٨٪

إيران ٣١٪

الولايات المتحدة ٥٪

بينما حددت إحصاءات للمخابرات البريطانية عدد المتورطين في أعمال إرهابية بنحو ألفين ضالعين في ٣٠ مخطط إرهابي!

وشعب غزة .. الذى يجرى حصاره وتجويعه على مشهد من العالم بحرمانه من الغذاء والدواء والمياه والكهرباء والوقود بينما تزدحم سجون (الدولة اليهودية) بأكثر من ١٢ ألف سجين فلسطينى بينهم ١١٢ امرأة وفتاة و٣٩٨ طفلاً و٨٥٠ معتقلاً دون محاكمة فى ظروف غير آدمية بالغة القسوة، أدت إلى استشهاد نحو ١٨٠ أسيراً، وقد بلغ عدد السجناء الفلسطينيين منذ احتلال ١٩٦٧، نحو ٧٠٠ ألف سجين أى ربع الشعب الفلسطينى، مع ما هو معروف من تدمير البنية التحتية الفلسطينية، ثم تعمد إعاقة العملية

التعليمية بإغلاق خمسمائة مدرسة وقصف ثلاثمائة بالصواريخ وقذائف الدبابات وتدمير مباني وزارة التعليم ومديرياتها. وهدم كلية التربية التابعة لجامعة المسجد الأقصى واقتحام قوات الاحتلال لجامعات بيت لحم والخليل والنجاح وجامعة القدس المفتوحة والأزهر وبير زيت والكلية التقنية.

ثم ما أدى إليه الجدار العازل من إغلاق المدن والقرى وإقامة الحواجز التى تتجاوز المئات.

ناهيك عن جرائم التعصب الأعمى وقتل المصلين فى الحرم الإبراهيمى وهم يؤدون صلاة الفجر فى المسجد الأقصى ورشقهم بالحجارة وتكسير عظام شباب الفلسطينيين.. الخ.

وقد سبق لمساعد سكرتير عام الأمم المتحدة للشئون الانسانية (چون هولمز) أن طرح على مجلس الأمن أبعاد تدهور الأوضاع الإنسانية وانهيار القطاعين الصناعى والزراعى وارتفاع معدلات البطالة والفقر بين سكان غزة بحيث أصبحت ثالث أكبر مشكلة إنسانية فى العالم بعد دارفور والكنغو!

وكان مجلس الأمن قد أصدر قراره (١٨٦٠ سنة ٢٠٠٩) بأغلبية ١٤ صوتا (من ١٥) مع امتناع الولايات المتحدة عن التصويت، وذلك بعد نحو أسبوعين من بداية العدوان على غزة، لم تتوقف فيهما اتصالات مصر لعقد المجلس

واستصدار القرار، والذى تضمن ما يلى:

● الدعوة إلى الوقف الفورى لإطلاق النار.

● الانسحاب الكامل للقوات الإسرائيلية من غزة.

● إدانة كل أشكال العنف و(الإرهاب) والأعمال العسكرية ضد المدنيين.

● توفير المساعدات الإنسانية إلى غزة دون عائق.

● الإشادة بالمبادرات الرامية إلى فتح ممرات إنسانية، وحث الدول الأعضاء على اتخاذ تدابير تضمن استمرار وقف إطلاق النار فى غزة خاصة من خلال منع تهريب الأسلحة وتأمين إعادة فتح نقاط العبور.

● الإشادة بالمبادرة المصرية والجهود الإقليمية والدولية الجارية .

● الدعوة لاتخاذ إجراءات ملموسة لتحقيق المصالحة الفلسطينية وإلى تجديد الجهود العاجلة بين الأطراف المعنية والمجموعة الدولية للتوصل إلى سلام شامل يقوم على رؤية منطقة تعيش فيها دولتان ديمقراطيتان إسرائيل وفلسطين جنبا إلى جنب ضمن حدود آمنة ومعترف بها.

ومن أسف أن تنفيذ قرار مجلس الأمن لم يتم قبل انقضاء الأسبوع الثالث من بداية العدوان، تنفيذا لتعليق لرئيس وزراء إسرائيل غداة صدور القرار، بان إسرائيل لا تتلقى أية

تعليمات من أية جهة خارجية فيما يتعلق بأمنها، وأن الجيش سيواصل عملية «الرصاص المنهمر» للقضاء على المقاومة فى غزة!

لتلحق به وزيرة الخارجية مؤكدة على رفض وضع جدول زمنى لإنهاء العدوان!

لقد دخلت مشاهد الدمار والخراب فى غزة التاريخ كنموذج للوحشية والبربرية والتى فاقت جرائم النازية في الحرب العالمية الثانية ومشاهد دمار العاصمة البريطانية، أو محرقة الأسطول الأمريكى في بيرل هاربر..

وستبقى مشاهد القتلى والضحايا من الأطفال والنساء والشيوخ ماثلة فى ذاكرة العالم وذاكرة الفلسطينيين، تغذي مشاعر الغضب والكراهية لأجيال قادمة، وقد كانت أرضهم حقل تجارب لأحدث الأسلحة الأمريكية لأكثر من ثلاثة أسابيع وإن كانت الغزوة مجرد حلقة فى مسلسل دموى بلا نهاية منذ اغتصاب فلسطين قبل أكثر من ستين عاما تجاوزت فى عددها ٨٣ مجزرة، بدءا بمجزرة دير ياسين عام ٤٨ لحقت بها مذابح مجدل والدويمة وعيلبون والحولة والدير والبعثة وعرب المواس ومجد الكروم وأبوزريق وأم الشوف وحيفا وطبريا، وكلها تمت بهدف الإبادة والتطهير العرقى والتهجير!

وبعدها مجزرة (قبية) عام ١٩٥٥.

ولا ننسى مذبحة أطفال «بحر البقر» (مصر ١٩٧٠) التى راح ضحيتها ٣٥ طفلا وتذكر لبنان مذابح صبرا وشاتيلا وإبادة ثلاثة آلاف من الأطفال والنساء والشيوخ (١٩٨٢) ثم استهداف مدنيين (١٠٦) لجأوا إلى مقر الأمم المتحدة فى قانا (لبنان).

سجل أسود من إرهاب المدنيين وترويع النساء والأطفال والشيوخ وهدم بيوتهم فوق رؤوسهم وحرق مزارعهم وتجريف أراضيهم وحرمانهم من أى مصدر للحياة.

- تدمير ٢٨٨ بئر مياه.
- تدمير الصرف الصحى.
- تدمير المساجد.
- تدمير المدارس.

وذهب إحصاء إلى أن نصيب كل فلسطين فى غزة من المتفجرات التى قصفت بها، يبلغ ٦٦٦ ك.ج والحصيلة:

- ١٣١٠ شهيد
- ٥٤٠٠ جريح
- ٢٢ ألف منزل جرى تدميره

والمعروف أن جيش الاحتلال استخدم فى غزو غزة نصف سلاحه الجوى وخاصة طائرات الأباتشى والـ إف ١٦ في مالا يقل عن ٢٥٠٠ غارة وصب على أهالى غزة أكثر من

مليون كيلو متفجرات تضاف إلى أطنان أخرى أطلقتها المدفعية والدبابات والمدمرات وصواريخ البحر.

وقد كشفت تقارير دولية عن أدلة تثبت استخدام القنابل الفوسفورية ضد المدنيين فى غزة، ووثائق (حركة التضامن الدولية) تثبت قصف (خان يونس) بالقنابل الفوسفورية لإجبار سكانها على هجر منازلهم وهو ما كشفته إصابات الجرحى من حروق الجلد والعظام، مع احتراق كامل الجسد خلال ساعة واحدة بينما كشفت تقارير أخرى عن استخدام نوع جديد من القنابل تسبب إصابات قاتلة عجز الأطباء عن تشخيصها تحدث انفجارا ضخما فى مساحة صغيرة يطلق عليها «دايم» (اختصار: متفجرات المعجون الكثيف الخامل) معبأة بعناصر كيميائية باسم (تانجستين) تذوب فى الأنسجة البشرية على نحو يصعب اكتشافه.

وهو ما أكدته شهادة العالم د. محمد غنيم الذى تطوع لعلاج أهالى غزة فى عقر دارهم، ليشهد بعدها أن إسرائيل تستخدم أسلحة تحول الجسد إلى مومياء، مع تبخر المياه من الجسم بفعل الفوسفور الأبيض.

وما تسببه القنابل الحديثة من تهتك الرئة وتمزق الأنسجة الداخلية وبتر الأطراف بعد حرقها.

وقد طالب مدير وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين

بتفسير لتعمد جيش الاحتلال تدمير البنية التحتية للدولة الفلسطينية المستقبلية: الوزارات والمصالح الحكومية والتركيز على تدمير القطاع الصناعى (الناشئ).

وبينما جاءت رموز أوروبا (رؤساء دول وحكومات فى مظاهرة لدعم حكومة الاحتلال والتعهد بحمايتها من أسلحة حكومة غزة ثم تبارت أو تسابقت للمشاركة فى حصارها بحراً وجواً وبراً. حتى إذا عادت جحافل الاحتلال لاكتساح غزة لم تواجه بأية مقاومة على الإطلاق، وذلك برغم تأكيد إسرائيل على تدمير ٧٠٪ من قدراتها العسكرية إلا أنه يبدو أن الأسلحة البائسة للمقاومة فى غزة قد أزعجت الغزاة إلى الدرجة التى دفعتها للاستنجاد بحلف الأطلنطى والاتحاد الأوروبى طلبا للحماية.

هذا فى الوقت الذى توجه فيه وزير دفاع الاحتلال إلى واشنطن للمطالبة بإحلال وتجديد ترسانته من السلاح الذى استنفده فى دمار غزة!

ولم يكن غريبا بعد ذلك أن يتلقى المدعى العام للمحكمة الجنائية الدولية (أوكامبو) نحو عشرين مذكرة وشكوى من المنظمات غير الحكومية في مصر والدول العربية وأوروبا وأمريكا اللاتينية لفتح تحقيق دولى عن جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية، وجهت فيها الاتهام إلى أربع عشرة

شخصية إسرائيلية سياسية وعسكرية.

وتواصل منظمات دولية هامة: العفو الدولية والفيدرالية الدولية والشبكة الأورومتوسطية ومنظمات حقوق الإنسان فى فنزويلا وبوليفيا، تواصل توثيق اتهاماتها.

مثلما قامت منظمات مصرية وعربية وأوروبية بالتعاون مع محامين دوليين لتقديم دعاوى قضائية فى الدول التى تسمح قوانينها بالنظر فى جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية التى ترتكب فى الخارج بغض النظر عن انتماء أطرافها، وتعتمد تلك المنظمات في دعاواها على تقارير دولية صادرة عن منظمات الأمم المتحدة ومنظمات دولية منها المجلس الدولى لحقوق الإنسان فى جنيف و(هيومان رايتس ووتش) الأمريكية.

وفى مقدمة الذين خاطبوا المدعى العام للمحكمة الجنائية الدولية (أوكامبو)، كانت اللجنة العربية لحقوق الانسان فى باريس التى قدمت له ملفا موثقا، كما عقدت اجتماعا تنسيقيا موسعا لأكثر من ٣٥٠ منظمة لحقوق الإنسان (عربية وأوروبية) بمشاركة عدد من التحالفات الدولية للمنظمات غير الحكومية وفى مقدمتها تحالف الدعوة لمحاكمة مجرمى الحرب، و«تحالف أوقفوا الحرب» وتحالف «محاكمة إسرائيل».

وأعلنت رئيسة اللجنة نيتها دعوة الدول المصدقة على اتفاقية النظام الأساسى للمحكمة الجنائية الدولية (١٠٨ دولة) لحشد التأييد لمحاكمة الغزاة.

وإزاء ما كان متوقعا من عرقلة واشنطن ودول أوروبية أخرى لأية محاسبة دولية لإسرائيل فقد تلجأ إلى محكمة العدل الدولية وإلى محاكم أوروبية.

وعكس الموقف الرسمى كان موقف «لجنة طوارئ الكوارث البريطانية التى تضم ١٣ منظمة، التى نقلت الأوضاع الإنسانية المفجعة فى غزة مناشدة البريطانيين التبرع لإنقاذ سكان القطاع من كارثة محققة محذرة من أخطار صحية فادحة تتهدد أهالى غزة بسبب انهيار شبكة الصرف الصحى وانقطاع المياه بنسبة ٧٥٪ من القطاع محذرة من أن عاما ونصف من الحصار وثلاثة أسابيع من القصف والدمار أسفرت عن محنة انسانية كاسحة وشاملة فى غزة مع التنويه بمحنة الأطفال وقد قتل منهم ٤١٢ طفلا كذلك وجهت جامعة حقوق الإنسان الدولية فى برلين انتقادا حادا لموقف المستشارة وتبنيها الدفاع عن سياسة إسرائيل دون التفات إلى نزيف الدم الفلسطينى من المدنيين والأطفال فى غزة، واتهامها بقلب الموازين فى المنطقة.

أما الجهة صاحبة الحق الأصيل فى الشأن الفلسطيني

وهى جامعة الدول العربية، فكان رأيها منذ البداية: «أن قضية فلسطين هى قلب القضايا الوطنية العربية، وأن الصهيونية خطر داهم ليس على فلسطين وحدها بل على البلاد العربية والإسلامية، والعمل مطلوب لتحقيق استقلال فلسطين وتشكيل حكومة تضمن جميع حقوق سكانها الشرعيين».

وإذا كانت تلك العبارة قد تصدرت بيان أول قمة عربية (انشاص ١٩٤٦) فهى تصدق بكل كلمة فيها على الواقع العربى اليوم بعد بضعة وستين عاما، مع الفارق: أن دولة الاحتلال قد تمكنت من الالتحام بالقوة العظمى وحظيت بدعمها المطلق فى إدانة المقاومة ووصمها بالإرهاب:

كما جاء على لسان مسئولين أمريكيين فى مناسبات متفاوتة: «أن الجماعات المسلحة مثل حماس وحزب الله لا تشكل تهديدا لإسرائيل وحدها، ولكن لكل مايمثله العالم الغربى ولمصالحة ومصالح الولايات المتحدة بعد أن أخذت على عاتقها تدمير كل ما تؤمن به الولايات المتحدة وإسرائيل وسيكون لتبعاته أثر على تحالفهما ، وإن نجاحها ضد إسرائيل يعنى إمكانية نجاحها فى أى مكان !

ويصدر التقرير الأمريكى السنوى الأخير بشأن معاداة السامية مستنكرا انتقاد بعض الأقلام العربية لجرائم الاحتلال الوحشية من حصار وتجويع وإبادة جماعية .

حتى أمين عام الأمم المتحدة، الذي يفترض فيه الحياد الكامل، فاجأ المنظمة بترديد مزاعم الدولة العبرية عن تسهيل مصر عملية تهريب السلاح إلى القطاع، ثم استدار إلى «حزب الله» ليدين ما يعتبره محاولة لتعزيز قدراته على المقاومة مرددا مزاعم الموساد الإسرائيلى أن فى حيازته ٣٠ ألف صاروخ ٢٠ ألف منها قصيرة المدى و١٠ آلاف بعيدة المدى !

ثم يردد دفاع واشنطن عن مجزرة غزة باعتبارها دفاعا عن النفس !

وقد سبق للأمين العام أن رفض طلب مندوبى الوفود العربية لدى المنظمة للاجتماع به لمناقشة العدوان الإسرائيلى على غزة قبل عقد مجلس الأمن لهذا الغرض .

ثم إن إسرائيل قد وجدت من يبارى أو يزايد على حليفها التقليدى ، حين حذر الرئيس الفرنسى بأن «أمن أوربا فى خطر بسبب الصواريخ الإيرانية» بالتوازى مع دعوة ألمانيا وإسرائيل لعقد مؤتمر دولى حول ملف إيران النووى، ثم إقالته مسئولا بالداخلية الفرنسية، نشر مقالا ذكر فيه :

«إن إسرائيل هى الدولة الوحيدة فى العالم التى يستهدف القناصة فيها فتيات المدارس الفلسطينية لدى خروجهم منها».

وكانت زيارة «بيريز» لفرنسا، فرصه لاسعراض مصسر الحفاوة بالضيف وببلاده :

* الإشادة «بمولد» الدولة اليهودية التى انتصرت فى معركة الاستقلال لتصبح دولة حرة وديمقراطية .

* افتتاح معرض بالخارجية الفرنسية يسجل أبرز الأحداث قبل وحتى إعلان قيامها واعتراف فرنسا بها فى صيف ١٩٤٩ ، وسائر وثائق الدبلوماسية الفرنسية التى تشهد بالاهتمام بالمشروع الصهيونى منذ مستعمرات الزراعة الأولى فى فلسطين فى ثلاثينيات القرن الماضى إلى غير ذلك من مظاهر الاحتفال بذكرى قيام الدولة .

* تسمية أحد ميادين باريس باسم : «هرتزل - ملهم الدولة الإسرائيلية» .

* تنظيم مهرجانات للثقافة اليهودية ومن بينها السينما الإسرائيلية ومشاركة الرئيس فى افتتاح معرض الكتاب الدولى فى باريس حيث جرى تكريم إسرائيل كضيف شرف .

وهو الأمر الذى لم تفلح كل مظاهر الاحتجاج العربى فى إيقافه ، ثم إن الزيارة كانت فرصة للتذكير بدور الثورة الفرنسية ثم دور بونابرت فى منح اليهود الجنسية الفرنسية لأول مرة، وموقف مثقفيها فى القرن التاسع عشر : إميل زولا .. فى مقالاته الشهيرة بعنوان «إنى أتهم» دفاعا عن الضابط

اليـهـودى الذى اتـهم فى قـضـيـة تجـسس ، وجـرد من رتبـتـه العسكرية، ودور فرنسا فى منع ترحيل يهودها إلى معسكرات الاعـتـقـال، ثم تعـاون فـرنسـا مـع «بيـريز» شـخـصـيـا فى خـمـسـينيـات القـرن الماضـى فى تنفـيـذ المشـروع النووى الإسـرائيلى ودعـمـهـا مع بريطانيـا، للعـدوان على مـصر عـام ١٩٥٦.

أمـا مسـتـشارة الدولة الأوروبية الكبرى، فقد تفوقت على كل أسلافهـا (دون مبرر من انتخابات أو خـلافه) فذهبت لتلقى خطـابا فى الكنيـسـت (لأول مـرة) تؤكـد فـيـه : «أن الشـعب الألمانى شـعـر بالعـار والخـزى مـن مـلابسـات الهـولوكـوسـت متعهدة أن تظل دولتها على التزامها بحماية إسرائيل، بعد أن استهلت كلمتها بافتتاحية بالعبرية «بشعورها بالشرف العظيم لسماح الكنيست لها باستكمال كلمتها بالألمانية !»، مؤكدة أن مقتل ستة ملايين يهودى باسم ألمانيا قد جلبت معاناة شديدة للشـعب اليـهـودى فى أوروبا والعـالـم بأسـره وأن مـا حـدث يجـعلهـا تشـعـر بالعـار والرغبـة فى الانحناء أمـام الضـحـايا والنـاجين وجـميع من سـاعدهـم على النجـاة والبقـاء على قـيـد الحياة ».

وعلى الهامش فإن المستشارة قد استبعدت من رفقتها فى الزيارة وزيرة التعاون الدولى بسبب رفضها توقيع اتفاقية مع

إسرائيل تمول مشروعات الأخيرة فى إفريقيا) .

هذا فى الوقت الذى كان نائب وزير دفاع إسرائيل يعلنها صراحة : «أن بلاده تقوم بمحرقة (هولوكوست) ضد الفلسطينيين فى غزة» !

وكانت استقالة رئيس الأركان الأمريكى (وليام فالون) ، قد كشفت مدى جدية بلاده فى التجاوب مع رغبة الحليف الأصغر فى إجهاض النفوذ الإيرانى المتنامى وتأثيره على مجريات الأمور فى المنطقة خاصة ما تعلق منها بدعم المقاومة على تنوع مشاربها : فلسطينية (حماس) ، لبنانية (حزب الله) وسوريا اللائذة بالصبر الطويل على احتلال جولانها، لا هى تقبل بالتفريط فى بعض حقوقها (المياه أساسا) ولا هى تقدم على عمل متهور يمنح قوة الاحتلال الباطشة الفرصة التى تترقبها .

وللرئيس الإسرائيلى (بيريز) تصريح أخير بأن بلاده لن تعيد الجولان لسوريا طالما استمر تحالفها مع إيران .

أما الأراضى المحتلة، فقد حققت الزيارة الثانية لسيدة الخارجية الأمريكية لها فى شهر واحد، وفى توقيت مريب !، انجازا تاريخيا بالحصول على وعد من حكومة الاحتلال بازالة خمسين من الحواجز المرورية في الضفة، من خمسمائة وثمانين !!

ثم كان لافتا أن تفوتنا فرصة أن نصنف مع دول كانت تحتسب نامية : جنوب إفريقيا - المكسيك - البرازيل - الهند والصين (والأخيرة تحتل اليوم المركز الاقتصادى الثالث فى العالم متقدمة على ألمانيا!) .

وكلها دول استطاعت أن تفرض حضورها على قمة الثمان الكبار بعد أن فرضت نفسها على الساحة الدولية سياسيا واقتصاديا وربما عسكريا، وأن تشارك فى قمة الثمان الكبار، بعد أن قبلت الأخيرة أوراق اعتمادها صفا ثانيا يسمع صوته فيما يطرح من شئون العالم، وبعد أن أقرت عدة محاور للتعاون معها :

* تشجيع الإبداع والابتكار، مع الاهتمام بحماية حقوق الملكية الفكرية وما يحكمها من قوانين وتشريعات.

* دعم وتعزيز حرية الاستثمار، وتوفير بيئة منفتحة لتدفق الاستثمارات عابرة الحدود، دون إغفال أبعاد المسئولية الاجتماعية المشتركة .

* بلورة عناصر المسئولية المشتركة عن التنمية المستدامة خاصة فى إفريقيا والسعى لمكافحة الفقر .

* الاهتمام بمشكلة الانبعاث الحرارى وخفض نسبة ثانى أكسيد الكربون، وما تقرر من عقد اجتماع فى إطار منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية OCDE باريس .

* أهمية التعاون فى مجال الطاقة على الأصعدة الدولية والإقليمية سواء من حيث تأمين مواردها وتطوير تقنياتها وتنويع مصادر الطاقة البديلة، على أن يطرح أول تقرير تمهيدى عن الحوار بين الكبار والصف الثانى فى قمة تالية : (اليابان) ، ويبقى التقرير الشامل المقرر نظره فى قمة أخيرة (ايطاليا) .

وإذا كانت آسيا وأمريكا اللاتينية قد جرى تمثيل كل منهما بدولتين، فإن على مصر أن تسعى لشغل المقعد الإفريقى الثانى إلى جانب جنوب إفريقيا.

وليس أجدر من مصر تمثيلا لإفريقيا، بحضورها الدائم على الساحة الدولية وملاحقتها الساخنة لإطفاء حرائق المنطقة وحراكها الدبلوماسى النشيط .

وعلى خلفية صيف ساخن بدت الحركة الدبلوماسية المصرية أكثر سخونة :

زيارات رئاسية لفرنسا للتواصل مع رئاستها الجديدة بعد عقود من الصداقة مع الرئاسة السابقة .

استقبال وزراء خارجية فرنسا وإسبانيا والولايات المتحدة، واجتماعات تضم الأخيرة مع أمين عام الجامعة العربية ووزراء خارجية مصر والأردن ودول الخليج .

وإذا كانت الأخيرة قد صرحت بأنها لا تريد تسوية

فلسطينية من صنع بلدها وأن المجال مفتوح لكل من يرغب ، فقد كان لوزارة خارجية حكومة الاحتلال رأى آخر حين أكدت على رفض تدخل أية أطراف أخرى سواها (واشنطن) هذا فى وقت تفاقمت فيه مشكلة العالقين الفلسطينيين على الحدود مع غزة بعد وفاة نحو أربعين منهم (من سبعة آلاف وستمائة) معظمهم من النساء والأطفال، نتيجة ظروف معيشية بائسة وفشل مجلس الأمن في إصدار بيان رئاسى يسجل فيه أبعاد المأساة الإنسانية يحث طرفها المسئول، على التحرك لحلها.

فى الوقت الذى أصدرت فيه لجنة الأمم للتحقيق فى ممارسات الاحتلال الإسرائيلى للأراضى الفلسطينية (المشكلة منذ ١٩٦٨) قرارا يحث الجمعية العامة ومجلس الأمن على اتخاذ التدابير لحماية المدنيين من خلال آلية دولية مع إجراء تحقيقات شاملة (مستقلة) فى انتهاكات القانون الدولى ممثلة فى الهجمات ضد المدنيين وتحديد المسئولية الفردية عنها لمنع تكرارها وإتاحة المطالبة بالتعويض عنها .

وقد أحال أمين عام الأمم المتحدة التقرير إلى الجمعية العامة لاتخاذ ما يلزم من تدابير لمنع عمليات الاقتحام ومنع أى عمل يمس حرمة الأماكن المقدسة أو يسعى لتهويدها وحماية مئات المدنيين الفلسطينيين الذين يمارسون شعائر الصلاة فى المسجد الأقصى من استخدام القوة المفرطة .

كذلك حثت اللجنة مجلس الأمن والجمعية العامة على مطالبة حكومة الاحتلال بالوفاء بالتزاماتها الدولية لإزالة المستعمرات ولهدم ما شيد من الجدار العازل، ولتخفيف الحواجز وقيود الحركة على تنقل الفلسطينيين.

وفى نفس الوقت تنبيه الأمم المتحدة إلى مسئوليتها باعتبارها عضوا فى اللجنة الرباعية، لصياغة تصور جديد لحل دائم يبنى أساسا على احترام حقوق الإنسان.

على أن حكومة الاحتلال كان لها رأى آخر أعلنته عشية وصول ممثل اللجنة الرباعية ، برفضها تدخله فى دفع مفاوضات التسوية النهائية .

ومثلما أجهضت مؤتمر لندن الذى عقد قبل عامين، بغيابها عنه وفرضت عليه أن يقتصر على بحث (الإرهاب) الفلسطينى، ها هي تجهض مسعاه وتفرض عليه أن يقتصر علي مساعدة الاقتصاد الفلسطينى الذى تعمل على خنقه بحجز الضرائب التى تحصلها لحسابه، وبفرض القيود على دخول السلع والبضائع أو خروجها، مثلما رفضت مطلبه رفع الحواجز العسكرية فى الضفة الغربية المحتلة .

والله وحده يعلم ما الذى يمكن لممثل اللجنة انجازه مع حكومة الاحتلال إذا كانت ترفض تدخل أية أطراف أخرى سوى الولايات المتحدة التى تبارك سياستها فى تكريس

الخلاف بين الفصيلين المتنازعين بما يحقق تجميد الموقف، مع استمرار استنفارها ضد إيران التى تدعم الإرهاب (المقاومة) ممثلة فى حماس وحزب الله (فى لبنان).

فى وقت من الأوقات، وفى ظل توازن قوى دولي، وتماسك عربى استطاعت انتفاضة أطفال الحجارة الأولى أن تسوق دولة الاحتلال إلى مفاوضات سرية كان ثمرتها اتفاقية «أوسلو» ثم ما سمى بإعلان «غزة وأريحا أولا» .. أضاف لها البعض كلمة واحدة : «وأخيرا .. وقد كان».

ثم .. فى ظل أصداء توازن دولى غارب، وبقية من تماسك عربى، أوفى «بوش الأب» بوعده بالالتفات للقضية الفلسطينية فور الانتهاء من غزوة العراق الأولى ١٩٩١، فدعا لعقد مؤتمر مدريد الذى تبنى معادلة الأرض مقابل السلام.

وقال رئيس وزراء إسرائيل وقتها (شامير) أن المفاوضات قد تستمر عشرين عاما .. وقد كان الرهان دائما على عامل الوقت الذى يعمل لصالح أحد الطرفين دون الآخر، الذى يتاكل تماسكه بفعل «عوامل التعرية» .

والنتيجة أن أهم بنود اتفاقية «أوسلو» ومقررات مؤتمر مدريد وهو وقف بناء المستعمرات قد جرى إهداره بحيث تضاعف عددها منذئذ كما جرى بناء الجدار العازل، وتجاوز عدد المعتقلين فى سجون إسرائيل العشرة آلاف مع مواصلة

عمليات تصفية المقاومة بوحشية.

وفى الوقت الذى أصدرت فيه حكومة الطوارئ الفلسطينية قرارها برفع بند المقاومة المسلحة من برنامج الحكومة بدعوى أن الانتفاضة كانت مجرد فوضى كان عائدها دمار البنية التحتية، كان وزير الدفاع الإسرائيلى (باراك) يقوم بتكثيف عمليات التوغل داخل قطاع غزة وتشديد سياسة القمع ضد الفلسطينيين بالتصفية وبالاعتقال، مع إتاحة أكبر شحنة سلاح (نحو ألف رشاش طراز أم ١٦) دعما للرئيس الفلسطينى فى مواجهة حكومة حماس إذكاء للصراع بينهما.

فى ذات التوقيت يصدر الرئيس الأمريكى قرارا بتخصيص مبلغ ثلاثين مليار دولار مساعدات عسكرية لإسرائيل خلال العقد القادم، دون أن يربط ذلك بأى تقدم فى تنفيذ الخريطة، التى تبدو وقد ضلت الطريق، خاصة بعد أن تحول المؤتمر الدولى الذى دعا لعقده فى الخريف لبحث إقامة الدولة الفلسطينية، إلى اجتماع إقليمى لدول المنطقة يسوق لتطبيع العلاقات مع دولة الاحتلال قبل أن تقوم بإنهائه .

ثم قمة الأمن النووى، التى دعى إليها الرئيس الأمريكى فى واشنطن حضرتها وفود نحو خمسين دولة من بينها مصر وتركيا، وتخلف عنها رئيس وزراء إسرائيل تحسبا لإثارة مسألة امتلاك بلاده رؤوسا نووية – تقدر بين مائة وثلاثمائة –

مع امتناعها عن توقيع اتفاقية حظر الانتشار النووى، متعللة بأن الطلب غير ملح لحين زوال كل التهديدات القريب منها والبعيد ! وثمة تفاهم أمريكى - إسرائيلى منذ عام ١٩٦٩ بعدم إلزامها بكشف قدراتها النووية مقابل الالتزام بعدم إجراء تجارب نووية .

كما شهدت العاصمة الأمريكية توقيع الرئيسين الأمريكى والروسى اتفاقا جديدا لخفض السلاح الاستراتيجى النووى لكل منها من ٢٢٠٠ إلى ١٥٥٠ مع الالتزام بمواصلة سياسة خفض السلاح النووى، وفى نفس التوقيت جرى نقل (٣٠٨٧) قنبلة خارقة للتحصينات إلى قاعدة «دييجوجارسيا» الأمريكية فى المحيط الهندى، تحسبا لسيناريو كارثى، يبدأ بقصف إسرائيلى لمنشآت إيران النووية، ورد إيران بإطلاق صواريخها أرض أرض، ثم دخول حلفائها على خط المواجهة .. سوريا وحزب الله وحماس، وقد تنقل إيران قوات متطوعين لسوريا ! بينما واصلت حكومة اليمين المتطرف تنفيذ أجندة (نتانياهو) مستثمرة حالة البيات الشتوى العربى، لتهجير سبعين ألف فلسطينى من الضفة وحشرهم فى أكبر سجن مفتوح فى العالم : غزة، وعلى سبيل إلهاء المجتمع الدولى يخرج رئيسها (بيريز) بزعمه قيام سوريا بتزويد حزب الله بصواريخ سكاد المتطورة ! بينما تحذر تقارير دولية من احتمالات تسرب إشعاعى من مفاعل ديمونة فى النقب !

-١٠-

وقد أكدت مصر أمام قمة الأمن النووى فى واشنطن ، على ضرورة اتخاذ تدابير فورية للإزالة التامة للأسلحة النووية فى إطار زمنى محدد وتحت رقابة وتحقيق دوليين، وفقا للمادة السادسة من معاهدة منع الانتشار النووى وقرار مجلس الأمن ٤٥١ الذى يحظر حصول أطراف من غير الدول على مواد نووية، وهو ما نبهت إليه حركة عدم الانحياز فى قمة شرم الشيخ .

ونوهت الكلمة باستفادة مصر من إرشادات الوكالة الدولية للطاقة النووية لتعزيز الأمن النووى بمناسبة إعداد وصياغة القانون النووى المصرى .

مع الدعوة لموقف عربى قوى فى مؤتمر المراجعة الثامن للمعاهدة، مثل التهديد بالانسحاب منها وعدم الاكتفاء بمطالبة المجتمع الدولى بتنفيذ قراراته بموجبها .

كما واصل رئيس وزراء تركيا (أردوغان) انتقاد ما أسماه بالتخاذل الدولى حيال إسرائيل وتغاضى المجتمع الدولى عن ترسانتها وبرنامجها النووى وعدم توقيعها أية معاهدة لمنع الانتشار (رغم قرار مؤتمر مراجعة الانتشار النووى باريس ١٩٩٥) «بينما يطارد الغرب مشروع إيران النووى رغم عضويتها فى وكالة الطاقة النووية وتوقيعها معاهدة منع الانتشار» .

ورغم تأكيد الرئيس الفرنسي بمناسبة لقائه بالرئيس الأمريكي في واشنطن ، على اتفاقه مع زعماء ألمانيا وبريطانيا على فرض عقوبات اقتصادية جديدة على إيران تستهدف مراكز القوى وفي مقدمتها الحرس الثوري (بعد التخلي عن مقترحات تتعلق بمنع الطائرات والسفن الإيرانية التي تنقل السلع من دخول المجالات الجوية والبحرية الدولية) برغم ذلك إلا أن الرئيس الأمريكي رأى أن المصالح الاقتصادية ربما كانت أهم من الجيو سياسية على المدى الطويل، رغم ما قد ينسب إلى إيران من تجاوزات .

ويتسق موقف الاتحاد الروسي مع الموقف الأمريكي، من حيث تأكيده على أن أية عقوبات تفرض على إيران لا يجوز أن تمس احتياجات الشعب الإيراني، وهو يستند في ذلك إلى عدم تحديد أجهزة الطرد المركزي بشكل واضح، كما يستند إلى تأكيد إيران على الطبيعة السلمية لبرنامجها النووي ، وبصفة عامة فإن موسكو لا تعول كثيرا على جدوى العقوبات الاقتصادية.

ومعروف أن روسيا تولت إنشاء محطة للطاقة النووية في «بوشهر» كما ترتبط بعلاقات واتفاقات اقتصادية معها. شأنها في ذلك شأن كل من باكستان والهند والبرازيل، التي تشايع موقف الصين.

وكانت إسرائيل قد رحبت بالاتصال الهاتفي للرئيس الأمريكي بنظيره الصيني والذي امتد ساعة كاملة، لإقناعه بضرورة معاقبة إيران على إصرارها على المضي في مشروعها النووي .

ثم الزيارة السرية التي قام بها رئيس المخابرات الإسرائيلية العسكرية (اموس يادين) لبكين وأيضا زيارة رئيس هيئة التخطيط العسكرية ميجور جنرال (أمير إيشيل) واطلاعها المسئولين على معلومات جهازيهما حول تقدم إيران في برنامجها النووي .

هذا بالإضافة إلى بيان البيت الأبيض ، الذي تضمن مطالبة الرئيس «الأمريكي» نظيره الصيني «هوجينتاو» بمزيد من التعاون لالزام إيران باحترام التزاماتها الدولية، وتصريحاته بمواصلة الضغط عليها للتعاون مع «المجتمع الدولي الموحد» في مواجهة برنامجها النووي الذي سيدفع منطقة الشرق الأوسط إلى سباق تسلح وإلى عدم الاستقرار .

وقد تردد أن الوكالة الدولية ووكالات مخابرات غربية تحقق في حصول شركة إيرانية على معدات محظورة خاصة بتخصيب اليورانيوم (صمامات وأجهزة حساسة) ، وذلك عن طريق شركة صينية وسيطة .

ويذهب خبراء إلي أن مسعي إيران الحالي هو امتلاك القـوة النووية عند مســتوي ما قبل إنتاج القنبلة، وذلك علي غرار أكثر من عشـر دول تملك قـــدرات نووية متقدمة تســبق إنتاج القنبلة، منها ألمانيا واليابان وكندا والبرازيل والمكسيك.

وهو مرفوض من إسرائيل أيضـا، حتى تبقى الحائز الوحيد للسلاح النووى فى المنطقة، وما يعنيه ذلك من هيمنة تفرض نفسها على القوى الإقليمية والدولية .

وتجاوبا مع طروحات كل من تركيا واليابان والبرازيل، أعلنت إيران استعدادها لتسوية ملف تخصيب اليورانيوم من خلال الحوار وذلك على هامش مؤتمر مراجعة معاهدة منع الانتشار النووى فى نيويورك .

وكان رئيس منظمة الطاقة الذرية الإيرانية قد أعلن استعداد بلاده لمبادلة ١٢٠٠ ك.ج يورانيوم مخصب بنسبة ٣,٥٪ مقابل ١٢٠ ك.ج وقود نووى مخصب بنسبة ٢٠٪ دفعة واحدة وبشكل متزامن على أراضيها ، وفى إطار زمنى محدد.

وقد عرض رئيس وزراء تركيا «أردوغان» استضافة بلاده لتلك العملية فى إطار اتفاق من خلال الوكالة ، وفى نفس الوقت كرر تساؤله عن سبب إحجام المجتمع الدولى عن دعوة

دول أخرى مثل إسرائيل لنزع أسلحتها النووية مؤكدا على أن الدول التى تمتلك أسلحة نووية لا يحق لها أن تقول لدولة أخرى يجب عليك عدم إنتاج سلاح نووى .

وكانت المجموعة العربية قد أفلحت فى إدراج مسألة الأنشطة النووية الإسرائيلية على جدول أعمال اجتماع المحافظين فى الوقت الذى كان رئيس وزراء إسرائيل يلاحق واشنطن والعواصم الغربية الصديقة لإدراج مشروع إيران النووى الذى يعتبره التهديد الأخطر للشرق الأوسط ، فى الوقت الذى يرفض فيه الإفصاح عن أية معلومات نووية، ناهيك عن الانضمام لعضوية معاهدة منع الانتشار النووى .

وقد أعلن راديو إسرائيل، أن زيارة الرئيس الإيرانى «نجاد» لزمبابوى، أسفرت عن اتفاق على استخراج إيران اليورانيوم من أراضيها مقابل تزويدها بالنفط .

وفى نفس الوقت استجابت ثلاث من أكبر شركات النفط العالمية : «فينول ، جلينكور، ترافيجورا» لضغوط إسرائيلية، فأعلنت قطع علاقاتها التجارية مع إيران .

وقد أعلن فى طهران زيادة احتياطها الاستراتيجى من الوقود بمقدار مليار لتر، مع زيادة إنتاجها من البنزين (حاليا ٤٤,٦ مليون لتر يوميا) بينما تستهلك ٥٦ مليون لتر.

وتستورد ٢٠ مليون لتر بنزين يوميا (نحو ثلث استهلاكها) ورغم أن إنتاج وقود منخفض التخصيب هو حق مشروع لتشغيل محطات الكهرباء النووية، وفقا لمعاهدة حظر الانتشار النووى (١٩٦٠) فى مادتها الرابعة، إلا أن الولايات المتحدة والدول النووية الخمس تخشى ذيوع هذا الاستخدام، بما يفتح الباب أمام انتشار برامج عسكرية نووية، على نحو ما جرى مع أعضاء النادى النووى الجدد : إسرائيل ، باكستان، الهند، وكوريا الشمالية، من هنا كان تصدى مؤتمر المراجعة للنظر فى إمكانية تأميم عملية إنتاج الوقود النووى، وقصرها على مراكز عالمية محددة يعهد إليها بانتاج وتوزيع الوقود النووى على الدول التى تمتلك محطات كهرباء نووية، على أن تسترده بعد استعماله ، حتى لا يستخدم فى صناعة البلوتونيوم، بهدف الحد من ذيوع المعرفة بدورة إنتاج الوقود النووى، وإن بقيت الخشية أن يصبح وسيلة ضغط !

ويذهب خبراء الطاقة النووية إلى أن هناك أكثر من ألفى طن من الوقود عالى التخصيب تصلح لإنتاج أكثر من مائة وعشرون ألف سلاح نووى، دون حماية أمنية كافية، كما يؤكدون حيازة معامل الأبحاث النووية الروسية لأكثر من مائتى رطل بلوتونيوم كافية لانتاج عشرات من القنابل النووية، عرضة للسطو فى غياب ضوابط أمنية كافية .

وفي واشنطن يمارس الكونجرس ضغوطا لمراجعة الرئيس الأمريكي في نهجه التزام الحوار، ساعيا لفرض حصار بحري على واردات إيران من الغاز، بينما يلح رئيس وزراء إسرائيل لفرض عقوبات تعجيزية شاملة على إيران، استنادا إلى تحالف قائم لهذا الغرض .

كما يؤكد (بيريز) على الحاجة لفرض عزلة دولية على الرئيس الإيراني باعتبار خطابه المناهض لإسرائيل مجرد ساتر لطموحات الهيمنة وهو في ذلك يردد ما تضمنه تقرير أخير للبنتاجون يحذر من تطلعات إيران للتحول لقوة إقليمية عسكرية ودبلوماسية وتعزيز مكانتها وقدرها أمام العالم .

والمعروف أن نحو ٤٠٪ من الإنتاج العالمي من النفط يأتي من منطقة الخليج عبر مضيق هورمز، من هنا يأتي تهديد إيران بشل حركة نقل البترول، بإغلاق المضيق حال تعرضها لهجوم عسكري .

وكان الحرس الثوري الإيراني خلال مناورات في الخليج قد قام بتفتيش سفينة فرنسية وأخرى إيطالية، بدعوى التحقق من احترامها لمعايير البيئة .

ولا تمل تل أبيب الإلحاح على واشنطن لتوجيه ضربة عسكرية لإيران، بينما تواصل تطوير أسلحة حديثة وتكنولوجيا عسكرية تحسبا لذلك.

وقد أعلن (موشى يعالون) نائب رئيس الوزراء الإسرائيلى أن حروب بلاده فى لبنان والأراضى المحتلة اكسبتها التقنية اللازمة لمهاجمة مواقع إيران النووية !

مع ما تردد مؤخرا عن حصول إسرائيل على ذخائر خارقة تبلغ حمولتها ستة أطنان من المتفجرات، قادرة على تدمير المواقع النووية النائية فى جوف الجبال.

كما كشفت مندوبة إسرائيل لدى الأمم المتحدة (جابرييل شاليف) عن مشاورات أمريكية إسرائيلية لبحث الخيار العسكرى وهو ما أكده مساعد وزير الخارجية الأمريكية للشئون السياسية «ويليام بيرنز» من أن التحرك فى الملف النووى الإيرانى هو «حاجة ملحة» للولايات المتحدة، وأن أرضية التفاهم المشترك مع روسيا حول الملف الإيرانى تتسع باستمرار، خاصة بعد الاتفاق على تحديد حجم المخزون الاستراتيجى للدولتين فى حدود ١٥٥٠ سلاح نووى، مع تأكيد الرئيس الأمريكى أن عدم تمكين إيران من السلاح النووى من أولوياته الأساسية مع عدم استبعاد أى خيار للحيلولة دون ذلك ودون سباق تسلح بين دول المنطقة، مع تعهده مؤخرا بعدم استخدام السلاح النووى إلا فى الرد على عدوان نووى من قبل إيران أو كوريا الشمالية !

وفى زيارة أخيرة لدمشق، أكد الرئيس الروسى

مدفيديف على حق إيران فى امتلاك التقنية النووية للاستخدام السلمي ، وتبقى مشكلة وصول السلاح النووى لكيانات مارقة أو جماعات إرهابية، حيث قرر مؤتمر الأمن النووى خطة على امتداد أربع سنوات، لتأمين الترسانات النووية ومخازن الوقود عالى التخصيب ومعامل البحث العلمى التى تستخدم البلوتونيوم، وكان أمام المؤتمر وقائع تشير إلى محاولة تنظيم القاعدة الحصول على سلاح نووى، وأيضا سابقة محاولة السطو على أحد مخازن الوقود عالى التخصيب بعد تدمير شبكة الأمان وتعطيل نظام الإنذار، وكسر شفرة المخازن.

وكانت الوساطة التركية البرازيلية قد نجحت فى التوصل مع إيران لاتفاقية لمبادلة ١٢٠٠ك.ج يورانيوم مخصب التخصيب (٣,٥٠٪) مقابل ١٢٠ ك.ج يورانيوم مخصب بنسبة ٢٠٪ مقدمة من مجموعة فيينا (أمريكا - روسيا - فرنسا والوكالة) يتم إعدادها فى تركيا ، لتستخدم فى المجالات الطبية الأمر الذى باركه أمين عام الأمم المتحدة، إلا أن إسرائيل ومن ورائها الدول الخمس دائمة العضوية + ألمانيا ، اعتبرته غير كاف، وكانت قبلها بأيام قد طرحت على مجلس الأمن مشروع قرار يشدد العقوبات على إيران (دون اعتراض من روسيا والصين، بعد التأكد من عدم مساسه

بمصالح الشعب الإيرانى) ومن أنه موجه إلى الحرس الثورى، ويتناول حظر الاستثمار فى التكنولوجيا الحيوية الحساسة فى الخارج، كما يحظر وصول أى مكونات قد تستخدم فى أسلحة الدمار الشامل وأيضا جميع الأنشطة المتصلة بالصواريخ الباليستية القادرة على حمل أسلحة نووية، مع عمليات تفتيش دورية لوقف تهريب أو اقتناء المواد النووية الحساسة أو غير المشروعة وأيضا مراقبة وحظر استخدام النظام المالى أو المصرفى العالمى لتمويل أنشطة نووية أو عمليات انتشار أسلحة الدمار الشامل.

وكان طبيعيا أن يحدث مشروع القرار ردود فعل سلبية لدى إيران، بل ولدى طرفى الوساطة، فيعتبره وزير خارجية تركيا «خطوة غير أخلاقية» بعد توقيع إيران لاتفاقية التبادل، بينما حذر وزير خارجية البرازيل من تداعياته على الشعب الإيرانى.

وبالمناسبة فقد تساءل البعض ، أليست مصر أقرب من البرازيل فيما يتعلق بمشاكل المنطقة ؟

على أية حال فإن رئيس وزراء تركيا قد بادر بتحذير إيران من العزلة فى حالة عدم الوفاء باستحقاقات الاتفاق خلال شهر المهلة .

بينما ذهبت الخارجية الفرنسية إلى حد التشكيك فى جدية

إيران : فذكر متحدث باسمها : «علينا أن لا نخدع أنفسنا، مع استمرار أنشطة التخصيب فى مفاعل ناتانز على إقامة مفاعل المياه الثقيلة أراك «منشأة قم»، وعدم الرد على استضاحات وكالة الطاقة الذرية».. وتشاركها ألمانيا فى مطالبة إيران بالاتفاق مع الوكالة، فيما اعتبرت بريطانيا أنها «مازالت مصدر قلق كبير يتطلب مواصلة مساعى فرض عقوبات جديدة» .

وقد علقت وزيرة الخارجية الأمريكية على الاتفاق بعد تلقيها نسخة منه من الوكالة، بأنه ملىء بالثغرات ولا يبدد مخاوف المجتمع الدولى ولا ينفى إصرار إيران على مواصلة تخصيب اليورانيوم بدرجة ٢٠٪ مع استمرار تجاهل قرارات مجلس الأمن بشأنها .

وفى أعقاب لقاء مع قادة الإمارات أشارت مستشارة ألمانيا «ميركل» إلى استيائهم ومشاركتهم الغرب فى قلقه .

وعلى أثر اتصال أجراه رئيس وزراء تركيا مع الرئيس الفرنسى أعلن توقع دعمه للاتفاق كخطوة نحو الحل السلمى لأزمة برنامج إيران النووى هذا فى الوقت الذى أكد فيه رئيس وزراء إسرائيل التزام بلاده باتباع سياسة «الغموض المتعمد» فى شأن برنامجها النووى مؤكدا على دعم واشنطن لهذا التوجه بموجب «اتفاق مسبق» نافيا أى احتمال لتفتيش

مفاعل ديمونة من قبل مفتشى الوكالة، مع تأكيد الرئيس الأمريكى أن مكافحة التسلح النووى تستهدف إيران وكوريا الشمالية فقط ! وإن ساير نائبه «بايدن» دعوة مندوبنا الدائم لانضمام إسرائيل إلى معاهدة منع الانتشار فى الوثيقة الختامية لمؤتمر مراجعة حظر الانتشار ، خاصة بعد أن اتجهت كل من البرازيل – أكبر اقتصاد في أمريكا اللاتينية – وتركيا – عضو حلف الأطلنطى، لانتهاج سياسة مستقلة عن واشنطن .

وفى اتصالاتها بوزيرى خارجية البلدين، رددت «هيلارى كلينتون» حجة إسرائيل أن إيران إنما تسعى لكسب الوقت لفض التجمع الدولى حيال مشروعها النووى .

وفى إسرائيل ، توالت ردود الفعل :

المبادرة لتطوير منظومة الدفاع المعروفة باسم القبة الحديدية لاعتراض الصواريخ قصيرة المدى بمعونة أمريكية (٢٠٥ مليون دولار) اعتبرها وزير الدفاع باراك دليلا على «المكانة التى تحظى بها إسرائيل لدى واشنطن» .

ثم كان قرار القيادة الإسرائيلية سحب ما تسميه «قواتها النوعية» من تشكيلات حرس الحدود فى المنطقة الجنوبية (الحدود مع مصر والأردن) لنقلها إلى جبهات (أكثر سخونة) واستبدالها بقوات نظامية قوامها الرئيسى جنود الاحتياط مع

التصعيد الأمريكى ضد إيران والمضى قدما لفرض عقوبات جديدة، وكلها فى نظر البعض مؤشرات على تعبئة غير معلنة! وفى مشاورات إسرائيلية أمريكية ، أبدت الأولى بعض الملاحظات على الاتفاقية، حاولت واشنطن التجاوب معها، ليعلن رئيس البرلمان الإيرانى على إثرها رفض بلاده أية تعديلات وأن البرلمان يدعم اتفاق تبادل اليورانيوم بكل بنوده، وأن بحثه جزئيا من قبل الدول الكبرى قد يدفع البرلمان لاعتباره لاغيا، بينما تم تسليم رسالة رسمية بتفاصيل الاتفاق إلى مدير الوكالة .

وفى لقاء فى اسطنبول على هامش مؤتمر حول الصومال، طلب وزير خارجية تركيا من أمين عام الأمم المتحدة دعم الاتفاق .

بينما استجابت الممثلة العليا للشئون الخارجية والسياسية والأمنية للاتحاد الأوروبى لعقد اجتماع مع المسئولين الإيرانيين لبحث الاتفاق.

وبمناسبة مناقشة الوثيقة الختامية لمؤتمر مراجعة المعاهدة النووية في الأمم المتحدة، وافق على إدراج تنفيذ قرار إخلاء الشرق الأوسط من الأسلحة النووية فى البيان الختامى .

وكان مندوب مصر لدى المنظمة قد أبدى تحفظه على

بعض بنود معاهدة حظر الانتشار النووى وخاصة عدم وجود التزام واضح من قبل الدول النووية الكبرى بعدم التعامل مع إسرائيل فى المجال النووى لحين انضمامها للمعاهدة، مع الإعراب عن القلق من عدم انضمامها حتى الآن .

بينما توجه رئيس المخابرات المصرية للقاء رئيس وزراء إسرائيل بشأن تصريحاته حول مواجهة محتملة مع الشمال : سوريا وحزب الله بمناسبة إجراء أكبر مناورات فى تاريخها امتدت أربعة أيام، وإن زعم قادتها أنها جزء من خطة عمل سنوية ولا تحمل أية نوايا تصعيدية ! وأنه التدريب الرابع منذ العدوان على لبنان، مع علمهم أن سوريا لم تطلق طلقة واحدة منذ احتلال جولانها، ثم جرت اتصالات أخرى لإثناء حكومة نتنياهو عن حصارها أكبر سجن مفتوح فى العالم (غزة) لمنع وصول أية مواد غذائية أو دواء، حملتها نحو عشر سفن تركية ودولية وعربية، فكان الرد «مجزرة شهداء الحرية» التى استعادبها أحفاد عصابات «الهجاناة وأرجون زفاى ليومى» أمجادها الإرهابية، فحصدت أرواح عشرين وأصابت أضعافهم من المتطوعين الستمائة من كل جنسيات العالم .

وقد ذهب إحصاء أخير إلى أن ٥٦٪ من الأمريكيين يؤيدون توجيه إسرائيل ضربة عسكرية لمنشآت إيران النووية (٧٤٪ جمهوريين و٤٣٪ ديمقراطيين ..)

وفي الوقت الذى أكد فيه وزير خارجية تركيا «أوغلو» مواصلة بلاده والبرازيل جهود تحقيق اتفاق مرضٍ لأزمة الملف النووى الإيرانى ، كان رئيس أركان سلاح الجو الإسرائيلى يحتفى بالقمر الصناعى الجديد (أفق ٩) والمزود بكاميرات قادرة على التقاط صور عالية الجودة، تسمح بمراقبة الأنشطة الإيرانية ويعزز قدرة إسرائيل على جمع معلومات استخبارية من الفضاء على مدى أربع سنوات .

بينما كان أنصار إسرائيل فى الكونجرس الأمريكى بمجلسيه : الشيوخ والنواب ، قد أخذوا المبادرة لإقرار حزمة رابعة من العقوبات ضد إيران فرضت قيودا صارمة على وارداتها من البنزين بهدف الحد من إمكانية مواصلة البرنامج النووى ، حيث تلجأ لاستيراد مشتقات البترول ، لسد العجز فى مجال التكرير ، وجاء التصويت بالإجماع بطبيعة الحال فى الشيوخ ، والنواب بأغلبية ٤٠٨ ومعارضة ٨ أعضاء .

كما تفرض العقوبات حظرا على الشركات التى تتعامل مع

إيران من دخول الأسواق الأمريكية .

وتلاحق العقوبات المسئولين الإيرانيين الذين ينتهكون حقوق الإنسان ،بالمنع من السفر وتجميد الأرصدة ، وكذلك الشركات الأجنبية التى تتعامل مع قطاع البترول أو تستثمر فيه ، بل وعلى البنوك الأمريكية التى تتعامل مع بنوك لها معاملات مع الحرس الثورى الإيرانى ، أو تساند البرنامج النووى ، وصولا إلى منع البنوك غير الأمريكية من استخدام النظام المالى الأمريكى إذا تعاملت مع كيانات إيرانية مدرجة على القائمة السوداء .

وكلها عقوبات صدق عليها الرئيس الأمريكى .

وبينما يرى «الديمقراطيون» أن العقوبات تنصب على المواقع الأكثر إيلاما للنظام لمنعه من تطوير سلاح نووى يهدد الأمن القومى لإسرائيل والولايات المتحدة فإن «الجمهوريين» يرون أن القرار يضع الشركات حول العالم أمام خيارين :

إما التعامل مع إيران أو مع أمريكا (چون ماكين) .

وهى عقوبات تضاف أو تعزز العقوبات التى أقرها مجلس الأمن والتى تحرم إيران من أى استثمارات خارجية فى قطاعات حساسة مثل مناجم اليورانيوم ، والسماح بتفتيش السفن الإيرانية فى أعالى البحار مثلما انصبت عقوبات الاتحاد الأوروبى على قطاع تكرير البترول والغاز .

ومن قبيل الرد :

بادر الرئيس الإيراني بإرجاء المباحثات التي كانت مقررة مع الاتحاد مطالبا إياه بإعلان موقفه من «قنبلة الكيان الصهيوني النووية» ، منوها بأن الحظر من شأنه إعاقة التنمية الاقتصادية والصناعية .

كما حذر من أن امتلاك إسرائيل للسلاح النووي يعرض الأمن والسلام في الشرق الأوسط للخطر ، مضيفا :

«أن النظام الصهيوني الحاكم أضعف من أن يشن هجوما ضد بلاده بل يعلم جيدا أنه لايستطيع مجرد التفكير فيه لأن اللعب مع بلاده خطير ، مثل اللعب مع الأسد !» .

بينما تواصل بلاده التمسك بنزع السلاح النووي في العالم ، كشرط للتفاوض مع مجموعة الدول الست الكبرى، مرجحا فشل جهود منع الانتشار النووي وصعوبة تفكيكه بصورة كاملة وفقا لجدول زمني محدد .

وقد أيدت مجموعة الثماني قرار مجلس الأمن ١٩٢٩ - بإمكانية تفتيش السفن الإيرانية - وذلك في ختام اجتماعها (هاتسفيل - كندا) ، مؤكدة أن إقرار عقوبات تحظر التسليح والتمويل ، يعكس قلق المجتمع الدولي، مطالبة بتطبيقها كاملة مع الإلحاح على إيران لاحترام دولة القانون وحرية التعبير

التزاما بالمعاهدات الدولية التى وقعتها.

وقد اصطف مع مجموعة الثمانى المندوب الأمريكى السابق لدى الأمم المتحدة چون بولتون ، ورئيس وزراء إسبانيا السابق «خوسيه ماريا أثنار» مع حوالى مائة نائب برلمانى من أوروبا وأمريكا والشرق الأوسط بعد أن كرر رئيس الـ CIA ليون بانيتا تحذيره من أن لدى إيران مايكفى من يورانيوم ضعيف التخصيب لصنع قنبلتين نوويتين خلال عامين . الأمر الذى أخرج الرئيس الروسى ميدفيديف عن صمته ، للتحذير من عدم صحة ذلك ، لتداعياته الخطيرة ، مع مطالبته إيران فى نفس الوقت ، بإثبات الطبيعة السلمية لبرنامجها النووى ، مؤكدا على أهمية عودتها للعملية التفاوضية ، وللاجتماع مع الوكالة الدولية والولايات المتحدة وروسيا لإنهاء الأزمة :

«علينا مطالبة إيران بالعمل وفقا لقرارات مجلس الأمن والوكالة الدولية للطاقة الذرية تحقيقا للثقة فى «سلمية» «برنامجها النووى» .

وقد بادر رئيس لجنة الأمن القومى والشئون الخارجية فى البرلمان الإيرانى (بوروجردى) إلى نفى أى تأثير لتلك التحذيرات على علاقات بلاده بروسيا ، وذلك فى أعقاب ما تناولته بعض وسائل الإعلام ، من مناقشة البرلمان لها .

فى الوقت الذى عبر فيه مسئول روسى عن غضب بلاده لاستيلاء ألمانيا على مواد تكنولوچية كانت وجهتها مفاعل بوشهر النووى الذى قامت بلاده ببنائه ، واعتبرها قد تجاوزت كل مجموعات العقوبات المقررة ، كما أن مجلس الأمن لم يقرها !

وقد قبلت الوكالة الدولية للطاقة الذرية اقتراح كل من موسكو وواشنطن وباريس ، لاستئناف المباحثات مع طهران.

بينما ذهبت المندوبة الأمريكية لدى الأمم المتحدة (سوزان رايس) إلى أن لجنة الخبراء التى شكلها مجلس الأمن لتعمل مع نهاية الصيف هى بمثابة أعين وآذان» المجتمع الدولى .

ثم كان إعلان رئيس الأركان الأمريكى «مايكل مولين» عن إعداد خطة أمريكية تستهدف مشروع إيران النووى . ردود فعل متباينة .

فى الوقت الذى تواصل فيه إسرائيل استنفار واشنطن للقيام بتعزيز منظومة الانذار المبكر السابق نصبها لديها عام ٢٠٠٨ وبحث امكانية نصب منظومة مماثلة فى إحدى دول الخليج ، بينما تقوم واشنطن بتنفيذ درع الصواريخ فوق جنوب أوروبا بحيث تكون قابلة للتشغيل فى العام المقبل ، مع بحث الاتفاق مع تركيا أو بلغاريا لإقامة محطة رادار أرضية.

وتستتبع تلك المنظومة الدفاعية نشر عدد من الصواريخ

الجديدة SM3 والتى تبلغ كل منها خمسة عشر مليون دولار ، فى الوقت الذى تخطط فيه الإدارة الأمريكية لمضاعفة عدد السفن الحربية من طراز AGIS المحملة بصواريخ باليستية لتبلغ ثمانى وثلاثين سفينة خلال خمسة أعوام ، تتمركز فى منطقة الشرق الأوسط والمحيط الهادى .

ويبرر المراقبون «القلق» الإسرائيلى ثم .. الأمريكى بأن مشروع إيران النووى ، من شأنه كسر احتكارهما للقوة النووية وقت السلم ، مع مخاطره فى حالة نشوب حرب، بما يهدد النفوذ الأمريكى فى المنطقة ويثير احتمال استغنائها عن المظلة الأمريكية فى الوقت الذى يبقى فيه الباب مفتوحا للتحالف مع سائر الدول الإسلامية فى المنطقة .

وكان الرئيس الإيرانى قد رجح قيام إسرائيل والولايات المتحدة بضرب مشروع بلاده النووى قبل نهاية العام ٢٠١١ ، فى أعقاب لقاء «باراك» - أوباما وإيهود - فى واشنطن خلال الصيف :

«حماية للنظام الصهيونى» وإعاقة لتقدم إيران وتطورها .

فى الوقت الذى كان جدد فيه وعده بإجراء المفاوضات مع الاتحاد الأوروبى وأمريكا (مشترطا مشاركة تركيا والبرازيل)، إلا أنه اعتبر أن العقوبات التى فرضها الاتحاد الأوروبى وكندا قد قوضت الجهود الدولية لمعالجة الأزمة .

وكانت طهران قد اقترحت ، فى أعقاب اجتماع مع زعماء تركيا والبرازيل ، عقد جولة مفاوضات جديدة مع مجموعة الدول الخمس دائمة العضوية فى مجلس الأمن ألمانيا ، مع تفضيل اختيار تركيا مقرا لتلك المباحثات .

مع إعلان طوكيو عن الاتجاه للحاق بالاتحاد الأوروبى وأمريكا فى فرض العقوبات الجديدة التى أقرتها واشنطن وأعلنت فيها اسماء ٢١ شركة فى ست دول نسبت إلى حكومة طهران السيطرة عليها ، لتنفيذ حظر التعامل معها ، وقد أكد كبار المسئولين الأمريكيين (روبرت أينهورن) مستشار الخارجية الأمريكية لمراقبة التسلح ومنع انتشار السلاح النووى ، ودانييل جلاس نائب مساعد وزير الخزانة لشئون تمويل الأنشطة الإرهابية ، أن تلك العقوبات بدأت تحدث أثرها ، بعد انسحاب كبرى شركات النفط الغربية (توتال وهاليبيرتون) من مشروع حقل الغاز الطبيعى (باريس) جنوب إيران ، وهو من أكبر مستودعات الغاز الطبيعى فى العالم (١٨٠٠ تريليون قدم مكعب غاز) ، مما أدى لتراجع حجم العمالة فى الحقل ، بما يحول دون إنجاز المشروع فى خمسة أسابيع كما كان مقررا.

وقد تحفظت «السويد» على العقوبات واعتبرتها غير مجدية فضلا عن تأثيرها السلبى على دول أخرى .

بينما وصفتها موسكو بأنها غير مقبولة وتقوض جهود معالجة الأزمة .

ومع ذلك يؤكد المسئولون فى واشنطن نجاح العقوبات فى تجميد ، أو إلغاء ، اتفاقيات حكومية لتطوير قطاعات الغاز والبترول تتراوح قيمتها بين ٥٠ و٦٠ مليار دولار ، مع تحريض دول آسيا والشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية على عدم ملء الفراغ الذى أحدثه انسحاب الشركات الغربية ، وهو ما واجهته إيران بالإعلان عن استثمار ٤٦ مليارا لهذا الغرض ، إضافة إلى استثمارات الصين التى تبلغ ٤٠ مليارا، وكلها تنصب على تحقيق الاكتفاء الذاتى فى هذا القطاع ، ويذكر هنا معارضة الصين (الحازمة) للولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى فى فرض العقوبات على إيران .

مثلما اعترضت عليها تركيا مؤكدة التزامها بالعقوبات التى أقرها مجلس الأمن فقط .

وهنا نتوقف عند الوضع الخاص بتركيا وعلاقتها بمنطقة الشرق الأوسط. فرغم قيام اتحاد جمركى يضمها مع كل من سوريا والاردن إلا أن غياب موقف عربى واضح من تركيا قد ينعكس على قيام علاقات تركية– عربية ذات ثقل.

وفى نفس الوقت تتطلع تركيا لتطوير تلك العلاقات بل واستثمارها لتوطيد العلاقات مع أوروبا.

وثمة مقولة للرئيس التركى «جول» أكد فيها أن تركيا فى الأصل أقرب إلى أوروبا منها إلى العرب.

من هنا كان حرصها على احتواء تداعيات مجزرة اسطول الحرية ، مع سماح اسرائيل بدخول لجنة التحقيق الدولية.

وقد استدعت الخارجية التركية سفير اسرائيل للإعراب عن عدم رضائها وعدم ارتياحها لتصريحات إيهود باراك حول رئيس المخابرات التركية الجديد ومخاوفه من أن يقوم بتسريب معلومات عن اسرائيل إلى إيران !

بينما تشير أصابع الاتهام إلى إسرائيل ووقوفها وراء الهجوم الذى وقع فى الصيف على القاعدة البحرية فى اسكندرونة وراح ضحيته ستة من العسكر بين الأتراك وينسب ارتكابه إلى فرقة خاصة بإحدى شركات الأمن الإسرائيلية (أسسها شالومى ميشيل ، مساعد سابق لرئيس جهاز الموساد دانى ياتوم).

هذا فى الوقت الذى كان فيه باراك (إيهود) يبحث مع باراك (أوباما) نفاد صبر بلاده إزاء إيران والتقدم فى مشروعها النووى الذى يقدر لتحققه عامان على الأكثر .. ثم ما تردد عن حصول رئيس الموساد على موافقة (السعودية) على فتح مجالها الجوى للطائرات الإسرائيلية العسكرية لضرب إيران !

إضافة إلى تصريحات للرئيس السابق للمخابرات المركزية الأمريكية (مايكل هايدن) أشار فيها إلى «صعوبة» تجنب عمل عسكرى ضد إيران لتدمير قدرتها النووية، وأن الخيار العسكرى الذى كان آخر الخيارات فى نهاية ولايته ، لم يعد كذلك :

خاصة إذا وصلت فى مشروعها النووى إلى النقطة قبل الأخيرة مع مواصلة تعزيز سلاحها البحرى بتدشين الحرس الثورى للعشرات من الزوارق السريعة حاملة الصواريخ فى الخليج العربى، من طراز «ذو الفقار» و «الطارق» «وعاشورا» و «ذو الجنة» وكلها تتمتع بسرعات وقدرات إبحار عالية وقوة ردع فائقة مع الاستعداد لإنتاج سلسلة من زوارق «بلديرنرون ٥٠ - ١» المعدلة والتى تعتبر الأسرع فى العالم ، بعد تزويدها بصواريخ «ل!».

وكما كان مقررا، تم تشغيل مفاعل بوشهر بالوقود النووى المقدم من روسيا (وقد زاره وزير الطاقة الروسى سيرجى كيرنيكو» وذلك بالتزامن مع الإعلان عن صناعة قاذفة قنابل (كرار) بدون طيار يبلغ مداها ألف كيلو متر ، مع تزويد كل الطائرات (سوخوى ٤٢) بمنظومات للعمليات الحربية الليلية، بينما نشرت روسيا صواريخ S 300 المضادة للطائرات فى أبخازيا بما يغلق الممر الجوى للطائرات الإسرائيلية باتجاه

إيران، مع إيقاف صفقة تزويد إيران بهذا الصاروخ بعد تدخل الرئيس الأمريكى والإسرائيلى.

وجاء رد الفعل الأمريكى لتشغيل المفاعل فى تصريح للرئيس الأمريكى أشار فيه إلى أن التشغيل تم تحت إشراف وكالة الطاقة النووية ولا يمثل تهديدا فى المرحلة الحالية.

أما دول الخليج ، فرغم اعلانها أنها لن تسمح باستخدام أراضيها لضرب إيران ، إلا أنها لا تملك منع القوات الأمريكية من العمل من أراضيها مع ما هو معروف من أن المفاعل لا يبعد أكثر من ٨٠ كيلو مترا من الكويت! الأمر الذى يثير مخاوفها من أى تسرب اشعاعى.

وكان الصيف الماضى موسما لاستعراض إيران أحدث أسلحتها : الجيل الثالث من الصواريخ أرض - أرض ، قصيرة المدى (فاتح ١١٠) مداه ١٩٣ ك.م. يتميز بالدقة البالغة ويعمل بالوقود الصلب، مع تكثيف بطاريات الدفاع الجوى حول مفاعل بوشهر، بعد تشغيله.

وقد وقعت إسرائيل صفقة مع الولايات المتحدة لشراء ٢٠ طائرة مقاتلة F 35 (الشبح) بقيمة ٢,٧٥ مليار دولار ، تشمل أجهزة محاكاة وقطع غيار وصيانة.

ويشارك فى تطوير الطائرة F.35 مع الولايات المتحدة ثمانى دول : بريطانيا وايطاليا وهولندا وتركيا وكندا

والدنمارك والنرويج واستراليا كما وقعت اتفاقية أخرى لتطوير منظومة لاعتراض الصواريخ والقذائف الصاروخية متوسطة المدى.

وقد جرت منتصف اكتوبر الماضى مناورات إسرائيلية - يونانية قبالة جزيرة كريت فى إطار التعاون العسكرى الثنائي بين الجانبين.

وعلى الهامش ، يذكر امتلاك اسرائيل ثلاث غواصات المانية حديثة يمكنها حمل رؤوس نووية أو تقليدية (تواجدت احداها فى الخليج) يمكنها أن تبقى فى البحر ٥٠ يوما وتحت الماء مدة أسبوع وفى العمق ٣٨٠ مترا وعليها ٣٥ - ٥٠ فردا وهى مزودة بصواريخ كروز قادرة على ضرب أية أهداف داخل إيران.

بينما أعلنت إيران اضافة أربع غواصات (حمولة ١٢٠ طن - قادير) قادرة على إطلاق صواريخ موجهة وقذائف مدفعية تقليدية على أهداف أرضية وطوربيدات ذاتية الدفع تتحرك بسرعة فائقة لضرب أهداف بحرية (غواصات - سفن حربية أو تجارية) تضاف إلى ثلاث روسية الصنع من تسعينيات القرن الماضى.

وتعمل الغواصات الجديدة بمفاعل نووى صغير يستخدم يورانيوم بدرجة تخصيب عالية (نحو ٢٠٪) ، مما يغنيها عن

الخروج إلى السطح للتزود بالوقود، وقد نشرت دورية امريكية (اتلانتيك) تقريراً لمدير منظمة امريكية تتعقب انتشار الأسلحة النووية فى العالم يفيد إنتاج إيران لوقود نووى من اليورانيوم منخفض التخصيب يكفى لصنع قنبلتين نوويتين برفع نسبة التخصيب وصنع قنبلة ثالثة بإضافة كمية أخرى، ومع إنتاج اليورانيوم بالمعدل الحالى يمكن إنتاج وقود نووى يكفى لصنع قنبلة رابعة، ثم يحذر من أن إيران بدأت تخصيب اليورانيوم بنسبة أعلى لإنتاج وقود نووى مع قدرة الصواريخ الباستية على حمل رؤوس نووية يصل مداها إلى إسرائيل.

وتخطط إيران - فى حال مهاجمتها - لقصف أهداف فى جميع الدول التى تسمح باستخدام اراضيها أو قواعدها ضدها باعتبارها مسرح حرب مع تدمير منشآتها النفطية وبناها التحتية ، مع نحو مائة قاعدة عسكرية أمريكية فى المنطقة .

وكان خبيرا نوويا أمريكيا ، قد فند ما ذهبت إليه الإدارة الأمريكية من التوجه لاعطاء مزيد من الوقت لإقناع النظام الإيرانى بتغيير مساره، مؤكدا أن الساعة النووية لإيران تدق بقوة ولا تبطئ من سرعتها .

ويذكر هنا أن عدد المنشآت العسكرية التى دشنت خلال عام تبلغ ١٢٦ منشأة.

وتواصل اسرائيل دفع اصدقائها في الكونجرس الامريكي لتشديد العقوبات على الشركات (الصينية والتركية) التي تزود ايران بمشتقات البترول مع إعلان الصين عزمها على توثيق علاقاتها التجارية مع إيران!

وعلى الجانب الروسي، شهدت موسكو توقيع اتفاقية للتعاون العسكري مع اسرائيل مدتها خمس سنوات طالب خلالها وزير دفاع اسرائيل موسكو بوقف تنفيذ منظومة الدفاع الجوي مع إيران.

بينما حصلت على ١٢ طائرة (بدون طيار) تم تدريب ٥٠ طيارا روسيا على استخدامها ، مع اشادة وزير الدفاع الروسي (سيرديوكوف) بالتعاون، العسكري النشيط والاستفادة من خبرات اسرائيل العسكرية.

مصرحاً بتطابق مواقف البلدين في مواجهة تحديات العصر · الإرهاب الدولي ومنع انتشار اسلحة الدمار الشامل.

وتتناول الاتفاقية التعاون في مجالات اعداد الكوادر العسكرية وتطوير الاتصالات، وتبادل المعلومات ، والمسح الطبوغرافي ودراسات التاريخ العسكري !

مع مطالبة موسكو بالحد من تسليح السلطة الفلسطينية ، بعد أن رفضت اسرائيل دخول٥٠ ناقلة جنود مدرعة للضفة

الغربية فى الصيف الماضى.

ويذهب وزير الدفاع الإسرائيلى إلى أن النزاع الحقيقى فى الشرق الأوسط ليس بين اسرائيل والفلسطينيين ، وإنما بين إيران والعالم العربى!

ثم يكشف عن الهاجس الحقيقى من أن تصبح إيران دولة مؤثرة فى المنطقة .

وفى تقرير للمنتدى الاستخبارى الاسرائيلى ذكرحصول اسرائيل على تعهدات (امريكية وبريطانية وروسية واسترالية) بإسقاط النظام الايرانى ومشايعيه فى سوريا ولبنان وقطاع غزة.

وقد خرج هانزبليكس (المدير السابق للوكالة) عن صمته للتأكيد على أن خفض التوتر فى المنطقة يتطلب إخلاؤها من السلاح النووى ، بما فى ذلك اسرائيل ، محذرا من أن الحديث عن الحرب يجعل الوضع أكثر صعوبة ، وقد يدفع الإيرانيين للإصرار على موقفهم ، مقترحا إجراء محادثات تناول توفير وقود للمفاعلات الإيرانية الثلاثة مقابل اكتفاء إيران بانتاج وقود منخفض التخصيب.

وقد أثارت استقالة كبير مفتشى وكالة الطاقة الذرية (هانيون) ردود فعل متباينة حيث جاءت على خلفية عدم رضاء أمينها العام «يوكيا أمانو» عن أدائه. خاصة فيما يتعلق بملف

إيران وإصـراره على إيفـاد مـفـتـشـين رفـضـتـهـمـا وطلبت استبدالهما ، وأيضا الملف السورى حين تبنى تقريراً لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية عن المفاعل النووى السورى بما أدى إلى قصفه بواسطة الطيران الإسرائيلى .

فى الوقت الذى وجـهت إلى الأمين العام للأمم المتـحـدة ، انتقادات تحمله مسئولية الفشل فى تشكيل لجنة تحقيق دولية بشـأن العـدوان الاسـرائيلى على «أسطول الحـريـة» ، حـيث اشترط موافقة إسرائيل ! متهمة إياه بازدواجية المعايير حين شكل لجنة للتحقيق فى انتهاكات جيش سريلانكا فى حربه ضد متمردى «التاميل» ، دون اشتراط موافقة سريلانكا!

وفى تقريره إلى مجلس الأمن حول تطبيق القرار ١٧٠١ بشـأن لبنان ، حـذر الأمين العام من تزايد التوتر فى الجنوب بسبب ما رددته إسرائيل عن وصول أسلحة «لحزب الله» ، وعن تجاوز من الجـانب اللبنانى للخط الأزرق القـائم حدودا بين البلدين ، بسبب تجمعات بعض الرعاة والمزارعين وعمال البناء .

فى الوقت الذى رصد فيه تدريبات للقوات الإسرائيلية على خطط لإعادة احتلال الجنوب فى مواجهة ما اعتبرته «محميات حزب الله» وما تنسبه إليه من إطلاق لصواريخ «كاتيوشا» قصيرة المدى على شمال إسرائيل .

وكـان المجـال الجـوى التـركى قـد أغلق أمـام الطيـران

العسكرى الإسرائيلى بعد أسبوع واحد من العدوان على سفنه التى شاركت فى «أسطول الحرية» لرفع الحصار حول غزة مع إمهالها ٢٥ يوما للاعتذار .

وهو ما بادر وزير خارجية إسرائيل (ليبرمان) إلى رفضه، مع إزجاء النصح بتهدئة الأجواء ، حفاظا على العلاقات الودية المستقرة !

ولم يكن غريبا بعد ذلك أن يثير الوزير (الكاريزمى) المشاكل لحكومته احتجاجا على اللقاء الذى جرى من وراء ظهره ، بين وزير خارجية تركيا (أوغلو) وبين إليعازر وزير الصناعة والتجارة الإسرائيلى . بطلب منه ، حيث تربطه صلات وثيقة بمسئولين أتراك (فى الحكومة والجيش) ، فى محاولة لامتصاص غضب تركيا ورئيس وزرائها (أردوغان) بعد العدوان على «أسطول الحرية» وقتل أفراده الأتراك .

ويبقى أن العلاقات التركية - الإسرائيلية على مختلف مستوياتها السياسية والاقتصادية والعسكرية ، أقوى وأكثر تجذراً ، مع عضويتها فى حلف الأطلنطى ، وسعيها وتطلعها لعضوية الاتحاد الأوروبى .

وثمة وفد عسكرى تركى تدربه إسرائيل فى صحراء النقب على تشغيل طائرات بدون طيار تستخدمها إسرائيل لمطاردة المقاومة الفلسطينية فى قطاع غزة . هذا بينما ألغت تركيا مشاركتها فى المناورات البحرية خلال شهر أغسطس

الحالى.

وفى النهاية قد يبدو الأمر مواجهة بين الصلف الإسرائيلى (نتانياهو) والكبرياء التركي (أردوغان).

مثلما تبدو إسرائيل وكأنها تلعب على ورقة المسعى التركى لعضوية الاتحاد الأوروبى ، بما يحدد المدى الذى يمكن أن تذهب إليه فى استعداء إسرائيل ، ويشكك فى جدية التهديد بقطع كامل للعلاقات بين البلدين .

وكان واضحا أن نتانياهو تنبه له حين أعلن بصلفه المعهود : «أن بلاده لن تعتذر أبداً عن ما تعتبره دفاعا عن أمنها ، ولن تخضع للغة التهديد والإنذار ، ولن تدفع أية تعويضات لأسر الضحايا» ! بينما ذكر مسئول إسرائيلى أن تركيا سوف تخسر دورها كوسيط فى الخلاف مع الفلسطينيين ، ومع كل من إيران وسوريا ثم يبلغ (الدهاء) الإسرائيلى مداه فيضيف :

«ليس من مصلحة تركيا أن تكون فى ملعب واحد ، مع دول متطرفة مثل إيران .. بما يضع حدا لدورها المميز كجسر بين الشرق والغرب» .

وفى الشأن الإيرانى أعلن «نجاد» فى كلمته أمام اجتماع مجموعة الثمانى النامية ، أن الشرط الأول لاستئناف المفاوضات حول البرنامج النووى هو إيضاح واشنطن لموقفها من برنامج اسرائيل . ومدى دعمها له ، واستعداد بلاده

للتعاون فى شأن نزع السلاح النووى بشرط التزام الجميع بالمعاهدة واتخاذ موقف من الأنشطة التى تتجاهلها ، بما فيها أنشطة «الكيان الصهيونى» فى الوقت الذى أفادت فيه الممثلة العليا للأمن والسياسة فى الاتحاد الأوروبى (كاترين أشتون) بتلقيها رسالة من مسئول الملف النووى الإيرانى (سعيد جليلى) باستعداد بلاده للعودة للحوار.

وقد ظهرت تداعيات قرار مجلس الأمن بفرض العقوبات الجديدة حين رفضت شركة إماراتية إعادة تزويد طائرة إيرانية بالوقود ، رغم عدم صدور حظر رسمي من الحكومة ، وتردد أن شركة النفط البريطانية قررت إيقاف توفير الوقود للطائرات الإيرانية .

كما أيدت لجنة السلامة الجوية بالإجماع ، توسيع نطاق قيود التشغيل المفروضة على الخطوط الإيرانية لمنع أسطولها من طائرات إيرباص E320 وبوينج 727 ، 747 من استخدام المجال الجوى للاتحاد الأوروبى !

بينما كانت المعارضة الإيرانية فى الخارج قد كشفت عن تأثير العقوبات على السيولة النقدية فى المصارف بل والبرنامج النووى ، مع نقص الوقود للاستخدام المحلى ، خلال السنوات الأربع الماضية .

وفى استنفار صريح للحليف الأمريكى ، ذهب رئيس وزراء إسرائيل إلى أن «إيران تمضى قدما فى جهودها

لتطوير أسلحة نووية وهو فى رأيه أمر خطير جداً جداً ومن الخطأ الاعتقاد بإمكانية احتواء طموحات إيران النووية مضيفا : أنه لا يمكن السماح لأنظمة «لا عقلانية» مثل إيران بحيازة أسلحة نووية !

وجاء الرد من كوالالمبور حيث عقدت قمة ترفع شعار : «حطموا حصار غزة» فى تحتد لرئيس وزراء ماليزيا السابق «مهاتير محمد» من «إقدام مجرمى الحرب فى إسرائيل والولايات المتحدة على شن ضربة أخرى ضد إيران بعد إضعافها بالعقوبات على غرار ما جرى مع العراق فى الماضى» .

وقد اعتبر الرئيس الروسى أن عقوبات الاتحاد الأوروبى الجديدة تقوض الجهود الدولية رغم إعلانه أن إيران «اقتربت من امتلاك القدرة على تصنيع أسلحة نووية» .

ثم أضاف : «إن العالم بحاجة إلى المزيد من الصبر والدبلوماسية فى التعامل مع الملف النووى الإيرانى ، مع اعتبار ذلك مهمة أساسية لمجلس الأمن الدولى» .

ثم جاء تقرير مجموعة أوكسفورد للأبحاث محذراً من أن هجوماً على إيران قد يشعل حربا طويلة الأمد وقد يخلق حالة من عدم الاستقرار فى المنطقة ويرتب عواقب أمنية يصعب التنبؤ بها على مستوى العالم ، ولن يحول دون إيران وامتلاك سلاح نووى بل قد يدفعها للسعى للحصول عليه!

خاتمة

غنىّ عن الذكر أن مصر تلتزم، نصاورروحاً ، بأحكام اتفاقية حظر الانتشار النووى، وقد صدرت مؤخرا اللائحة التنفيذية لقانون تنظيم الانشطة النووية والإشعاعية بعد أن صدقت عليها القيادة السياسية.

وتهدف اللائحة لوضع اطار تشريعى لإنشاء هيئة رقابية مستقله تتبع رئاسة مجلس الوزراء وتتمتع بجميع الصلاحيات والاختصاصات لأداء دور مهم في الرقابة على نقل العاملين بحركة الأمان النووى بهيئة الطاقة الذرية إلى الهيئة الرقابية التى تتولى اصدار أية الترخيص تتعلق بالمنشآت النووية والإشعاعية والترخيص المكانية ومراجعة تقويم وتحليل الأمان المقدمة من طالب الترخيص واصدار القرار اللازم بشأنها مع ممارسة انشطة البحث والتطوير فى مجالات الأمان النووى والإشعاعى لمواكبة أحدث التطورات العالمية وتحديث المعاير وإعداد الكوادر البشرية المطلوبة ، مع حقها فى تزويد وسائل الإعلام والهيئهات بالمعلومات المتصلة بمخاطر ومنافع استخدام شتى التقنيات للمجالين النووى والإشعاعى.

وعلى الصعيد الخارجى، ذهبت تقارير مخابراتيه فرنسية إلى ضلوع أجهزة المخابرات الأمريكية والبريطانية مع «الموساد» العام الماضى، فى عملية تخريب البرنامج النووى

الإيراني مقابل تخلى إسرائيل عن مطلب توجيه ضربة عسكرية للبرنامج وكانت عمليات التخريب قد شملت إدخال فيروسات «ستاكس» إلى ثلاثين ألف جهاز كمبيوتر للمفاعلات النووية، وأيضا التفجيرات التى راح ضحيتها ثمانية عشر من الفنيين الإيرانيين النوويين.

بينما طالبت طهران الأمم المتحدة ببذل جهودها لمعرفة مصير مساعد وزير دفاع إيران السابق (رضا عسكرى) بعد ما تردد عن وفاته داخل السجون الإسرائيلية مما يؤكد شائعة اختطافه من جانب إسرائيل.

وكان رئيس الموساد السابق (مائير داجان) الذى انتهت خدمته مطلع يناير ٢٠١١ بعد أن اعترف بسعى جهازه لتنفيذ عمليات تستهدف ضرب الوحدة الوطنية فى مصر بهدف زعزعة أمنها واستقرارها.

كما كشفت التقارير أن مهامه كانت تتركز في استهداف كل من البرنامج النووى الإيراني وعمليات اغتيال العلماء الإيرانيين وايضا قادة حماس وحزب الله.

كما ذكرت أن (داجان) سبق أن توقع (عام ٢٠٠٩) تأخر حصول إيران على رأس نووى قبل عام ٢٠١٥ مرجعا السبب إلى تاثير العقوبات الدولية وإلى سلسلة الإخفاقات والاضطرابات الداخلية والتحركات السرية الرامية إلي إعاقة تقدم البرنامج النووى.

من هنا دعوته إلى عدم الاندفاع لتوجيه ضربة عسكرية إلى المنشآت النووية الإيرانية، إلا حين يصبح السيف مسلطا على رقبة بلاده ،أى حال تعرضها لهجوم أو لخطر يهدد وجودها!

مكرراً رأيه أن التحرك العسكرى قد يأتى بنتائج عكسية من حيث تخلى إيران عن التزامها بمعاهدة حظر الانتشار النووى، والمضى قدما فى برنامجها، بعد أن تتخلص من عمليات التفتيش التى تقوم بها الامم المتحدة ، وكلها تصريحات أثارت رئيس وزراء إسرائيل لتعارضها مع توجهه للتصعيد هذا فى الوقت الذى أعلنت فيه مسئولة السياسة الخارجية فى الاتحاد الأوروبى (كاترين آشتون) رفض دعوة إيران لزيارة منشآتها النووية، مؤكدة اختصاص الوكالة الدولية للطاقة بها ومعربة عن أملها .فى سماح إيران لهم بمواصلة مهامهم .

وتبدو القوات الإيرانية فى حالة استنفار دائم تحسبا لاحتمال شن غارات على منشآتها النووية مع تلويح القيادة الإيرانية بسيطرتها على الموقف والتأكيد على أن كل قواعد العدو فى المنطقة تقع على مرمى الصواريخ الإيرانية، فى إشارة ضمنية إلى حاملات الطائرات الأمريكية فى الخليج،

وذلك بعد الإعلان عن إسقاط طائرتى تجسس بدون طيار

فى الخليج العربى، وتأكيد سبق إسقاط أنوا ع متطورة منها خلال الحرب فى العراق وأفغانستان وهو ما بادرت واشنطن إلى نفيه.

وتواصل القياده العسكريه فى إيران التلويح بمواصلة الإنتاج المكثف للأسلحة المضادة للصواريخ مع الإعلان عن إمكانية تصدير الفائض لدول أخرى.

فى الوقت الذى انصرف فيه الإعلام الإيرانى إلى تغطية مسألة العالم النووى الإيرانى (شاهرام أميرى) الذى أشيع! اختطافه من قبل المخابرات المركزية الأمريكية وخضوعه لاستجواب مكثف فى طهران إمتد ثلاثة شهور أعقبه حجز انفرادى، بينما أشاعت خشية المخابرات الأمريكية أن يكون إنشقاقه على بلاده فخا إيرانيا للتحقق من مدى اطلاعها على برنامج بلاده النووى!

من هنا، اعتبر المتشددون فى إيران أن موافقة نجاد على تمرير اتفاق ڤيينا للتبادل النووى مع الغرب تخاذلا!

ورغم اقتناعه بجدوى تبادل اليورانيوم الإيرانى منخفض التخصيب بآخر يبلغ تخصيبه ٢٠٪ وفق اتفاق تدعمه واشنطن والأمم المتحدة، إلا أنه فى النهاية رضخ لضغوطهم.

ويبدو أن ضغوط تل أبيب على واشنطن تثنيها عن قبول أية بادرة تقدمها طهران مما دعا الأخيرة إلى استبعادها من

الدعوة لزيادة منشآتها النووية الرئيسية (فى آراك وناتانز)، والتى وجهتها إلى الاتحاد الأوروبى وروسيا والصين والمجر، ومصر وكوبا ممثلين لمجموعة عدم الإنحياز، تدليلا على شفافية برنامجها النووى!

على أية حال ، فإن رئيس وزراء إسرائيل لايمل من محاولات استنفار الراعى الأمريكى مؤكدا على:

«ضرورة وجود تهديد حقيقي ومقنع بتحرك عسكرى بقيادة الولايات المتحدة ضد إيران ،باعتباره الوسيلة الوحيدة لاقناعها بالتخلى عن خطط لانتاج قنبلة ذرية».

مضيفاً:

«أن أحدث مجموعة من العقوبات الدولية تضر بإيران ولكنها ليست كافية لإرغامها على التراجع عن برنامجها النووى».

فى الوقت الذى أعرب فيه أمين عام الأمم المتحدة عن قلقه بسبب تقص المعلومات والتعاون الإيرانى بصدد البرنامج النووى، وأيضا بسبب البرامج النرويه لدى كل من سوريا وكوريا الشمالية .

دون أية اشارة «لسلاح» إسرائيل وترسانتها النووية!

المؤلف:

- مساعد وزير الخارجية المصرية للشئون القانونية الدولية والمعاهدات الأسبق .

- عمل بالقطاع القانونى بوزارة الخارجية المصرية سبع سنوات.

- رأس جهاز التفتيش وتقييم الصلاحية للسلك الدبلوماسى المصوى أربع سنوات.

- بعد نهاية خدمته بالخارجية ، عمل مستشارا لكل من الأمين العام لجامعة الدول العربية، ورئيس الاتحاد البرلمانى الدولى .

حاصل على الأوسمة التالية :

- وسام الجمهورية (جمهورية مصر العربية) .
- وسام الاستحقاق (جمهورية مصر العربية) .
- وسام الاستحقاق (جمهورية فرنسا) .

أحدث إصدارات كتاب الهلال (عام ٢٠١٠)

اسم الكتاب	المؤلف	الشهر	السنة
من أجل ثقافة علمية	د. نبيل حنفى محمود	أبريل	٢٠١٠
شمال نجد	د. صبرى محمد حسن	مايو	٢٠١٠
الأصول الإسلامية للعلمانية	د. وائل غالى	يونيه	٢٠١٠
فلاديمير نابوكوف	د. رمسيس عوض	يوليو	٢٠١٠
الإسلام منهج وتطبيق	د. محمد محمد أبوليلة	أغسطس	٢٠١٠
طه حسين والصهيونية	حلمى النمنم	سبتمبر	٢٠١٠
أخلاقيات الحرب فى السيرة النبوية	جعفر عبدالسلام	أكتوبر	٢٠١٠
عمان	عادل عبدالصمد	نوفمبر	٢٠١٠
الواقع أو الحقيققة	رجائى عطية	ديسمبر	٢٠١٠
يوميات عابر سبيل	د. مصطفى عبدالغنى	يناير	٢٠١١
شاعر الروابى الخضر	محمد رضوان	فبراير/مارس	٢٠١١

هذا الكتاب

أثيرت فى السنوات القليلة الماضية ضجة واسعة حول مشروع إيران النووى وسعى الولايات المتحدة الأمريكية لعدم تمكين إيران من امتلاك أسلحة نووية للاستخدام العسكرى، رغم تأكيد إيران وحلفائها على حق إيران فى امتلاك التقنية النووية للاستخدام السلمى وقد دخلت إسرائيل على الخط بادعائها أن مثل هذا السلاح النووى الإيرانى تهديد لأمنها. ولذلك صدرت فيها العديد من التصريحات والدعوات لواشنطن بضرورة توجيه ضربة عسكرية لإيران لإجهاض مخططاتها فى هذا الشأن ، بل وقد كانت هذه القضية الشائكة حجة لإسرائيل لتحصل على أحدث الذخائر الأمريكية القادرة على تدمير المواقع النووية النائية فى جوف الجبال!

وحول هذه اللعبة السياسية والدعائية ودخول عدة أطراف فيها لتستفيد من آثارها وأولهم إسرائيل يتناول المؤلف محمود سليمان هذه اللعبة المثيرة فوق قطعة الشطرنج ومحافظة أطرافها الرئيسيين من الاستفادة لأقصى مدى فى هذه المباراة السياسية والدعائية المثيرة.

إنها رحلة تحليلية فيها استعراض لكل الأطراف المشاركة فى اللعبة انتظاراً لنهاية هذه اللعبة المراوغة!



- مياه النيل بين الماضي والحاضر والمستقبل
- ما أشبه فوكوشيما بتشيرنوبل
- الإصلاح تقويم حاضر واستشراف مستقبل

ابريل 2011 - الثمن 6 جنيهات

مصر بخير
عصام الحجى

روايات مصرية للجيب

شلال متدفِّق من الروايات



المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع 10 ، 16 ش كامل صدقى الفجالة
4 ش الإسحاقى بمنشية البكرى روكسى مصر الجديدة - القاهرة - ت: 26823792 - 25928202
فاكس - 202/25966650 ج.م.ع ، 4 ش بدوى محرم بك - الإسكندرية ت: 03/4970840